ميتشيكو أوياما

مكتبة

مكتبة الأحلام السرية

الرواية اليابانية الأكثر مبيعاً

小説

المركز الثقافي العربي

إهداء لـ..

نسيج الكون الأول ..

الهتلألئ بين النجوم

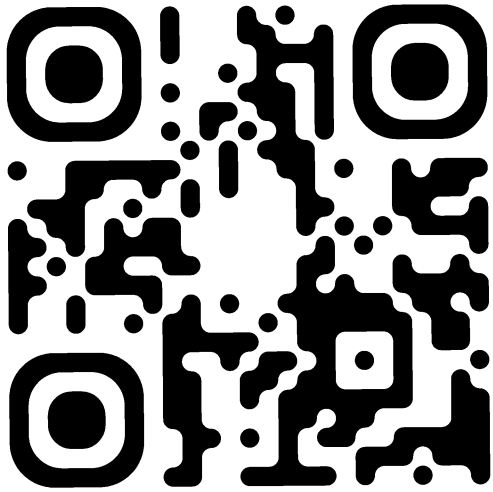

سجل في مكتبة

اضغط الصفحة

SCAN QR

ميتشيكو أوياما

مكتبة الأحلام السرّية

الكتاب
مكتبة الأحلام السرّية
تأليف
ميتشيكو أوياما
ترجمة
حسين عمر
الطبعة
الأولى، 2024
الإيداع القانوني:
2024MO4365
الترقيم الدولي:
ISBN: 978-9920-657-84-6
جميع الحقوق محفوظة
© المركز الثقافي العربي
الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ـ المغرب
ص.ب: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651
فاكس: 212+ 522 305726
Email: markaz.casablanca@gmail.com

العنوان الأصلي للرواية:

OSAGASHIMONO WA TOSHOSHITSU MADE

© 2020 by Michiko Aoyama
All rights reserved

حقوق الترجمة العربية محفوظة
© المركز الثقافي العربي

نُشرت الطبعة اليابانية الأصلية من قِبَل
Poplar Publishing Co., Ltd.
تم تنسيق حقوق الترجمة العربية مع
Poplar Publishing Co., Ltd،
من خلال
The English Agency (Japan) Ltd.
و New River Literary Ltd.

مكتبة
t.me/soramnqraa
14 6 2025

ميتشيكو أوياما

مكتبة
t.me/soramnqraa

مكتبة الأحلام السرّية

رواية

ترجمة: حسين عمر

المركز الثقافي العربي

الفصل الأوّل

توموكا، 21 عاماً،
مندوبة مبيعات للألبسة النسائية الجاهزة

مكتبة
t.me/soramnqraa

أرسلت سايا إليّ رسالةً لتُخبرني بأنّ لديها حبيباً. سألتها: «كيف هو؟»، ولكن الجواب الوحيد الذي تلقّيته هو: «إنّه طبيب».

انصبّ سؤالي على شخصيته، بيد أنّ سايا تركت جانباً سماته الشخصية ومظهره لتحدّثني عن مهنته. ولكنّ الأطباء ليسوا متشابهين جميعاً.

ربّما أجابت بهذه الطريقة توخيّاً للبساطة. كما لو أنّ مهنته تعبّر عن شخصيته. والحقيقة، حتى بالنسبة إليّ، يستحضر «الطبيب» صورة نمطية في ذهني.

ما المؤشّر الذي يعطيه عملي، من منظور خارجي، على سمات شخصيتي؟ هل سيكون بوسعِ شخصٍ لا يعرفني من قبل أن يخمّن مَنْ أكون؟

على خلفية شاشة زرقاء سماوية، تواصل الحديث عن هذا الرجل الذي التقت به في سهرة بين العُزّاب.

سايا من نفس مدينتي، وصديقتي منذ المرحلة الثانوية في

المدرسة وتتواصل معي من حينٍ لآخر، حتى بعد انتقالي للإقامة في طوكيو بسبب دراستي لفترة قصيرة ومن ثمّ العمل فيها.

«وأنتِ يا توموكا، كيف تسير حياتكِ؟».

توقّفت أصابعي للحظةٍ. لم يكن هناك أيّ جديدٍ من جهتي.

كتبتُ بلوحة الأزرار كلمة «أنا» وأرسلتُ خطأً المقتَرَح التلقائي الأوّل الظاهر على لوحة هاتفي الذكي: «أنا بخير». في الحقيقة كنتُ أنوي أن أُجيب بعبارة: «أنا في حالٍ لا بأس بها».

كنتُ أعملُ في إيدن.

مرتديةً سترةً وتنّورة مستقيمة سوداء، كنتُ أُديرُ صندوق المحاسبة وأقدّم المشورة للزبائن في هذا المركز التجاري الذي يأخذ اسمه من جنّات عدن. عملتُ طوال سنة، حتى في الشتاء، الفصل الذي يدنو بخطى سريعة. كانت ستّة أشهرٍ قد مضت على انتهاء دراستي ومباشرتي العمل.

كنّا في شهر نوفمبر، والتدفئة تعمل، فتتعرّقُ قدماي في الجوارب الطويلة والحذاء ذي الكعب الضيّق جدّاً، فأشعر بأصابعي تهترئ، ملتصقةً ببعضها.

في عالم العمل، ترتدي جميع النساء بدلات عمل متشابهة، ولكنّ خصوصيّة مركز إيدن التجاري تمثّلت في ارتداء بلوزة باللون الوردي المرجاني. خلال فترة تدريبي على العمل، علمتُ أنّ الشركة أحضرت متخصّصاً شهيراً في الألوان لاختيار هذا اللون. كان اللون الوردي المرجاني يبعث صورة إيجابية ولطيفة، كما اعتُمِدَ هذا اللون لأنّه يناسب النساء من جميع الأعمار، وهو ما لاحظتهُ بالفعل منذ لحظة وصولي.

- أخذتُ استراحة الغداء خاصّتي، والآن حان دوركِ، يا فوجيكي.

هذا ما قالته لي نوموتشي، وهي موظّفة تعمل بدوامٍ جزئي، لدى عودتها إلى صندوق المحاسبة. لمعَ أحمر شفاهها الذي وضعته حديثاً.

كنتُ قد كلُّفتُ بالعمل في قسم الملابس النسائية الجاهزة، في حين كانت نوموتشي مخضرمة في اختصاصها بحكم خبرتها لاثنتي عشرة سنة في هذا المجال. وقد بلغت في الشهر المنصرم، حسب زعمها، إلى عددٍ مكوّنٍ من رقمين متطابقين بمناسبة عيد ميلادها. ولأنّها لم تكن في الرابعة والأربعين ولا في السادسة والستين من عمرها، استنتجتُ أنّها في الخامسة والخمسين من عمرها، وبذلك تكاد تكون في نفس عمر والدتي.

كانت البلوزة الوردية المرجانية تناسبها كقالبٍ على جسدها. وقد صُمِّمت بهذه الطريقة لأنّ فريقنا ضمّ عدداً كبيراً من الموظّفات العاملات بدوامٍ جزئي في سنٍّ متقدّمة.

قالت لي:

- في الفترة الأخيرة، تعودين دائماً في اللحظة الأخيرة. تداركي ذلك.

- آسفة.

حتى بين الموظّفات العاملات بدوامٍ جزئي، كانت قائدة لزميلاتها. تلعب دور الشرطة، وصارمة لا تعرف التساهل، ولكنّها دائماً ما تقول الحقيقة.

- سأذهب.

غادرتُ صندوق المحاسبة خاصّتي مع إيماءة خفيفة من رأسي

احتراماً لها. لدى مروري أمام أحد الرفوف، لاحظتُ وجود أغراض مبعثرة فمددتُ يدي لكي أرتّبها، حينما اعترضتني زبونة.

- قولي لي...

التفتُّ نحوها. كانت على الأرجح في نفس عمر نوموتشي وبدون مساحيق تجميل، ترتدي سترة منفوخة قديمة وتحمل حقيبة ظهر مهترئة.

- بحسب رأيك، أيّهما ستناسبني أكثر؟

كانت تُمسكُ بكنزةٍ في كلّ يدٍ من يديها: واحدة منها فوشيّة اللون ولها ياقة على شكل العدد سبعة، والأخرى بنيّة اللون ولها ياقة عالية.

هنا، في هذا المتجر، لم نكن نتوجّه إلى الزبونات مثلما تفعل البائعات في متجرٍ للأزياء. وقد ناسبني هذا الأمر وأراحني، ولكن حتماً كان علينا أن نُجيب على أسئلتهنّ إذا ما لجأنَ إلينا.

ربّما كان عليّ أن أتجاهل الرفّ غير المرتّب وأذهب إلى استراحتي. ولكنني قارنتُ بين الكنزتين، متردّدة، ثمّ اخترتُ لها الفوشيّة.

- أرى أنّ هذه أكثر إشراقاً.

- آه، حقّاً؟ أليست فاقعة جدّاً عليّ؟

- إطلاقاً. ولكن إذا كنتِ تريدين كنزة يمكن أن تُلبَس في كلّ مكان، فالبنيّة مثالية بياقتها العالية والدافئة.

- ولكنّها باهتة بعض الشيء.

دار حوارٌ عقيم. عبثاً اقترحتُ عليها أن تجرّبهما، فقد عدّت ذلك مملّاً ومتعباً.

- هذا اللون الجميل سوف يناسبك تماماً.

عند هذه الكلمات، تغيّر الجوّ تماماً.

- هل تعتقدين ذلك حقّاً؟

تفحّصت بانتباهٍ شديدٍ الكنزة الفوشيّة ورفعت رأسها.

- سأشتريها إذاً.

وقفتْ في رتل الانتظار أمام صندوق المحاسبة. طويتُ الكنزة البنّية ووضعتها على الرفّ. تقلّصت استراحتي التي من المفروض أن تستغرق خمس وأربعين دقيقة إلى ثلاثين دقيقة.

دفعتُ الباب المخصّص للموظّفين وصادفتُ موظّفة تعمل لدى ماركة ملابس للشابّات، تدور تنوّرتها الفاخرة المتوهجّة حول جسدها.

حتى وإن كانت هؤلاء الموظّفات العاملات في المتاجر المتخصّصة وفريق الزيّ الورديّ المرجانيّ يعملن في الطابق نفسه المخصّص للأزياء، إلّا أنّهنّ يرتدين ملابس جميلة. لا شكّ في أنّهنّ يرتدين ملابس للبيع في متجرهنّ. وقد بدا مركز إيدن التجاري أنيقاً مع هكذا موظّفات ينسدل شعرهنّ المتموّج على بلوزة فخمة.

مررتُ إلى غرفة تبديل الملابس لآخذ منها حقيبتي التي تضمّ وجبتي من الطعام واتّجهتُ نحو قاعة طعام الموظّفين.

على قائمة الطعام، لم يكن لدينا خيار سوى بين الشعرية بالسوبا أو بالأودون، والأرزّ بالكاري، وصينية عليها دائماً نفس الأطباق المحدّدة. تناولتُ من تلك الأطعمة مرّات عديدة، ولكن ذات يوم تعاملت معي عاملة المقصف على نحوٍ سيّئٍ للغاية مع احتجاجي على خطأ في الطلب بحيث لم أكرّر التجربة بعد ذلك أبداً. ومنذ تلك الحادثة، أصبحتُ أجلسُ هناك فقط لأتناول شطيرة صغيرة أشتريها في طريقي إلى العمل من محلّ بقالة يبقى مفتوحاً على مدار الساعة:

انتشرت لمساتٌ من اللون الوردي المرجاني في كلّ مكان من قاعة الطعام. تحلّق هنا وهناك حول طاولات الطعام الموظّفون الذكور الذين يرتدون قمصاناً بيضاء وموظّفو متاجر الأزياء في ألبسة غير رسمية.

سمعتُ ضحكةً حادّة بالقرب منّي، قادمة من مجموعة من أربع موظّفات يعملن بدوامٍ جزئي، يرتدين البدلات، ويتحدّثن بحماسةٍ عن عائلاتهنّ. بدا أنّهن مستمتعات بالحديث. لا بدّ أنّ الزبائن اعتبرونا أعضاءً في الفريق الوردي المرجاني نفسه، ولكنّ بصراحة أخافتني هؤلاء النساء. لم أستطع أن أنافسهنّ، وإنّما اكتفيتُ بمراقبتهنّ من بعيد.

أنا لم أكن مثلهنّ في الواقع...

لقد انضممتُ إلى العمل في مركز إيدن التجاري لسببٍ وحيدٍ: لأنّ إيدن كانت الشركة الوحيدة التي وافقت على أن أعمل لديها.

أجهل ما الذي حثّني على تقديم طلبي لهذا المكان ولشركات أخرى مختلفة. على أيّة حال، لم أكن أمتلك مهارات معينة، ولذلك لم يكن مهمّاً بالنسبة إليّ أين أحصلُ على وظيفةٍ.

حينما أُبلغتُ، بطريقة غير رسمية، بقبولي في إيدن، كنتُ محبطة جدّاً من إخفاقاتي المتتالية لقرابة ثلاثين محاولة، ولذلك رضيت بالعمل في هذه الشركة. بالنسبة إليّ، كان الأمر الأساسي هو أن أتمكّن من الإقامة في طوكيو.

لم يكن لديّ هدف إنجاز مشاريع كبيرة فيها على الإطلاق. أردتُ أن أغادر الريف فحسب.

لم تكن قريتي الأمّ، البعيدة جدّاً عن العاصمة، سوى حقول للأرزّ على مدّ البصر. وكنّا نحتاج إلى خمس عشرة دقيقة بالسيارة

لكي نصل إلى محلّ البقالة الوحيد على الطريق السريع. كانت المجلّات التي تُباع في الأكشاك تصل متأخّرة بضعة أيام، ولم تكن هناك لا دور سينما ولا متاجر كبيرة. كما لم يكن هناك أيّ مطعم بمعنى الكلمة للمطعم، ويقدّم محلٌّ صغير الوجبات نفسها باستمرار ويُعدّ بمثابة المطعم الوحيد لكلّ القرية. سئمتُ تلك الحياة كثيراً منذ المرحلة الإعدادية من الدراسة وأردتُ أن أهرب منها بأسرع ما يمكن.

من الواضح أنني تأثّرتُ بالمسلسلات التلفزيونية التي كانت القنوات التلفزيونية الأربع المتوفّرة تبثّها. حلمتُ بطوكيو لأجد فيها كلّ شيء، ولأعيش حياتي برفاهٍ وشغفٍ مثل ممثّلة. فانكببتُ على دروسي بجدٍّ ونشاط لكي أنجح في امتحانات الدخول إلى جامعةٍ تكون فترة الدراسة فيها قصيرة.

حال وصولي إلى طوكيو، تبيّن لي أنّ رؤيتي تلك كانت مثالية، لكن في العاصمة، كانت خمس دقائق مشياً على الأقدام كافية لإيجاد متاجر صغيرة، ويسيرُ قطارٌ كلّ ثلاث دقائق. من هذه الناحية، كانت طوكيو بالفعل المدينة المثالية. استطعتُ أن أشتري الاحتياجات الأساسية والوجبات الجاهزة حالما أحتاج إليها. واعتدتُ تماماً على هذه الحياة السهلة. كان لشركة إيدن العديد من الفروع في منطقة كانتو بضواحي طوكيو، ولأنني كنتُ أعمل في فرعٍ عند موقفٍ واحدٍ للقطارات بالقرب من منزلي، لم يكن الطريق بين المنزل والعمل يتعبني.

لكن في بعض الأحيان، راود سؤالٌ ذهني. ماذا أفعل بمستقبلي؟

كانت الرغبة الحثيثة التي دفعتني للذهاب إلى العاصمة قد تلاشت وخمدت الحماسة التي دبّت فيّ بتحقيق هذه الرغبة.

كان من النادر أن يدرس أبناء قريتي هنا في طوكيو. فكان الجميع يهنّئونني لأنني، في نظرهم، كنتُ «رائعة»، الأمر الذي كان يُسعدني، ولكن في الواقع، لم أكن على شيءٍ من الروعة.

في الحقيقة، لم يكن أيّ شيء يثير الرغبة لديّ ولا أيّ شيء يسلّيني؛ لم أكن في علاقة مع شريكٍ، وكلّ ما تمنّيته هو أن تكفّ حياتي عن أن تكون بلا معنى. حتى إن عدتُ إلى القرية، لن أحقّق أيّ شيء.

ولذلك سوف أدع السنين تمرّ وأنا أحافظ على وظيفتي في إيدن. وسوف يحافظ جسدي على الزيّ الرسمي للعمل باللون الورديّ المرجانيّ، فارغاً من الطموح والحلم. علاوة على ذلك، ولأنني كنتُ أعمل خلال عطلة نهاية الأسبوع أيضاً، نادراً ما التقيتُ أصدقائي، ولم يكن هذا بالتأكيد السبب الوحيد، ولكنني لم أنجح في إيجاد حبيبٍ.

وماذا لو غيّرتُ عملي؟

خطرت لي هذه الفكرة مرّات عديدة. ولكنّها تطلّبتْ صرف طاقة باهظة لم أكن أتوفّر عليها. عموماً، ليست لديّ أيّ قوّة، وكان التفكير في إعادة كتابة سيرتي الذاتية كافياً لأن يُنهكني.

ثمّ، هل هناك عملٌ يمكنني جزئيّاً أن أقوم به، أنا التي لم أحصل سوى على وظيفة واحدة بعد التخرّج؟

ناداني كيرياما، وبين يديه صينيّة طعام:

- آه، توموكا!

كان موظّفاً شابّاً يعمل لدى مركزٍ متخصّصٍ بالبصريات يُدعى **زاز**. كان هذا الشابّ، البالغ خمسة وعشرين عاماً، أي يكبرني بأربع سنوات، هو الوحيد هنا الذي أتحدّث معه بكلّ صراحة.

كان قد انضمّ للعمل في هذا المتجر منذ أربعة أشهر. ولأنّه يعمل لدى زاز وليس إيدن، كان يُستدعى أحياناً للمساعدة في متاجر أخرى، ولذلك لم أكن قد رأيته منذ وقتٍ طويل.

رأيتُ على صينية طعامه طبقاً من سمك الأسقمري المغطّى بمسحوق الخبز وطبقاً من شعرية الأودون باللحم. رغم شهيّته المفتوحة، كان نحيلاً جدّاً.

- هل يمكنني الجلوس هنا؟

- نعم!

جلس أمامي. خلف نظارات ذات إطارٍ رفيعٍ ودائري تناسبه تماماً، بدت نظرته حنونة ودافئة. وكان عمله يليق به على نحوٍ مدهش. وقد سمعتُ أنّه استقال من عمله السابق لكي يشغل هذه الوظيفة.

سألته:

- ماذا كان عملك السابق؟

- كنتُ أعمل في تحرير المجلّات. وكنتُ أساهم في تصميمها، وأكتب المقالات.

- آه، حقّاً؟

لم أتصوّره في دار نشرٍ. بدا لي الآن الشابُ اللطيف والأنيس مثقّفاً وذكيّاً أيضاً. ففي نهاية المطاف، حتى خبرتنا المهنيّة تساهم في خلق صورةٍ عنّا.

- ما الذي فاجأكِ؟

- إنّها مهنة رائعة!

أفرج عن ابتسامةٍ خفيفة، ثمّ شرع في تناول طبقه من الشعرية.

- لكن العمل لدى متجرٍ متخصّصٍ في النظّارات رائعٌ أيضاً!

- هذا صحيح.

ضحكتُ وقضمتُ شطيرتي من النقانق.

- توموكا، أنتِ تردّدين دائماً كلمة «رائع».

- آه، حقّاً؟

هذا ممكنٌ جدّاً.

حينما تحدّثتُ مع سايا عن صديقها، استخدمتُ بلا شكّ هذه الكلمة مرّات عديدة. ولكن ما الذي أراه رائعاً؟ مهارات خاصّة؟ ثراء المعرفة؟ أمورٌ في متناول ثُلّة من الناس؟

وأنا أشرب كوباً من الحليب بالفراولة، همستُ:

- أتساءلُ إن كنتُ سأقضي حياتي في شركة إيدن.

رفع كيرياما حاجباً.

- ماذا هناك؟ أتُريدين أن تغيّري عملكِ؟

بعد تردّدٍ طفيف، أجبتُ باستحياء:

- نعم... لنقل إنني أفكّر في الأمر منذ فترة قصيرة.

- هل تنوين البقاء في مجال التجارة؟

- كلّا، أودّ أن أكون موظّفة مكتبية. أن أكون حرّة في ارتداء ملابسي كما أشاء، وأن تكون لدي عطلة نهاية أسبوع أقضيها في مكانٍ مخصّصٍ لي. أتخيّلُ نفسي أتناول الغداء في مطعمٍ قريبٍ من المؤسّسة مع زملائي، وننتقد رؤساءَنا في العمل في المطبخ...

- أنتِ لا تتحدّثين عن العمل...

بدت ابتسامته مليئة بالمرارة، ولكنني كنتُ أجهل تماماً ما هو العمل الذي سيناسبني.

- إذا واصلتِ العمل هنا بضع سنوات، سوف يمكنكِ المطالبة بالانتقال إلى المقرّ الرئيسي للشركة للعمل المكتبي، أليس كذلك؟

- بالتأكيد.

في شركة إيدن، كان المرء، بعد أن يُوظَّف، يقضي على الأقلّ ثلاث سنوات في العمل الميداني، ثمّ يمكنه الانتقال إلى المقرّ الرئيسي للعمل المكتبي إذا طالب بذلك: في قسم الشؤون العامّة، أو في قسم الموارد البشرية، بل وحتى في قسم التنمية، المكلّف بالمشتريات أو تنظيم الفعاليّات. أي، العمل المكتبي.

ولكن كان هناك القليل من الأمل في أن تتحقّق أمنيتنا. فعندما يبقى المرء في المتجر لفترة من الزمن، كان الأرجح هو حصوله على ترقية كرئيس قسم، مثل أوجيما، رئيسي في العمل. هو الذي كان أبعد ما يكون عن الدافع والحماسة، ها قد مضت خمس سنوات على استلامه هذا المنصب، وعندما كنتُ أراه وقد تجاوز الخامسة والثلاثين من عمره، كنتُ أقول في نفسي إنني في أحسن الأحوال، سوف أنتهي بأن أصبح مثله. يُسمى هذا «ترقية»، لكنّ مضمون العمل يبقى نفسه، فقط تزداد مسؤوليةُ مَن ينالها، وخاصّةً، إدارة الموظفين العاملين بدوامٍ جزئيٍّ. هذه الفكرة وحدها كانت كافية لتُرعبني. يتلقّى الموظّف زيادة صغيرة في الراتب، ولكنني لم أكن أثق بنفسي بما فيه الكفاية لممارسة هذه المهنة.

سألتُ كيرياما:

- كيف وجدتَ وظيفتك في متجر زاز؟

- تقدّمتُ إلى الوظيفة على موقعٍ متخصّص. واخترتُ الوظيفة من بين الكثير من الإعلانات.

أمسك بهاتفه وأراني.

عن طريق إدخال أنواع الوظيفة المرغوب فيها وخبرة ومؤهلات

المتقدّم إليها، يتلقّى مقدّم الطلب عبر رسالة بالبريد الإلكتروني عروض العمل المناسبة. وكان نموذج الاستمارة المعدّ مسبقاً مفصّلاً جدّاً مع وجود خانات فارغة يملأها المتقدّم إلى الوظيفة، تتضمّن: المؤهّلات، نتيجة اختبار TOEIC الخاصّ باللغة الإنجليزية، رخصة قيادة السيارة. . .

- ولكنني لا أحمل سوى المستوى الثالث في اختبار اللغة الإنجليزية للمهارات العملية Eiken. . .

كان عليّ أن أحصل على رخصة القيادة على الأقلّ، فسكّان قريتي لا يستطيعون العيش من دون سيارة، ولذلك كانوا يخضعون لدورات تدريبية في مدارس تعليم قيادة السيارة خلال عطلة فصل الربيع، حالما يحصلوا على شهادتهم الثانوية. وإذ كنتُ أتهيّأُ للسفر إلى طوكيو، اعتبرتُ ذلك بلا جدوى واستمتعتُ بعطلتي. أمّا بالنسبة إلى اختبار اللغة الإنجليزية، فقد ألزمتنا المدرسة الإعدادية بأن نتجاوز المستوى الثالث، وهي شهادة ليست لها أيّ قيمة.

كان المقطع الخاصّ بمهارات تكنولوجيا المعلومات في استمارة التسجيل أكثر دقّة حتى، بشأن إجادة برامج وورد وإكسل وباوربوينت، وبرامج أخرى كان اسمها مجهولاً بالنسبة إليّ.

كان لديّ حاسوب محمول، استفدتُ منه خلال دراستي الجامعية في كتابة المحاضرات والبحث الخاصّ بنهاية الدراسة الجامعية. ولكن منذ دخولي إلى عالم العمل، لم تعد لديّ فرصة لكتابة أيّ نصوص. بين عشية وضحاها، تعطّل جهاز البث وتقاعستُ عن شراء جهازٍ جديد وتوصيله بشبكة الواي فاي، خاصّة وأنني لم أكن خبيرة في مجال المعلوماتية، ولذلك لم أعد أشغّل حاسوبي أبداً، واكتفيتُ باستخدام هاتفي الذكيّ الذي أغناني عن الحاسوب.

- أنا أُجيدُ إلى حدٍّ ما استخدام وورد في كتابة النصوص، ولكنني لا أُجيد استخدام إكسل.

- إنّه برنامجٌ لا بدّ من إتقانه للعمل المكتبي.

- لكن الدروس باهظة الثمن.

- المراكز الثقافية أو الدوائر البلدية توفّر غالباً دورات تعليمية، مع دروس في تكنولوجيا المعلومات بأسعار معقولة لسكان الحيّ.

سألتُ باستغراب:

- آه، حقّاً؟

لملمتُ الكيس الفارغ لشطيرتي، ونظرتُ إلى ساعة يدي: كان قد بقي لي أقلّ من عشر دقائق. وكان عليّ أن أمرّ على المغاسل، وفي حال لم أعد إلى صندوقي للمحاسبة قبل الموعد بثلاث دقائق، سوف تضايقني نوموتشي.

أنهيتُ كوبي من الحليب بالفراولة، ونهضتُ من الكرسي.

لمّا حلّ المساء، أجريتُ بحثاً على هاتفي بإدراج كلمات «حي هاتوري» الذي كنتُ أُقيم فيه، و«مقيمون»، و«دروس المعلوماتية»، وانذهلتُ لعدد النتائج الكبير.

توقّفت عيناي على «مركز هاتوري الاجتماعي». تحقّقتُ من العنوان واكتشفتُ أنّه يقع على مقربة من منزلي. بدا لي أنّه ملحقٌ بمدرسة ابتدائية تقع على مسافة تقلّ عن عشر دقائق سيراً على الأقدام.

بحسب موقعهم الرسمي، كانوا يوفّرون دورات تدريبية مختلفة ويقدّمون فعاليات عديدة: الشطرنج الياباني شوغي، شِعر هايكو الياباني، الإيقاع، الرقص الخاصّ بجزر هاواي، الجمباز، كما

كانوا ينظّمون معارض إيكيبانا لتنسيق الزهور على نحوٍ منتظم على سبيل المثال؛ ويمكن لجميع سكان الحي المشاركة في هذه النشاطات.

كنتُ أجهلُ أنّ مدرسة ابتدائية تقدّم هذا النوع من الخدمات. خلال ثلاثة أعوام من العيش هنا، كانت هذه المرّة الأولى التي أسمع فيها بذلك.

وذُكِر على الموقع أنّ دروس المعلوماتية تجري في إحدى قاعات الاجتماعات.

«على المشترك إحضار حاسوبه المحمول، وإلّا فالإعارة ممكنة. ألفان ين قيمة الحصة. كلّ يوم أربعاء من الساعة الثانية حتى الرابعة».

كانت حصةً جماعية مع متابعة شخصية وإمكانية الحضور وقتما نشاء. أفرحني أنّ الحصص تجري خلال أيام الأسبوع العادية وليس أيام عطلة نهاية الأسبوع. وخلال هذا الأسبوع، لديّ فراغٌ في يوم الأربعاء تحديداً.

«نستقبل المبتدئين. الدورة يُنصح بها الأشخاص الراغبين في التعلّم وفق الوتيرة التي تناسبهم. التدريس فرديٌّ. الدروس المُتاحة: استخدام الحاسوب، وورد، إكسل، إنشاء موقع على الإنترنت، تشفير. اسم المعلّم: غونو».

كانت الدورة مناسبة لي تماماً.

ملأتُ استمارة التسجيل وأرسلتها. حتى دون أن أبدأ الدروس،

تخيّلتُ نفسي أُجيد استخدام برنامج إكسل، وشعرتُ بالسرور، وهو شعور لم أكن قد شعرتُ به منذُ دهرٍ.

بعد مضي يومين، يوم الأربعاء، ذهبتُ إلى المدرسة الابتدائية مع حاسوبي.

بحسب المخطّط الموجود على الموقع الرسمي، يقع المدخل في ممرٍّ ضيّقٍ بعد الالتفاف على جدار السور. كان مبنى أبيض اللون من طابقٍ واحدٍ. وجدتُ فوق بابه الزجاجي لافتة تشير إلى: «مركز هاتوري الاجتماعي»، وقد نُصبَ فوقها سقفٌ صغير يشكّل ما يشبه مظلّة واقية.

دفعتُ الباب. كان مكتب الاستقبال في المدخل مباشرةً، يجلس خلف طاولته رجلٌ ذو شعرٍ أبيض كثيفٍ. وفي مكتبٍ يقع في آخر القاعة، رأيتُ سيّدةً تعقد حول رأسها منديلاً تكتبُ شيئاً ما. توجّهتُ إلى الرجل.

- صباح الخير، جئتُ من أجل دورة دروس المعلوماتية.

- ممتاز، اِمْلَئِي هذه. سوف يُعطى الدرس في القاعة (أ).

أشار إلى لوحٍ مشبكي على المنضدة، يضمّ استمارة عليها اسم الزائرين، والغرض من الحضور وتوقيت الوصول.

كانت القاعة (أ) تقع في الطابق الأرضي. بعد المرور بمكتب الاستقبال، وجَبَ الذهاب مباشرةً إلى اليمين في الصالة. وإذ كان الباب مفتوحاً، ألقيتُ نظرةً على الداخل. شاهدتُ امرأةً ذات شعرٍ متموّج، تكبرني سنّاً قليلاً، ورجلاً ذا وجهٍ مربّع الشكل يهمّان بتشغيل حاسوبيهما، يجلسان قبالة بعضهما إلى طاولتين طويلتين.

كنتُ أعتقد أنّ المعلّم غونو رجلٌ، ولكن هذه امرأة في حدود الخامسة والخمسين من عمرها.

قلتُ:

- كنيتي هي فوجيكي.

فأفرجت السيّدة غونو عن ابتسامة مليئة بالحماسة.

- اِجْلسي حيث تشائين!

جلستُ إلى طرف الطاولة التي تجلسُ المرأة الشابّة إليها. كانا، هي والرجل، منهمكين في عملهما ولذا لم ينتبها إليّ.

شغّلتُ حاسوبي. ومن باب الحرص والاحتياط، كنتُ قد تحقّقتُ من حسن عمله في البيت، وذلك لأنني لم أقم بتشغيله منذ زمنٍ طويلٍ. ورغم المدّة الطويلة التي استغرقها في إقلاعه، ربّما لأنّه ظلّ متوقّفاً لزمنٍ طويلٍ، إلّا أنّه اشتغل دون أي مشكلة.

ولأنني لم أكن أستخدم سوى هاتفي، عانيتُ صعوبة بالغة في النقر على أزرار لوحة الحاسوب. ربّما كان عليّ أن أتدرّب على برنامج وورد أيضاً.

- سيّدة فوجيكي، أنت ترغبين في التدرّب على برنامج إكسل، هل هذا صحيح؟

كانت تعلم ذلك لأنني أوضحتُه أثناء مَلء استمارة التسجيل. تفحّصت السيّدةُ غونو حاسوبي.

أجبتُ:

- نعم، ولكنّ البرنامج ليس موجوداً لدي.

تفحّصت سريعاً الشاشة وحرّكت الفأرة بسلاسة.

- بلى، البرنامج موجودٌ لديكِ. أنشأتُ لكِ اختصاراً.

على سطح الشاشة، ظهرت أيقونة مربّعة الشكل خضراء اللون، مع حرف «X» اختصاراً لاسم البرنامج «Excel».

اندهشتُ ممّا اكتشفت؛ فهذا الحاسوب فيه برنامج إكسل دون أن أدري!

- من الواضح أنّكِ تستخدمين برنامج وورد، فقلتُ في نفسي إنّ حزمة مايكروسوفت أوفيس المكتبية لا بدّ أن تكون منصوبة في جهازك.

«حزمة مايكروسوفت أوفيس المكتبية لا بدّ أن تكون منصوبة»؟ لم أفهم كلمة واحدة من هذه العبارة، ولكنني سُعدتُ بامتلاك البرنامج. لأنني كنتُ غير قادرة على تنزيل برنامج وورد، طلبتُ المساعدة من إحدى زميلاتي في الصفّ أثناء الدراسة. هذا ما يحصل حينما ندع الآخرين يتصرّفون بدلاً منّا.

خلال ساعتين، تعلّمتُ أسس برنامج إكسل بفضل السيّدة غونو. تناوبتْ في الذهاب والإياب بين المتدربين الآخرين، علاوة على إيلاء اهتمام خاصٍّ بي أنا، المتدرّبة الجديدة.

كانت دهشتي الكبيرة في حصولي على مجموعٍ فقط من خلال إدراج الأعداد في الخانات، واختيار الكلّ والضغط على زرٍّ. صحتُ، معجَبَةً بوظيفةٍ عملية كهذه، الأمر الذي جعل المعلّمة تضحك.

بينما كنتُ أعمل وفقاً لتعليماتها وإرشاداتها، سمعتُ الحديث الذي دار بينها وبين المتدرّبَين الآخرين. كانا قد خضرا عدة حصص. أنشأ الرجل موقعاً متخصّصاً بالزهور البرّية، في حين أرادت المرأة الشابّة إطلاق متجرٍ للبيع عبر الإنترنت.

في حين لم أكن أفعل أيّ شيء من حياتي، كانا ينشطان في

سبيل اكتساب مهارات جديدة في قاعة صغيرة بالقرب من منزلي تماماً. لمّا فكّرتُ في ذلك، شعرتُ بأني أيضاً أكثر فشلاً وبؤساً.

عند نهاية الدرس، قالت لي السيّدة غونو:

- ليس لديّ كرّاسٌ أُعيركِ إيّاه، ولكنني أنصحكِ بهذا الكتاب. هناك الكثير من الكتب من هذا النوع، حاولي أن تبحثي عنها في مكتبة لبيع الكتب أو في مكتبة عامّة إذا ما عثرتِ على كتابٍ يبدو لكِ بسيطاً وسهلاً على الفهم.

أرتني كرّاساً عن المعلوماتية وأردفت، مع ابتسامةٍ على شفتيها:

- لدينا مكتبة عامّة حتى هنا داخل المركز الاجتماعي!

مكتبة عامّة.

كان لهاتين الكلمتين رنينٌ ممتعٌ، كما لو أنني عدتُ من جديد إلى الكليّة في الجامعة. **مكتبة عامّة.**

- هل نستطيع أن نستعير منها كتباً؟

- نعم، إذا كنتِ تقيمين في هذا الحي. يمكنكِ أن تستعيري حتى ستّة كتب لمدّة أسبوعين، بحسب ما أعتقد.

نادى الرجل السيّدة غونو، التي ذهبت إليه في الحال.

دوّنتُ عنوان الكتاب الذي أوصتني به، وأطفأتُ حاسوبي، وغادرتُ المكان.

كانت المكتبة تقع في الطرف البعيد من الطابق الأرضي، بجانب المطبخ، بعد قاعتين للاجتماعات، وغرفة مؤثّثة على الطراز الياباني.

عند المدخل، تحملُ لوحةٌ جدارية عالية كلمةَ: «المكتبة»؛ ووجدتُ الباب مفتوحاً على مصراعيه.

من خلال إلقاء نظرة خاطفة، لمحتُ رفوفَ كتبٍ مصفوفة على مساحة تناهز مساحة قاعة دراسية. يقع مكتب الاستقبال إلى اليسار بعد الباب، مع لافتة صغيرة عند إحدى زوايا المنضدة تحمل عبارة: «إعارة - إعادة».

رأيتُ شابّة قصيرة القامة ونحيلة، ترتدي مريولاً أزرقَ داكناً، ترتّب كتبَ جيبٍ على رفٍّ قبالة مكتب الاستقبال. سألتها دون تردّد.

- المعذرة، أين رفّ كتب المعلوماتية؟

رفعت رأسها فجأةً، كما لو أنّها ذُهِلَت. كانت صغيرة السنّ، بحيث بدت أنّها طالبة في المرحلة الثانوية. تمايل طرف جديلة شعرها. بحسب الشارة الاسمية المعلّقة على صدرها، تُدعى نوزومي موريناغا.

- رفّ كتب المعلوماتية؟ اتبعيني.

حاملة عدّة كتبٍ بين يديها، مشت بمحاذاة طاولة مطالعة وقادتني إلى رفٍّ كبيرٍ يستند إلى الجدار.

المعلوماتية، الرياضيات، كتب التأهيل. كانت فواصل تقسّم الرف إلى أقسام، وتسهّل بذلك تصنيف الكتب.

- أشكركِ.

وضعتُ عينيّ على الرفّ، عندما قالت لي نوزومي، مبتسمةً:

- إذا احتجتِ إلى المساعدة، لا تتردّدي، فأمينة المكتبة موجودة في آخر القاعة.

- المساعدة؟

- نعم، للعثور على الكتاب الذي تبحثين عنه.

- شكراً.

أومأت لها برأسي، فردّت عليّ بتحيّة خفيفة من يدها، وعادت إلى مهمّتها.

جلتُ ببصري على الرفّ، ولم ألقَ أيّ أثرٍ للكتاب التعليمي الذي نصحتني به السيّدة غونو. وإذ كنتُ أجهل تماماً الكتاب الذي قد يناسبني، قرّرتُ استشارة أمينة المكتبة.

بحسب أقوال نوزومي، كانت في آخر القاعة. عدتُ إلى مكتب الاستقبال ومن هناك، رأيتُ ستاراً فاصلاً في نهاية المكتبة مع لافتة صغيرة معلّقة بالسقف، عليها كلمة «استشارات».

لكن حينما تجاوزت الحاجز، اتّسعت حدقتا عينيّ.

وجدتُ أمينة المكتبة تجلس هناك، وتملأُ كامل المساحة بين الستار ومكتب على شكل حرف L.

كانت سيّدة حقّاً... حقّاً ضخمة. أكثر من كونها بدينة، كانت طويلة جدّاً. بشرتها بيضاء، ورقبتها عريضة جدّاً بحيث التصق ذقنها بها. كانت ترتدي مريولاً صوفي اللون فوق سترة ضاربة للبياض. كان شكلها يشبه دبّاً قطبيّاً في حالة سباتٍ داخل كهفٍ. شعرها مشدودٌ إلى الخلف بمشبكٍ صغير، وقد غُرِزَ فيه دبّوسٌ طويل وفي نهايته ثلاثة عناقيد أنيقة من الزهور البيضاء. خافضةً رأسها للأسفل، بدت منشغلةً، ولكنني لم أرَها جيّداً من الموقع الذي كنت أنظر إليها منه.

أوضحت الشارة الاسمية المعلّقة حول رقبتها: «سايوري كوماتشي». يا له من اسمٍ جميل!

اقتربتُ منها وقلت:

- المعذرة...

ارتفعت نظرتها، وفقط نظرتها، فجأةً نحوي. كانت نظرتها حادّة جدّاً، لأنّها امتنعت عن رفع جبينها، بحيث انثنت ساقاي تحتي... نظرتُ إلى يديها: على طاولة مكتبها، غرزت إبرةً في كرةٍ تشبه كرة البينغ بونغ، على قطعةِ سجّادٍ بحجم بطاقة بريدية.

كدتُ أطلق صيحةً. ماذا كانت تفعل؟ هل كانت تُلقي تعويذة؟

- أوه... لا... لا شيء.

كنتُ أتهيّأ للفرار لمّا سألتني:

- عمّ تبحثين؟

جمّدني هذا الصوت في مكاني.

رغم نبرته الرتيبة، كان صوتاً دافئاً وحنوناً جدّاً بحيث توقّفت ساقاي، المستعدتين للفرار، فوراً. أشاعت هذه الكلمات، المبثوثة من دون ابتسامة، شعوراً قويّاً وغريباً بالارتياح.

«... عمّ تبحثين؟».

ما كنتُ أبحثُ عنه هو...

كنتُ أبحثُ عن هدفٍ يحفّزني على العمل، أبحثُ عمّا أنا قادرةٌ على تحقيقه.

حتى لو حدّثتُها عمّا أريد، لن تستطيع أن تجيبني. عرفتُ تماماً أنّ سؤالها لم يكن يذهب إلى حدّ معرفة حاجتي الحقيقية.

- أوه... كتابٌ عن المعلوماتية...

أمسكت سريعاً بعلبة صغيرة باللون البرتقالي الداكن كانت في متناول يدها. بأطرافها السداسية وزهورها البيضاء، تعرّفتُ على علبة كعك من هاني دوم. كان هذا الكعك الطرّي على شكل قباب، الذي

أنا أيضاً أحبّه كثيراً، يشهد منذ زمنٍ طويل نجاحاً باهراً من ماركة كوريميادو. لم يكن منتوجاً فاخراً، ولكنّه ذا جودة عالية، ولا يتوفّر في كلّ المتاجر.

تحت الغطاء، لمحتُ بعض الإبر ومقصّاً صغيراً. كانت كوماتشي تستخدمها كعلبة لأدوات الخياطة. وضعت الإبرة والكرة فيها، ثمّ نظرت إليّ بإمعانٍ.

- وأيّ كتابٍ، بالتحديد؟

- أريدُ كتاباً عن برنامج إكسل، بمستوى يتيح لي ملء خانة «المؤهلات».

- خانة «المؤهلات»؟.

- أرغب في أن أسجّل اسمي في موقعٍ خاصٍّ بالبحث عن العمل. أنا لا أرى أي معنى ولا أيّ هدف لعملي الحالي.

- وما هو العمل الحالي الذي تزاولينه؟

- عملٌ لا أهمية له. أبيع ملابس نسائية في متجرٍ.

حنت كوماتشي رأسها بارتيابٍ. تلألأت زهور المشبك المغروز في كعكة شعرها.

- هل تعتقدين حقّاً أنّ عملكِ... كبائعة في متجرٍ ليس مهمّاً؟

قطعت كلماتها أنفاسي. لزمت كوماتشي الصمت. وانتظرت بفارغ الصبر جوابي.

- ولكن... هذه الوظيفة في متناول أيٍّ كان. في البداية، كنتُ متحمّسة جدّاً، ليس لأنّها كانت وظيفة أحلامي، وإنّما فقط لأنني انضممتُ إلى العمل في شركةٍ. فكان لا بدّ لي من العمل. وعلاوة على ذلك، أنا أعيشُ وحيدة دون أن يكون هناك أحدٌ يعتني بي.

- ومع ذلك، بحثتِ عن عمل، وتوظفت، وتعملين كلّ يوم وتتغذين من ثمرة عملك. أجد هذا رائعاً.

أوشكتُ على البكاء. اعترفتْ بجهودي المبذولة.

- لا يمكن في الحقيقة القول إنني أتغذّى... فأنا أشتري شطائر صغيرة من محلّ البقالة.

ألقيتُ الكلام على عواهنه على أمل أن أبدّد انفعالي. ولكنني كنتُ أعرف جيّداً أنّها لم تقصد بكلامها هذه الجزئية. أمالت كوماتشي رأسها إلى الجانب الآخر.

- على أيّة حال، إن الرغبة في جني معارف جديدة تصرّفٌ ممتاز، أيّاً يكن السبب.

استدارت نحو حاسوبها ووضعت يديها على لوحة المفاتيح.

ثم بدأت تنقر على الأزرار بأقصى سرعة. تكتكتكتكتكك! اندهشتُ لأنّه استحال عليّ أن أتابع حركاتها بنظري.

وفي النهاية، ضغطت على زرّ «إدخال» بحركة رشيقة من يدها. وفي الحال، انطلقت الآلة الطابعة المركونة بجانبها.

- هذا ما تحتاجين إليه للبدء بتعلّم برنامج إكسل.

ناولتني الصفحة المطبوعة حديثاً. في قائمةٍ، شاهدتُ عناوين الكتب وأسماء مؤلّفيها، مرفقة بأرقام: رقم التصنيف ورقم الرفّ. **تعليم وورد وإكسل للمبتدئين؛ الدليل الأوّل حول إكسل؛ الدليل العملي والسريع لإتقان إكسل بقليلٍ من الوقت؛ اليسير في تعليم برنامج أوفيس**. وفي الجزء السفلي من الصفحة، ملحقٌ غامض من الحروف. مكتبة سُر مَن قرأ

غوري وغورا.

قرأت مقاطع هذه الكلمات بذهول.

غوري وغورا؟ حقّاً؟ القصّة المصوّرة للأطفال مع فأرَين بريين؟

- آه، وهذا أيضاً.

أدارت كوماتشي كرسيّها ومدّت يدها تحت منضدة مكتبها.

انحنيتُ بدافع الفضول ورأيتُ خزانة خشبية صغيرة فيها خمسة أدراج. سحبت كوماتشي الدرج العلوي. لم أستطع أن أتبيّنه بوضوح من موقعي، ولكنّه كان مليئاً بأقمشة ناعمة متعددة الألوان. أمسكت من بينها بشيءٍ ومدّته نحوي.

- تفضّلي، هذا لكِ.

في يدي التي انفتحت تلقائيّاً، وضعت شيئاً صغيراً خفيفاً: قطعة دائرية سوداء بحجم قطعة نقدية من فئة خمسمائة ين، مع مقبضٍ.

. . . مقلاة؟

كانت قطعة تلبيد بالإبرة[1] على شكل مقلاة. مع حلقة ذهبية صغيرة جدّاً معلّقة بمقبضها.

- ما هذا؟

- هدية إضافية صغيرة.

- كيف هذا؟

- الجميع يحبّون تلقّي هدية مع كتابٍ!

تفحّصتُ المقلاة. هديّة مع كتابٍ. . . حسناً، هذا شيءٌ لطيف.

أخرجت كوماتشي من جديد الإبرة والكرة من علبة الكعك.

- هل سبق وأن مارستِ التلبيد بالإبرة؟

- لا، ولكن رأيت بعضها على تويتر.

---

(1) التلبيد بالإبرة: حرفة لتصميم أشكال مختلفة من الصوف الخام المندوف باستخدام إبرة مدبّبة خاصة - المترجم.

لوّحت بالإبرة أمامي. كان الطرف العلوي منها يشكّل زاوية قائمة، وكان الرأس السفلي مدبّباً ومستّناً.

قالت:

- هذا نشاطٌ غريب، أليس كذلك؟ غرز الإبرة على نحوٍ متكرّر يجعل الصوف المندوف صلباً. وخز الصوف بالإبرة مراراً وتكراراً يخلق شكلاً من خلال تشابك خيوط الصوف الدقيقة، بفضل الآلية الخاصّة في طرف الإبرة.

ثمّ عاودت وخز الكرة بالإبرة. لا بدّ أنّها قد صمّمت المقلاة. كان درج الخزانة الصغيرة مليئاً بالقطع الصوفية الملبّدة. هل هذه هدايا لتقديمها لزوّار المكتبة؟

وكما لو أنّها أرادت أن تُشير إلى أنّ مهمّتها كأمينة للمكتبة قد أُنجِزَت، حرّكت يدها على نحوٍ محموم. راودتني أسئلة كثيرة لأطرحها عليها، ولكن ربّما كنتُ سأزعجها بها، فاكتفيتُ بأن شكرتها وابتعدتُ عنها.

كان الرفّ المذكور في الورقة هو نفسه الذي أشارت إليه نوزومي من قبل. قارنتُ بين الكتب، ثمّ اخترت من بينها الكتابين الأكثر بساطةً.

ظلّ كتاب **غوري وغورا**، الوحيد الذي يحمل عنواناً برمزٍ مختلف.

كنتُ قد قرأته مرّات عديدة في روضة الأطفال، وكانت أمّي قد قرأته لي أيضاً على ما أعتقد. ولكن لماذا نُصِحتُ به؟ أتكون كوماتشي قد ارتكبت خطأً مطبعيّاً؟

كانت فسحةٌ قرب النافذة، محاطة برفوفٍ منخفضة، تضمّ

ألبومات اليافعين وكتب الأطفال. وعلى الأرض، امتدّت بلاطات من الإسفنج مُنِع السيرُ عليها بالأحذية.

وسط هذه الكتب الفاتنة، شعرتُ في الحال بالارتياح. كانت في المكتبة ثلاث نسخ من كتاب غوري وغورا، وذلك لأنّ هذا الكتاب يُعدّ من الكتب الكلاسيكية التي تحظى بشعبية كبيرة. وماذا لو استعرته أيضاً؟ فهذا لن يكلّفني شيئاً.

وضعتُ كتابَي المعلوماتية وكذلك كتاب **غوري وغورا** على مكتب نوزومي، واستخرجتُ بطاقة مكتبة من خلال تقديم وثيقة إثبات الإقامة في المنطقة واستعرتُ الكتب.

في طريق العودة، توقّفتُ في محلّ البقالة، حيث اشتريتُ لفافة بالقرفة، وكوباً من القهوة بالحليب البارد.

بعدما التهمتُهما أمام التلفزيون، اشتهيتُ شيئاً مالحاً، فأخرجتُ كوباً من الشعرية سريعة التحضير من خزانتي التي تعجّ بها. أشارت ساعة يدي إلى الساعة السادسة مساءً، وهو التوقيت الذي أتناول فيه وجبة العشاء.

أشعلتُ النار تحت إبريقي المليء بالماء، وأخرجتُ الكتب من حقيبتي. كراريس المعلوماتية... تخيّلتُ نفسي أهمّ بالنقر على لوحة مفاتيح حاسوبٍ في مكتبٍ، كخبيرة.

وكان هناك الكتاب الإضافي: **غوري وغورا**.

كان غلافه أبيض اللون وصلباً. بدا لي الكتاب أثناء طفولتي أكبر حجماً، ولكن ما إن أصبح في يدي، وجدته بحجم دفتر ملاحظاتٍ تقليديٍّ. ربّما بدا لي الكتاب كبيراً لأنّه يُفتَحُ أفقيّاً.

تحت العنوان المكتوب بأسلوب طباعة شبيه بخط اليد، يسيرُ

فأران برّيان يحدّقان في عيني بعضهما، وهما يمسكان بسلّةٍ بمرحٍ. يرتديان زيّاً متماثلاً، مكوّناً من قبّعة ووزرة، زرقاوين لفأر اليسار، وحمراوين لفأر اليمين.

لم أعد أتذكّر أيّهما غوري وأيّهما غورا. في ذاكرتي، كانا توأمين.

من خلال الانتباه إلى العنوان، لاحظتُ أنّ كتابة «غوري» بالأزرق، و«غورا» بالأحمر.

آه، الآن فهمتُ الأمر على نحوٍ أفضل.

سُعدتُ بملاحظة ذلك. ستكون العودة إلى القصة أسهل.

تصفّحتُ الكتاب لكي أتابع الحبكة. خلال نزهةٍ في الغابة، يكتشف غوري وغورا بيضةً عملاقة... نحو نهاية القصّة، كانت هناك فطيرة عملاقة في مقلاةٍ كبيرة تشغل صفحة مزدوجة.

لقد تلقّيتُ مقلاة من كوماتشي. عند هذه الفكرة، قرأتُ النصّ في هذه الصفحة.

«كعكة الكاستيلا جاهزة، مقمّرة تماماً وطريّة تماماً».

فاجأتني هذه الجملة بعض الشيء.

كعكة الكاستيلا؟ لطالما اعتقدتُ أنّ هذه فطيرة.

عدتُ إلى الوراء، عندما كان غوري وغورا يحضّران العجين. كانا يخلطان البيض والسكّر والحليب والطحين، ثمّ يطبخان المستحضر في المقلاة. وصفةٌ أسهل ممّا افترضت.

بدأ الإبريق بالصفير.

نهضت، وفصلتُ الغاز، وحللتُ كوب شعرية الرامين.

ظننتُ أنني قرأتُ هذه القصة عدّة مرّات، لكنني نسيتُ الحبكة. أو بالأحرى، تذكّرتها بطريقتي الخاصّة.

فمن المهمّ أن يعيد المرءُ، وهو راشدٌ، قراءة كتابٍ اكتشفه في طفولته، لأنه يجد فيه عناصر جديدة.

سكبتُ الماء المغلي فوق شعريتي، وحينما أغلقتُ الغطاء، رنّ هاتفي.

كانت سايا التي نادراً ما تتّصلُ بي. الأمر الذي دلّ على أنّها إمّا مكتئبة أو سعيدة.

بعد ثوانٍ من التردّد، والنظر خلسةً إلى كوبي المليء بالماء الساخن، فتحتُ السمّاعة.

- آه، توموكا، أعتذِرُ لأنني أتّصل بكِ على حينِ غِرَّة. أنتِ في عطلةٍ اليوم، هل هذا صحيح؟

- نعم.

قالت، مرتبكةً:

- اعذريني، أحتاج إلى مشورتكِ. هل يمكننا أن نتحدّث؟

- لا تقلقي، ماذا جرى لكِ؟

تغيّرت نبرة صوتها فجأةً حالما أصبحتُ أصغي إليها باهتمام.

- حسناً... في الشهر القادم، يحلّ عيد الميلاد. قرّرنا، أنا وصديقي، أن نتصارح بشأن ما نُريد. ولكنني لا أدري ماذا أطلب. طلبُ هديّة ثمينة لن يكون أمراً لطيفاً، وطلبُ هديّة رخيصة قد يُحبطني. ولأنّكِ صاحبة ذوقٍ رفيع، اعتقدتُ أنّ لديك فكرة بالتأكيد.

كانت سعيدة إذاً.

فكّرتُ في الشعرية الجاهزة، وندمتُ قليلاً على الردّ على مكالمتها. كان من الممكن أن تتأجّل هذه المحادثة إلى ما بعد الانتهاء من وجبتي. ولكنني عجزتُ عن إرجائها إلى وقتٍ لاحق، فأطلقتُ كلمة «آه...»، ثمّ شغّلت مكبر الصوت على الهاتف

ووضعتُ الجهاز على الطاولة المنخفضة. فصلتُ عيداني الخاصّة بالطعام، وبدأت أتناول الشعرية دون صخبٍ، مُصادقةً على أقوال سايا ببعض المداخلات. وكما لو أنّ نبرة صوتي كشفت عدم حماستي، سألتني:

- هل أزعجتكِ باتّصالي؟ ماذا تفعلين؟

كنتُ سأتناول الشعرية، أقصد أنني كنتُ أتناولها. ولكيلا تحسّ بشيء، أجبتُ:

- لا، لا بأس. كنتُ أقرأ قصّة للأطفال، **غوري وغورا**.

- **غوري وغورا**؟ الفأران البرّيان اللذان يعدّان طبقاً من العجّة؟

أنا التي كنتُ أعدّها فطيرةً، كنتُ بالتأكيد أقرب إلى الحقيقة.

- ليست عجّة، بل كعكة الكاستيلا الإسفنجية.

- ماذا؟ ولكنّهما عثرا على بيضةٍ أثناء نزهةٍ في الغابة، أليس كذلك؟

- بلى، وقد فكّرا بما يفعلان بها واختارا كعكة الكاستيلا.

- آه، حقّاً؟ وحده من يطبخُ كثيراً يستطيع أن يملك هذه الفكرة. لن يتبادر هذا إلى ذهن المرء إذا كان لا يدري ما الذي يفعله بالبيضة.

كانت هذه طريقة مختلفة لرؤية الأمور.

شربتُ عصارة الشعرية.

استأنفت سايا حديثها:

- أنتِ بالفعل مختلفة عن الآخرين. إنّ قراءة كتابٍ للأطفال في يوم العطلة أمرٌ راقٍ وذكيّ. هل هناك الكثير من هذا في طوكيو؟

- ليست لديّ فكرة عن ذلك، ولكن يمكن للمرء أن يقرأ كتباً للأطفال في بعض المقاهي.

كان جوابي مراوغاً عن قصد. كانت سايا، بعد المرحلة الثانوية، قد قدّمت يد المساعدة في متجر عائلتها للتجهيزات المنزلية، وكانت مقتنعة بأنني مَدَنيّة مؤهّلة لأن أعلّمها أموراً حول العالم المجهول لمدينة طوكيو.

- أنتِ رائعة! بالنسبة إلينا، أنتِ واعدة جدّاً، أنتِ، المرأة المُجدّة التي غادرت لتباشر حياتها المهنية في العاصمة!

- الأمر ليس هكذا.

مليئة بشعور بالذنب، أنكرتُ ذلك. أحسستُ أنّ في صراحة سايا المليئة بالنقاء ينعكس، كما في مرآةٍ، قُبحُ قلبي.

كنتُ قد أخبرتها بأنني أعملُ في عالم الأزياء. وكانت كلمة الأزياء هذه قد خطرت في بالي، وهي صادقة وعلى حافّة الكذب في آنٍ، نظراً لأنني كنتُ أعمل في مجال بيع الألبسة. حتى أنني لم أذكر اسم مركز إيدن التجاري، لأنّه لو حاولت البحث عن هذا الاسم لاكتشفت كلّ شيء.

لم يكن بوسعي أن أعاملها ببرود لأنّها اعتبرتني امرأة «رائعة»، وليس لكونها صديقتي. ربّما أردتُ أن أتباهى أمام أحدٍ. ربّما خلقتْ هذا السراب اللطيف عنّي واستطاعتْ أن تُحيله إليّ.

خلال سنوات دراستي، أشعرتني مجاملاتها بالاطمئنان، حيث كانت تشجّعني. ولكن خلال الفترة الأخيرة، بدأ تكرار كلمة «رائعة» على مسامعي تُتعبني.

كأنني أردتُ أن أكفّر عن ذنبي، وضعتُ عيدان الطعام، وخلال ساعتين كاملتين، أصغيتُ إلى حديث سايا عن حياتها العاطفية، التي روتها لي بافتخار.

صباح اليوم التالي، تأخّرتُ في الاستيقاظ من النوم، وبالكاد سرّحتُ شعري ودون مساحيق تجميل، خرجتُ من البيت سريعاً وقفزتُ إلى القطار.

ففي الليلة السابقة، كنتُ قد اندسستُ في سريري الياباني، ولكن لم أستطع إلى النوم سبيلاً، لكثرة ما تصفّحتُ مواقع الإنترنت. ما كان عليّ أن أشاهد مقاطع فيديو لنجمةٍ أنا معجبةٌ بها. حينما نظرتُ إلى الساعة، كان الصباح قد بزغ بالفعل. لم أنم في حين كان دوامي ضمن فريق العمل الصباحي.

لدى فتح أبواب المتجر، وأنا أغالب تثاؤبي، كنتُ أرتّب بعض البضائع في الرفّ السفلي حينما سقطت صرخةٌ فوق رأسي كالصاعقة.

- آه! أنتِ هنا، إذاً!

كان صوتاً حادّاً يُثقبُ طبلة الأذن. مقرفصةً في مكاني، أدرتُ رأسي ورأيتُ امرأةً شعثاء الشعر ترمقني بعينيها.

كانت الزبونة التي طلبت منّي، قبل بضعة أيام، أن أختار لها من بين الكنزتين الفوشيّة والبنّية.

نهضتُ على عجلٍ. دسّت الكنزة الفوشيّة تحت أنفي.

- ماذا يعني أن تبيعي خردة كهذه؟!

كدتُ أن أفقد وعيي. خردة؟ لا بدّ أن شيئاً ما قد حدث لها.

- انكمشَتَ على بعضها بعد غسلها في الغسّالة! أُريدُ أن أُعوَّض عنها!

استعدتُ أنفاسي، ورغماً عنّي، رفعتُ صوتي.

- لا نستردُّ البضائع المغسولة في الغسّالة.

- أنتِ من نصحتني بها! وعليكِ أن تتحمّلي مسؤولياتكِ!

اتّهمتني ظلماً. لقد سبق وأن كنتُ هدفاً لشكاوى، ولكن كانت هذه المرّة الأولى التي تتّهمني فيها امرأة مجنونة.

حاولتُ أن أحافظ على هدوئي ورحت أفكّر. بدا لي أنني تعلّمت خلال فترة تدريبي كيف أتعامل مع هكذا موقف... كيف كان عليّ أن أتصرف؟ وإذ تحوّل اضطرابي إلى غضبٍ، بات رأسي فارغاً ولم يلمع أيُّ حلٍّ في ذهني.

- لقد سخرتِ منّي بأن بعتِني هذه الخردة!

- لا، إطلاقاً!

- من العبث أن أتجادل معكِ. أريدُ التحدّث مع رئيسكِ!

خالجني الشك. أليست هي من تسخر منّي؟

لو أنّ استدعاء «رئيسي» يحلّ المشكلة، لفعلتُ ذلك بطيبة خاطر، ولكن دوام أوجيما، رئيس القسم، يبدأ اليوم مع الفريق الثاني.

- سيأتي إلى الدوام بعد ظهيرة اليوم.

- حقّاً؟ سوف أعود إذاً!

ألقت نظرةً على شارتي التعريفية وغادرت وهي تقول لي: «السيّدة فوجيكي، إذاً!».

كنتُ امرأة ذات مسيرةٍ مهنية واعدة بالنسبة إلى سايا، ومع ذلك عومِلتُ كنكرة وأُهِنتُ بسببِ ادّعاءٍ سخيفٍ. ارتجفتُ غضباً، واغرورقت عيناي بالدموع.

وهي صورة عنّي أردتُ بأيّ ثمنٍ أن أخفيها عن صديقتي.

هذا ما كسبته من الدراسة باجتهاد لكي أغادر الريف وأُقيم في طوكيو.

عند منتصف الظهيرة، وصل أوجيما. أعلمته بما حدث، فأجاب، عابساً:

- من المفترض أن تجيدي التصرّف بنفسكِ في مثل هذه الحالات!

على الرغم من أنني لم أكن أنتظرُ منه شيئاً، كيف يجرؤ على أن يقول هذا؟ انتابني غضبٌ مختلفٌ عن الذي انتابني حيال الزبونة.

ألقت علينا نوموتشي، التي مرّت بنا، نظرةً. لم أشأ أن تعلَم بالموضوع، إذ لن يكون بوسعي تحمّل حكمها عليّ بعدم الجدارة.

محبَطةً، ذهبتُ لأقضي مدّة استراحتي.

بسبب استعجالي في ذلك الصباح، لم أتوفّر على الوقت لأتوقّف في محلّ البقالة. نويتُ أن أكتفي بعلبة من البسكويت المحلّى أحتفظ بها في حقيبتي، ولكنني كنتُ قد أكلتها في بيتي عشية اليوم السابق. كيف سأتناول الغداء؟ كان ممنوعاً علينا الذهابُ إلى المتجر بزيّ العمل والخروج به. يا له من متجر ضيّق على الموظفين، مثل أصابع قدمي في حذائي.

قطعت كآبتي شهيّتي، فلم تعد لديّ الرغبة في تغيير ملابسي من أجل تناول الغداء في غرفة الطعام. بالصدفة، لاحظتُ باب درج الطوارئ. تساءلتُ إن كان سيُفتَح.

دفعتُ الباب الذي فُتِحَ مُصدِراً صريراً، ما بدا لي بديهياً حينها، كونه باباً للطوارئ.

دفعني الريح فجأة، وخرجتُ كهاربة.

- آه!

- آه!

كان كيرياما هناك، جالساً على سطح الدرج وقد مدّ ساقيه على الدرجات. عبّرنا عن تفاجئنا في نفس اللحظة.

صاح ضاحكاً:

- لقد ضبطتِني!

نزع سمّاعتيه اللاسلكيتين، اللتين كان يستمع من خلالهما إلى الموسيقى من هاتفه الذكيّ. كان يُمسك بكتاب جيبٍ بين يديه. وبالقرب منه، كان هناك إبريق شاي وكرتان مستديرتان مغلّفتان بورق الألمنيوم. رفع عينيه نحوي، وقال:

- ماذا تفعلين هنا؟ هل حدثَ شيءٌ ما؟

- وأنت؟

- أنا أجيء إلى هنا غالباً، حينما أريدُ أن أختلي بنفسي. علاوة على ذلك، اليوم الطقس جميل بالنسبة إلى شهر نوفمبر.

أشار إلى كرتَي **الأونيغيري** الملفوفتين.

- هل تريدين كرة من الأرزّ؟ إذا كان لا يزعجكِ أن تكون محضّرة في المنزل.

- هل أعددتها بنفسك؟

- نعم. لقد أكلتُ أفضلها؛ المحضّرة بسمك السلمون. ماذا تفضّلين، سمك **التاراكو** المشوي وطحالب **الكونبو** البحرية؟

استيقظت شهيّتي فجأةً.

- **التاراكو** المشوي!

عرض عليّ كيرياما أن أنضمّ إليه، فجلستُ بجانبه.

أعطاني كرة الأرزّ ونزعتُ عنها ورق الألمنيوم، فأبرز **الأونيغيري** المغلّف بالسلوفان رأس أنفه وواصلتُ نزع السلوفان عنه.

- أنت تطبخ إذاً؟

أجاب باقتضاب:

- لقد فعلتُ ذلك أخيراً.

قضمتُ كرة **الأونيغيري** خاصتي. كانت جرعة الملح فيها مثالية. كانت لذيذة جداً. امتزج **التاراكو** المشوي البدين والأرزّ المحضّر على نحوٍ ممتاز على نحوٍ رائع؛ لون وردي مرجاني متشابك مع اللون الأبيض. التهمتها بشراهة، وفي صمتٍ تام.

قال ضاحكاً:

- يسعدني أنّكِ تأكلين بشهيّة!

والغريب أنني شعرتُ بأنني أصبحتُ أحسن حالاً، وفاجأني أن يحدث ذلك بهذه السرعة.

- إنّها لذيذة جدّاً!

- لقد رأيتِ بنفسكِ!

ثقته البالغة حيّرتني، فأوضح:

- إنّ حُسن التغذية أمرٌ مهمّ. حُسن العمل وحُسن التغذية.

شعرتُ في صوته أنّه يعني كلّ كلمة يقولها.

سألت:

- لماذا تركت العمل في دار النشر؟

أوضح وهو ينزع ورق الألمنيوم عن آخر كرة **أونيغيري**:

- لم أكن في دار نشرٍ، وإنّما في وكالةٍ للنشر يعمل فيها ما يقرب من عشرة موظّفين.

كنتُ أجهل أنّ مؤسّسات أخرى غير دور النشر يمكنها أن تصمّم مجلّات.

كانت هناك أنماطٌ شتّى من الشركات وأنماطٌ شتّى من الوظائف، وأمورٌ كثيرة لم أكن أعرفها. واصل كيرياما:

- لم نكن نصمّم مجلّات فقط، بل كنّا ننتج كلّ شيء تقريباً: نشرات إعلانية، كُتيّبات، حتى مقاطع الفيديو. كان ربّ عملي يوافق على جميع المشاريع على عجالة، ولأنني أنا من كان ينفّذها عمليّاً، كنتُ أُرهَق في العمل. كان عليّ أن أعمل طوال الليل، وأنام على الأرض مفترشاً معطفي فقط، دون أن أغتسل لعدة أيامٍ...

مع ضحكةٍ، تحوّل فجأة بنظره إلى بعيد.

- كنتُ أعتقد أنّ هذا أمرٌ طبيعي في هذا الوسط. وجدتُ نفسي رائعاً في العمل لصالح مجلّة... ثمّ تبيّن لي أنني مخطِئٌ على طول الخطّ.

صمتَ وابتلع ثلاث لُقم من كرة الأرزّ خاصّته. لزمتُ الصمت بدوري.

- لم يكن لدينا الوقت لنتناول الطعام وساءت صحّتنا من جرّاء شرب علب المشروبات المغذّية المرمية على الأرض. ذات يوم، عندما رأيتُ العُلَب الفارغة، تساءلتُ فجأةً عما أفعله في هذا المكان.

دسّ القطعة الأخيرة في فمه.

- قلتُ في نفسي إننا نعمل لكي نأكل، وبالتالي ألّا نأكل لأننا نعمل أمرٌ مضحك.

دَعَك ورق الألمنيوم وهو يهمس:

- كان طعاماً لذيذاً.

ثمّ أدار رأسه نحوي وأكمل حديثه بنبرةٍ مرحة:

- اليوم، أعيشُ على نحوٍ لائقٍ. آكل وأنامُ جيّداً، وأستمتعُ استمتاعاً حقيقيّاً بقراءة كتبٍ ومجلّاتٍ لم أكن أراها سوى بعينٍ مهنيّةٍ. أنظّم حياتي اليوميّة وأحسّن صحّتي.

- يبدو أنّ هذه مهنة صعبة حقّاً.

– ليست الشركات كلّها على هذا النحو! كلّ ما هنالك هو أنني وقعتُ في المكان الخطأ.

هزّ يده ليشير لي أنني كنتُ على خطأ. أعتقدُ أنّه حاول تبديد تصوّراتي وأحكامي المسبقة. وقد شعرتُ بأنّه يحبّ هذا العمل، لكن ظروف العمل الشاقّة نالت من عزيمته.

– علاوة على ذلك، لا أرغب في أن أنتقد هذه الوكالة ولا زملائي الذين يبذلون أفضل ما لديهم. لأنّ هذا المنهج يُناسب أولئك الذين يُجيدون التحكّم بأنفسهم، كما أن البعض يحققون ذواتهم في العمل المستمر، ولكن ليس أنا.

شرب كوبه من الشاي ببطء.

سألته دون أدنى حرجٍ:

– البصريات مجالٌ مختلفٌ تماماً. ألم يجهدكَ هذا؟

قال كيرياما، مبتهجاً:

– من أجل عددٍ مخصص للنظارات، كتبتُ مقالات تتطلّب بحوثاً متقدّمة. أثار الموضوع اهتمامي، الأمر الذي دفعني للانخراط في هذا المجال. وخلال مقابلة العمل خاصّتي، قال لي منْ أجرى المقابلة معي إنّه قرأ المجلّة بالمصادفة، فدار حديثٌ ممتعٌ بيننا! في الواقع، مصمّم النظارات الذي كنتُ قد أجريتُ مقابلةً معه كان أحد معارفه! نحن لا نحصل على مثل هذه الأمور عن طريق التخطيط. قلتُ لنفسي إنّه يجب عليّ أن أبدأ بمعالجة همومي الرئيسية. لحسن الحظّ، أفادتني جهودي السابقة في تلك اللحظة وسمحت لي بتحسين حياتي. لكن مستقبلي لن يتحدّد بالكامل لأنني وظّفتُ في شركة زاز. وحتى إذا كان الأمر كذلك، لن يكون هناك أيّ ضمانة لأن تجري الأمور كما هو مخطّط لها. فقط...

توقّف عن الحديث، ثمّ استأنف الكلام بهدوء.

- في هذا العالم الذي نجهل فيه مستقبلنا، أفعل اليوم ما أستطيعُ إليه سبيلاً.

بدا وكأنّه يتحدّث إلى نفسه.

بعد عودتي من استراحة الغداء، لم أجد أوجيما في المكان.

بحسب بعض الزملاء، لقد ذهب لفحص المخزونات. وبحسب رأيي، لقد هرب من مواجهة الزبونة المشتكية، ولكن لم يكن بوسعي أن أفعل شيئاً.

عند الساعة الثانية من بعد الظهيرة، عادت الزبونة.

- هل رئيسكِ هنا؟

تصلّب جسمي. كانت إعادة البضاعة مستحيلة، فكيف لي أن أقنعها بأن تحتفظ بها؟ كان لا بدّ لي من معالجة الموقف. «همومي الرئيسية»، كان هذا وقتها، في هذا الموقف.

في تلك اللحظة، هرعت نوموتشي لتقف بجانبي خلف صندوق المحاسبة.

- طاب نهاركِ سيّدتي، هل يمكنني أن أساعدكِ؟

كررت الزبونة شكواها، كما لو أنّها رأت في كوماتشي رئيسةً لي. كانت مصرّة على أنّ كلّ ما حدث خطأي أنا. بوجهٍ جدّي، اكتفت نوموتشي بتعليقات مقتضبة من قبيل «آه، حقاً»، «نعم»، «فهمت» إلى أن سكتت الزبونة. وفي نهاية حديثها من طرفٍ واحد، أجابت نوموتشي بلطف:

- من الطبيعي أن تنكمش الكنزة عند وضعها في الغسّالة! أنا أفهم دهشتكِ.

شَحُبت الزبونة. قلبت نوموتشي الكنزة وأرتها اللاصقة مع

تعليمات الغسيل. كانت يدٌ في حوضٍ تُشير إلى «غسلٍ يدويٍّ».

- أنا أيضاً، يحدث لي أن أغسل قطعة ملابس بالغسّالة دون أن أتحقّق من اللاصقة!

تلعثمت الزبونة:

- ولكن... أنا...

أردفت نوموتشي بمرحٍ:

- هناك طريقة لاستعادة شكلها الأصلي. يجب وضع القليل من بلسم الشعر في مغسلتكِ، وتمييعه في الماء الساخن وغطس الكنزة فيه، ثمّ إخراجها فوراً، وعصرها من الماء، ومدّها، ثمّ نشرها على وسعها.

قدّمتْ شرحاً واضحاً جدّاً.

- بين يديكِ آخر نموذج من كنزة تحظى بتقديرٍ كبير. لون الماجنتا هذا متميّز جدّاً والنسيج نادر، ألا ترين ذلك؟

ردّدت الزبونة وقد انفرجت أسارير وجهها فجأةً:

- هل قلتِ ماجنتا؟

- نعم، هذا هو اسم هذا اللون.

فجأةً، أصبحت الكنزة الفوشيّة دارجةً جدّاً. **ماجنتا**. نعم، يمكن وصفها هكذا.

- بتصميمها البسيط، تتناسق بسهولة مع ألبسة أخرى. حينما نحصل على كنزة مثل هذه، لا نُريدُ إتلافها أبداً! الياقة مريحة ويمكن ارتداء هذا اللون حتى مقتبل الربيع.

- هل ستستعيد شكلها الأصلي باستخدام بلسم الشعر؟

- تماماً. اعتني بها جيّداً والبَسيها لوقتٍ طويلٍ!

وجّهت نوموتشي مسار الحديث بالكامل.

أصبحت الزبونة، التي لم تكن راضية، مقتنعة الآن واحتفظت بالكنزة.

خفضت نوموتشي من نبرة صوتها، ومحتفظةً بابتسامتها، قالت ببرود:

- هل يمكنني طلب رقم هاتفكِ حتى نتمكّن من الاتّصال بكِ بأسرعِ ما يمكن إذا اقتضت الحاجة؟

مكتبة
t.me/soramnqraa

لم تنسَ أن تضع عليها القليل من الضغط.

قالت السيّدة، وقد شعرت بشيء من الرهبة:

- لا، هذا ليس ضروريّاً.

سارت الأمور بطريقة ممتازة.

مثلما اعتقدتُ، لم أكن قادرة على الفوز في هذه المواجهة. لم أكن على المستوى المطلوب.

بعد ذلك، واصلت نوموتشي الحديث بمرحٍ، وراحت الزبونة تتحدّث، دون أدنى حذرٍ، عن حياتها بطريقة ودّية.

قالت إنّها اشترت هذه الكنزة لكي ترتديها خلال تناول وجبة مع صديقةٍ لم ترها منذ عشر سنوات؛ وكان من الصعب عليها أن تبتعد عن مسكنها باستقلال القطار، خاصّة أنّها تقلق لفكرة الدخول إلى مركزٍ تجاري؛ ورغبَتْ في الحصول على نصائح لاختيار ملابس بسبب قلّة ثقتها بنفسها.

أرسلتني نوموتشي إلى الصندوق قبل أن تعرض وشاحاً على السيّدة، وتعلّمها حتى كيف تَعْقده. اشترته الزبونة. من بعيد، كان الوشاح يليق بها فعلاً، ويتناسب مع كنزتها الفوشيّة.

كنتُ متأكّدة من أنّها سوف تقف أمام المرآة بسرور وهي تعقد

وشاحها حول رقبتها يوم موعدها مع صديقتها. وسوف تستمتع بالوجبة مع تلك الصديقة التي لم ترها منذ زمنٍ طويلٍ.

لقد قامت نوموتشي بعملٍ رائع. اعتقدتُ ذلك بصدق.

كم كنتُ مخطئةً حين اعتقدتُ أنّ العمل في قسم الملابس النسائية الجاهزة في مركز إيدن التجاري ليس «مهمّاً». إنّ عملي الخاصّ هو الذي كان تافهاً.

حينما اقتربت الزبونة منّي، كنتُ أرغبُ أشدّ الرغبة في الذهاب إلى استراحتي بحيثُ نصحتها دون اهتمامٍ جدّي. ولا بدّ أنّها أحسّت بذلك.

أمسكتْ عند صندوق المحاسبة بالكيس الذي يحتوي على الوشاح، وشكرتني بوجهٍ بشوشٍ، ثم غادرت، وعلى وجهها تعابير السرور التي ترتسم على وجوه الزبائن الراضين عن مشترياتهم.

حيّتها نوموتشي وحيّيتها بدوري، بانحناءة من رأسي.

وما إن غابت عن حقل رؤيتنا حتى انحنيتُ بعمق أمام نوموتشي. لقد أنقذتني فعلاً من وضعٍ حرجٍ.

- أشكركِ!

قالت، مبتسمةً:

- من المحزن أنك لم تصغي إلى حكايتها ولم تفهمي معاناتها.

لطالما اعتقدتُ أنني أفهم نوموتشي، ولكنني كنتُ مخطئة بشأنها. أعتقدُ أنني كنتُ أعتبرها رئيسةَ قسمٍ مغرورة تعمل بدوامٍ جزئي فحسب.

إلى حدّ ما... كنتُ أعاملها بتعالٍ. كنتُ أشعرُ أنّني متفوّقة عليها لأنني شابّة وأعمل بدوامٍ كامل، الأمر الذي لم يكن لائقاً. لقد تجلّى كبريائي السخيف حتى في مواجهة الزبونة وعاملة المقصف.

شعرتُ بالخجل، بخجل شديد لدرجة أنني أردتُ إخفاء وجهي.
قلتُ، مطأطئةً رأسي:
- لديّ الكثير من الثَغَرات لأعمل عليها.
أشارت لي نوموتشي بالنفي.
- أنا أيضاً كنتُ كذلك في البداية. يتم تعلُّم بعض الأمور مع مرور الوقت، هذا كلّ ما في الأمر.
خلال اثنتي عشرة سنة، راكمتْ خبرةً ضمن الفريق الورديّ المرجاني. ومن أعماق قلبي وبكلّ صدقٍ، وجدتُ نوموتشي «رائعة».

لأنني بدأتُ العمل في الصباح، انتهى دوامي عند الساعة الرابعة عصراً.
بعد أن بدّلتُ ملابسي، أردتُ إلقاء نظرة على رفّ الأطعمة. مستوحيةً من كيرياما، رغبتُ في أن أطبخ شيئاً ما.
لم تكن لديّ فكرة عن طبق معيّن. ماذا لو حاولتُ أن أعدّ طبقاً من المعكرونة؟ ولكن كما هو متوقع، كنتُ أجهل طريقة تتبيلها، فكدتُ أشتري صلصة جاهزة وأعود إلى البيت.
وضعتُ يدي في جيبي وأحسستُ بنسيجٍ ناعمٍ. كانت المقلاةَ المصنوعة من الصوف الملبّد. لم تكن قد تحرّكت من مكانها منذ أن قدّمتها لي كوماتشي.
وماذا لو طبختُ **كعكة كاستيلا غوري وغورا؟**

دخلتُ إلى مطعم ماكدونالدز الواقع أمام قسم الأغذية، وأنا أرتشف فنجاناً من القهوة بمئة ين، بحثتُ على هاتفي الذكيّ عن وصفة تحضير هذه الحلوى.

كتبتُ في حقل البحث «كاستيلا غوري وغورا»، وعلى نحوٍ غريب، ظهر على الشاشة عددٌ كبير من الوصفات والمدوّنات حول الموضوع. كان كلّ هؤلاء القرّاء، الشغوفين بقصة **غوري وغورا**، يرغبون في إعداد هذه الوصفة.

بحسب الوصفة، يجب نخل الطحين وفصل بياض البيض عن صفاره وإعداد المَرَنْغ حتى الحصول على عجينة طريّة. . . عند قراءة هذه الكلمات، أُصبتُ بالإحباط، ولكن تبيّن لي من خلال فتح المزيد من المواقع أنّ الوصفات لا تتشابه كلها وليست بنفس الصعوبة. فبحسب الأشخاص، كانت المقادير وطريقة الإعداد تختلف. من بين جميع تلك الوصفات، وجدتُ واحدةً بسيطة، من بضعة أسطر فقط، كانت الأكثر شعبيّةً. وصفةٌ لا تطلب نخل الطحين ولا الفصل بين بياض البيض وصفاره، بحيث أوضحت كاتبة الوصفة: «لقد تقيّدتُ قدر المستطاع بطريقة الإعداد بحسب ما ورد في الكتاب». في هذه الحالة، يمكنني أنا أيضاً أن أنجح في تحضيرها.

نعم، سوف أفعل ما أستطيع فعله، وسوف يكون هذا مناسباً بكلّ تأكيد.

احتجتُ إلى مقلاةٍ للقلي وإلى وعاءٍ ومخفقة.

ثلاث بيضات، ستون غراماً من الطحين، ستون غراماً من السكّر، عشرون غراماً من الزبدة، ثلاثون ملیلتراً من الحليب.

تطلّب تنفيذ الوصفة مقلاةً قطرها ثمانية عشر سنتيمتراً مع غطاء، وميزاناً أو كأس قياس، حتى وإن لم يكن ذلك مذكوراً في أيّ من المواقع التي زرتُها.

المشكلة هي أنّه لم يكن لديّ أيّ من هذه الأشياء تقريباً.

ولكن...

ما كان رائعاً هو أنّنا نجد كلّ شيء في مركز إيدن التجاري.

لم تكن قدمي قد وطأت أرض مطبخي منذ زمنٍ طويل.

في وعاءٍ، كسرتُ البيض، وأضفتُ السُّكّر، وخلطتُ المزيج بالخفّاقة. ثمّ أضفتُ الزُّبدة المُسالة والحليب. في هذه المرحلة، غزت رائحةٌ زكيّة تفوح من السكّر منخريّ. لم أكن أصدق أنني أحضّر الحلوى.

بعد ذلك، أضفتُ الطحين وخلطته بالمزيج. منحني استخدام المخفقة في الوعاء شعوراً بأنني مُنتِجة.

أشعلتُ النار تحت المقلاة، وأذبتُ فيها بعض الزبدة، ثمّ سكبتُ فيها العجين. غطّيتُ المقلاة وهدّأتُ النار تحتها وبدأتُ بالطهي. كان يكفي أن أراقب المقلاة مدّة ثلاثين دقيقة. لم يكن لديّ سوى موقدٍ برأسٍ واحدٍ، ولكنّه، لحسن الحظّ، كان يعمل بالغاز. وكان من المفترض أي يوفي بالغرض.

في مطبخٍ صغيرٍ كهذا، استطعتُ أن أعدّ كعكة الكاستيلا!

وجدتُ نفسي رائعة. اعتقدتُ ذلك دون تأنيبٍ للضمير.

ضممتُ يديّ إلى بعضهما مبتهجةً. كانتا مغطاتين بالطحين، فتوجّهتُ نحو المغسلة لأغسلهما.

فتحتُ الصنبور ونظرتُ نظرة عفوية في المرآة. وتفحّصتُ فيها وجهي.

وجدتُ بشرتي متقشّرة لأنني لم أكن أتناول سوى شعرية سريعة التحضير وقطعٍ صغيرة من الخبز الصناعي. في ثلّاجتي شبه الخاوية، كانت هناك بعض علب من الصلصة التي انتهت صلاحيتها منذ زمنٍ

طويلٍ. كما أنّ قلّة النوم جعلتني شاحبة الوجه، وفاقدة للطاقة على نحوٍ مريع.

لم أكن مذنبة في الجانب الغذائي فقط، بل غطّى الغبار أرضية بيتي، وكانت نوافذه متّسخة، وبقيت ملابسي المغسولة منشورةً داخل الغرفة، لأنني اعتدتُ أن أرتدي ملابسي مباشرةً حالما تنشف، وعمّت الفوضى رفوف غرفتي: قوارير طلاء الأظافر الجافّ، ومجلات تلفزيونية تعود لثلاثة أشهر، وأقراص فيديو رقمية لليوغا لا تزال في أغلفتها البلاستيكية رغم أنني اشتريتها قبل ستّة أشهر لمجرّد نزوة.

كنتُ قد أهملت نفسي حقاً. لم أكن أُعامل باحترامٍ لا الطعام الذي أضعه في فمي ولا بيئتي المحيطة، هذا بالإضافة إلى عدم الاعتناء بنفسي. بمعنى مختلفٍ بعض الشيء عن كيرياما، لم أكن أعيشُ «على نحوٍ لائقٍ».

غسلتُ يديّ بعناية واستغللتُ الوقت الذي استغرقه الطبخ لكي أرتّب سريعاً شقّتي. طويتُ الملابس النظيفة، وشغّلتُ المكنسة الكهربائية لتنظيف الأرضية. وما إن بدأتُ في العمل، حتّى تحرّك جسدي بشكلٍ طبيعيٍّ. وما كان يبدو لي كمهامٍ ثقيلة أُنجزت بسرعة كبيرة، نظراً لضيق غرفتي، بحيث شعرتُ بتأنيب الضمير لإهمالي الطويل.

في الغرفة التي باتت الآن مرتّبة، فاحت رائحة حلاوة لذيذة. عدتُ إلى المطبخ لأتفقّد مظهر الكاستيلا، ورأيتُ العجين الأصفر ينتفخ إلى درجة كاد أن يلتصق بغطاء المقلاة.

- أمرٌ لا يُصدَّق!

لم أستطع أن أتمالك فرحتي. كانت الكعكة منفوخة، كما في صورة الكتاب.

رفعتُ مبتهجةً الغطاء. رأيتُ وجه الكعكة متصلّباً تماماً بينما كان قلبها نصف مطبوخٍ مشكّلاً فقاعات هوائية، فأعدتُ وضع الغطاء.

ربّما كنتُ أقتربُ قليلاً من حياةٍ لائقة. أراحني هذا الاستنتاج.

جلستُ مسندةً ظهري إلى الجدار وفتحتُ كتاب **غوري وغورا**.

كان الفأران البرّيان قد دخلا إلى غياهب الغابة.

«مَلآ سلّتهما بالبلوط: ''سوف نرشّ عليه السكّر!''.

«مَلآ سلّتهما بالكستناء: ''سوف نطبخها على نار هادئة لنصنع منها القشدة!''.

صحتُ مدركةً:

- آه...

هما لم يتنزّها في الغابة للعثور على بيضة، أو حتى لتحضير كعكة الكاستيلا الإسفنجية، بل بهدفٍ وحيد وهو التقاط حبّات البلوط والكستناء، وهو غذاؤهما اليومي. كما اعتادا على ذلك.

وقادتهما المصادفة إلى أن يعثرا على بيضة عملاقة.

تذكّرتُ كلمات سايا: « لن يتبادر هذا إلى ذهن المرء إذا كان لا يدري ما الذي يفعله بالبيضة».

هذا هو إذاً!

عند اكتشاف البيضة، كان الفأران البرّيان يعرفان مسبقاً وصفة إعداد كعكة الكاستيلا الإسفنجية!

انتفض قلبي في صدري عندما أدركتُ ذلك.

عدتُ متحمّسةً إلى المطبخ. كانت رائحة الكعكة الإسفنجية زكيّة.

لمّا رفعتُ غطاء المقلاة، انقطعت أنفاسي.

وجدتُ وسطَ الكعكة قد غار على شكل حفرةٍ بدل أن ينتفخ، وأطراف العجينة، التي كادت تطفح من المقلاة، متفحّمة.

مستاءة وفزعة، نقلتُ كعكة الكاستيلا إلى طبقٍ بواسطة ملعقةٍ. كان أسفلها، الذي امتدّ ليس في الطول وإنّما في العرض، محروقاً بالكامل. وما إن أخرجتها من المقلاة، حتى انكمشت تماماً.

- ما هذا الشيء الذي أعددته؟

اقتطعتُ قطعةً منها وذُقتها. كانت بعيدة كلّ البعد عن كعكة الكاستيلا. كان قوامها لزجاً وصلباً مثل العلكة.

لماذا حصلتُ على هذه النتيجة؟ لقد اتّبعتُ الوصفة حرفيّاً.

وأنا أمضغُ هذه الكتلة الفظيعة المشبَعة بالسكّر، انفجرتُ ضاحكةً.

لم أكن حزينة. لا بل كنتُ مسرورة. غرفتي المرتّبة وأدوات المطبخ في المغسلة حالت دون شعوري بالإحباط.

لم أقرّ بالهزيمة.

لأنّه كان يكفيني أن أُتقِن تقنية إعداد الكعكة!

على مدى أسبوعٍ، كنتُ أعود إلى بيتي حالما ينتهي عملي وأنشغلُ بشغفٍ بصناعة كعكة الكاستيلا. تصدّيتُ لذلك كما لو أنّي أتصدّى لمهمّة يوميّة.

وجدتُ حلولاً على الإنترنت.

حفظ البيض في درجة حرارة الوسط المحيط. خلال الطبخ، ترك الخليط يفتَر من خلال وضع المقلاة من حينٍ لآخر على قطعةٍ من القماش المبلّل.

حسّنت هذه الحيلُ الصغيرة نتيجةَ تجاربي. لكنّ الكعكة لم تكن طريّة بما يكفي. في النهاية، ما بدا لي في البداية تعجيزياً، أي «نخل الطحين» و«فصل بياض البيض عن صفاره وإعداد المرنغ»، لم يعد يبدو بتلك الصعوبة.

اشتريتُ إناءً آخر، وهو منخل. تبيّن لي أنّ صناعة المرنغ أمرٌ معقّد، لكنّ العجين ترقّق وبدا في مظهرٍ جميلٍ. ومع ذلك، لم أكن راضية عن النتيجة. أردتُ أن أحقّق مستوى أرفع من ذلك.

في نهاية المطاف، قرّرتُ أن أشتري خفّاقةً كهربائية لأصنع مَرَنْغاً جميلاً.

بعد محاولات عديدة، تعلّمتُ ضبط درجة الغاز واللحظة المناسبة لترك العجين يفتر. علاوة على ذلك، تبيّن لي أنّ النار التي كنتُ أعدُّها هادئة كانت في الواقع قويّة. إنّها ممارساتٌ لا يكتسبها المرء سوى من خلال التجربة والخبرة.

كانت نوموتشي قد قالت ذات مرّة: « يتم تعلُّم بعض الأمور مع مرور الوقت».

شهدت حياتي تغيّراً آخر. بينما أصبحتُ أقضي وقتاً في طبخ كعكة الكاستيلا، شرعتُ أيضاً في تحضير وجبة العشاء، حتى وإن ظلّت وجبةً بسيطة. فمقارنة بطبخ كعكة الكاستيلا، كان تقطيع الخضراوات واللحم، وقليها أو سلقها، سهلاً على الفهم والقيام به. وبفضل طنجرة الضغط خاصّتي، كنتُ أعدُّ أرزّاً لذيذاً أيضاً. كما كنتُ أملأ حافظات الطعام ببقايا الأطباق الجانبية وأعدّ الأونيغيري،

الأمر الذي أبهر كيرياما عندما رأى وجبات غدائي. وأبهرني أنا أيضاً. لأنّ بضعة أيامٍ من التغذية الصحيّة كانت كافية لكي أستعيد لياقتي، الجسدية والمعنوية في آنٍ واحدٍ.

اليوم، وبعد مضي سبعة أيام، وأنا أقف في المطبخ، شعرت بأنّ محاولتي ستنجح.

كانت هذه ثمرة جهودي المبذولة، بإخفاقاتها ونجاحاتها.

رفعتُ الغطاء وأومأتُ برأسي، فخورةً بنفسي أخيراً. ثمَ ردّدتُ بصوتٍ عالٍ:

«كعكة الكاستيلا جاهزة، مقمّرة تماماً وطريّة تماماً».

أكلتُها من المقلاة مباشرةً، كما في الكتاب.

كانت طريّة ولذيذة.

أنا أيضاً نجحتُ في إعدادها. كان من شأن كعكة الكاستيلا هذه أن تُسيل لعاب كلّ سكان الغابة.

اغرورقت عيناي بالدموع فرحاً بنجاحي. فاتّخذتُ قراراً صارماً: من الآن فصاعداً، سأعدّ لنفسي وجبات شهيّة.

حينما قدّمتُ قطعةً من كعكة الكاستيلا لكيرياما، صاح كما لو أنّه منبهر حقّاً:

- أنتِ رائعة!

تقبّلتُ المجاملة عن طيبِ خاطرٍ.

أردتُ أن أرى هذه الابتسامة. أردتُ أن أشكره على كرة الأرزّ

التي قدّمها لي. ربّما لهذا بسبب بذلتُ كلَّ هذه الجهود، وعند هذه الفكرة، انقبض صدري.

كان هناك شخصٌ آخر وددتُ أن أتقاسم الكعكة معه.

عدتُ إلى غرفة تغيير الملابس وقدّمتُ قطعةً منها لنوموتشي وأنا أجدّد شكري لها على ما فعلته معي في المرّة الماضية.

- لقد حاولتُ أنّ أطبخ كعكة الكاستيلا كما في قصّة **غوري وغورا**.

ضحكتْ.

- **غوري وغورا**؟ حينما كنتُ طفلة، كثيراً ما قرأتُ هذا الكتاب، كنتُ أعشقه!

سألتها مندهشةً:

- حينما كنتِ طفلة؟

عبست نوموتشي عند رؤية عينيّ الواسعتين مثل صحنين.

- بالطبع! أنا أيضاً كنتُ طفلة ذات يوم!

هذه أمر بديهي، حتى وإن لم أستطع أن أتخيّله.

الكتبُ الشعبية لديها سلطة وتأثير كبيران. لقد أيقظ كتاب **غوري وغورا** أجيالاً من القرّاء، دون أن يتغيّر أبداً.

زائغة النظر في الفراغ، بدت نوموتشي غارقة في التفكير.

- أحببتُ في هذه القصّة أنّ كلّ شيء لم يجرِ على ما يُرام.

سألتُها، حائرةً:

- حقّاً؟

أومأت بالإيجاب بحيويّة.

- لم تكن البيضة، الضخمة والزلقة، قابلة للنقل، وكانت صلبة جدّاً بحيث لم يكن من الممكن كسرها. واجه الفأران البرّيان مشكلة

تلو أخرى، مثل المقلاة التي لم تدخل في حقيبتهما الظهرية.

حين تحدّثتُ عن هذا الكتاب مع كيرياما، وصفه بأنّه «الكتاب الذي تجتمع فيه حيوانات الغابة لتأكل كعكةً». فرغم قِصَر القصّة، وصفُها كلُّ قارئٍ بطريقته الخاصّة. كان هذا أمراً غريباً.

واصلت نوموتشي حديثها، بمرحٍ:

- بعد ذلك، تعاونا من خلال التشاور ونصح أحدهما الآخر. هذا هو مقطعي المفضّل في الكتاب!

التفتت نحوي، والابتسامة على شفتيها.

- لأنّه من الأفضل دائماً العمل معاً!

صادف أن كان يوم الأربعاء التالي يومَ عطلة، فذهبتُ إلى مكتبة المركز الاجتماعي لكي أُعيد الكتب. كان قد انقضى على استعارتها أسبوعان كاملان.

علّقتُ سلكاً بالحلقة الذهبية للمقلاة المصنوعة من الصوف الملبّد وعلّقتها بحقيبتي. كانت قد أصبحت مقلاتي السحرية.

حالما دخلت المكتبة، سلّمتُ الكتب إلى نوزومي، ثمّ ذهبتُ إلى مكتب كوماتشي.

وكما في المرّة الماضية، كانت تعملُ بالإبرة وهي تملأ كامل المساحة بين طاولة مكتبها التي على شكل حرف L والستار.

كان الصوف يأخذ شكلاً وهي تغرزه بالإبرة.

حينما وصلتُ قبالتها، أوقفت حركتها وألقت عليّ نظرةً. انحنيتُ لها باحترامٍ.

- أشكركِ على قصّة **غوري وغورا** وعلى المقلاة... لقد علّمتِني مفاهيم مهمّة.

- حقّاً؟

حنت رأسها، وبدا وجهها خالياً من التعبير، وقالت بنبرة صوتها الرتيبة المعتادة:

- أنا لم أفعل شيئاً يستحقّ الشكر. لقد وجدتِ بنفسكِ ما هو أساسي.

قلتُ وأنا أُشيرُ بإصبعي إلى العلبة البرتقالية:

- كعك هاني دوم لذيذ، أليس كذلك؟

ابتهجت كوماتشي، وتورّد خدّاها.

- أعشقُ هذا الكعك! إنّه كعك يحبّه الجميع، إنّه مثاليّ، أليس كذلك؟

أومأتُ برأسي بحماسة.

حان موعد درسي في المعلوماتية، فتركتُ المكتبة خلفي لأذهب إلى قاعة الاجتماعات.

كنتُ متأكّدة من أنني قد دخلتُ الغابة.

كنتُ لا أزالُ أجهلُ ما هي قدراتي ورغباتي، ولكن كان عليّ ألّا أضغط على نفسي، وألّا أرغب في تجاوز حدودي مهما كلّف الأمر.

سوف أنظّم حياتي وأبذل أفضل ما لديّ، وسوف أتعلّم وأتدرّب بدءاً مما هو من مستواي. سوف أعدّ مستقبلي. مثل غوري وغورا اللذان يلتقطان حبّات الكستناء في الغابة.

لأنّ لا أحد يعلم أين ومتى سيعثر على بيضة عملاقة.

الفصل الثاني

ريو، 35 عاماً،
محاسب في مصنعٍ للأثاث المنزلي

كلُّ شيء بدأ بملعقة.

ملعقة صغيرة من الفضّة، يُذكّرُ طرفها المسطّح من المقبض بأخاديده بشكل زهرة التوليب.

موضوعةً على رفٍّ، أثارت هذه الملعقة فضولي دون سببٍ خاصّ، فأمسكتُها بيدي. لمّا تفحّصتها من كلّ الزوايا، رأيتُ صورةَ خروفٍ منقوشةً على مقبضها. كان حجمها يُساوي حجم ملعقة صغيرة. نظرتُ إليها، حالماً، ثمّ تجوّلتُ في أقسام المتجر المعتم محتفظاً بالملعقة في يدي.

كان هذا المتجر الصغير مليئاً بالأشياء القديمة: ساعات جيب، شمعدانات، قوارير زجاجية، حشرات محشوة ومحنّطة، عظام حيوانات غير مألوفة. وكذلك مسامير وصواميل ومفاتيح. العديد من الحُلى الباهتة المحفوظة بعناية منذ وقتٍ طويل، تحبس أنفاسها، مضاءةً بمصباحٍ عارٍ.

في تلك الفترة، كنتُ طالباً في المدرسة الثانوية. في ذاك الصباح، في لحظة مغادرة المنزل، تشاجرتُ مع والدتي ولم أرغب في العودة إلى البيت بعد انتهاء الدروس مباشرةً، فنزلتُ من القطار في المحطّة التي تسبق محطّة بيتنا، وجلتُ وحيداً في الشوارع.

في ذلك القطاع البعيد في ضواحي كاناغاوا، بعيداً عن الحيّ التجاري، اكتشفتُ متجراً يشبه مسكناً إلى حدٍّ بعيدٍ. أمام المدخل، قرأتُ على حاملة لوحةٍ على الرصيف كلمة «إنموكويا» مكتوبة بالرموز اليابانية وبالأحرف الكاملة بجانبها في آنٍ واحدٍ. ومن خلال البضائع المعروضة والمرئية من خلال الباب الزجاجي، بدا أنّه متجرُ تحفٍ.

لمحتُ رجلاً ذا وجهٍ بيضوي، معتمراً قبّعةً، يقف خلف طاولة البيع - من المؤكّد أنّه مدير المتجر. وكما هي الحال غالباً في المتاجر القديمة، كان هو بنفسه يبدو مثل تحفةٍ عتيقة. ظلّ منهمكاً بتجميع ساعة جيبٍ وإصلاح صندوق موسيقى طيلة الوقت الذي أمضيته في متجره، دون أن يعرني أدنى انتباهٍ.

بينما كنتُ أجول في المتجر، انتقلت حرارة جسمي إلى الملعقة، التي كانت لا تزال في يدي، والتي تأقلمت بدورها مع شكل الملعقة. بعد تردّدٍ طويلٍ، اشتريتُها لقاء ألف وخمسمئة ين. كنتُ أجهل قيمتها، ولكن لكوني طالباً في الثانوية، كان صرفُ هذا المبلغ مقابل ملعقةٍ إنفاقاً ضخماً. ومع ذلك، لم أستطع أن أعيدها إلى مكانها، فرفضتُ التفريط بها ولم أتخلّ عنها.

أثناء دفع قيمتها، أوضح المدير ذو القبّعة:

- هذه ملعقة من الفضّة الخالصة، مصنوعة في إنجلترا.

- إلى أيّ عصرٍ تعود؟

وضع نظّاراته وقلب الملعقة ليدقّق فيها بإمعانٍ.

- إلى عام 1905.

اعتقدتُ أنّ التاريخ مدوّنٌ على ظهر الملعقة. ولكن عندما تفحّصتها بنفسي، لم أرَ عليها سوى أربعة نقوش- حروفٌ ورسمٌ - دون أيّ تاريخ.

- كيف تعرف ذلك؟

- هه، هه، هه!

ضَحِكَ لأوّل مرّة منذ دخولي إلى المتجر. حَرَص تماماً على ألّا يجيب على سؤالي، ولكنّ تعابير وجهه وابتسامته الصريحة أبهرتني.

أدركتُ حينها كم هو شغوفٌ بصدقٍ بالتُحَف القديمة. وكم هو واثقٌ من خبرته. ووجدتُ هذا المتجر وهذا السيّد مثيرين للإعجاب حقاً.

لدى عودتي إلى البيت، كنتُ أتأمّل الملعقة ذات الخروف حين انطلق جموح مخيّلتي. من ذا الذي استخدمها في إنجلترا في مقتبل القرن العشرين؟ وكيف استخدمها؟ وماذا أكل بها هذا الشخص؟

ربّما كانت الملعقة ترافق فنجان الشاي لسيّدة نبيلة تحتسي شاي ما بعد الظهيرة. ربّما كانت أمٌّ حنون ترفعها إلى فم طفلها. ربّما حافظ عليها الطفل بعناية فائقة حتى بعد أن كَبُر ووصل إلى سنّ البلوغ. أو ربّما رغبت فيها ثلاثُ أخواتٍ تشاجرن عليها. أو ربّما...

تواصل هذياني إلى ما لا نهاية. لم أكلّ ولم أملّ من التحديق في الملعقة.

فيما بعد، عدتُ مرّات عديدة إلى متجر إنموكويا بعد الانصراف من المدرسة.

كان مدير المتجر يُدعى إيبيغاوا، ويعتمر في الخريف والشتاء

قبّعةً من الصوف، وفي الربيع والصيف قبّعةً من القطن أو الكتّان. كان شغوفاً بالقبّعات.

اشتريتُ منه العديد من الأشياء الصغيرة، بحسب ما توفّر في جيبي من نقود. في بعض الأيام، اكتفيتُ بالنظر، مرتبكاً في حضور إيبيغاوا. حينما أقفُ هناك، أنسى مؤقّتاً هموم الحياة اليومية. المشكلات في المدرسة، وتوبيخات أمّي، ومستقبلي غير المضمون. لم أكن أنشغلُ بالآلام التي أعيشها في الواقع، إذ كان يستقبلني عالمٌ رائعٌ حالما يُفتَحُ باب المتجر.

فيما بعد، تمكّنتُ من الدردشة مع إيبيغاوا والزائرين المنتظمين للمتجر، وحفظتُ تاريخ التُحف والمصطلحات المستخدَمة في الحديث عنها.

كما شرح لي معنى النقش المحفور على ظهر الملعقة: «هولمارك». بعد عامٍ كاملٍ من الزيارات المتكرّرة، أضاء مصباحي أخيراً. كانت الرموز الأربعة تشير إلى اسم المصنّع، وإلى نسبة نقاء المعدن، والخضوع لفحص للجودة، وكذلك سنة الصنع.

- هل ترى حرف «n» داخل المربّع؟ إنّه يعني عام «1905».

كان إيبيغاوا قد حدّد التاريخ ليس بالأرقام، وإنّما من خلال حرفٍ داخل مربّعٍ. ربّما كان تجنّبُ حفر الأرقام المجرّدة من الأناقة يدلُّ على الذوق الإنجليزي الرفيع.

- الخروف هو شعار النبالة أو جزء منه فحسب.

بدت لي الملعقة حتى أكثر قيمةً. لم يكن الخروف مجرّد نقشٍ جميلٍ إذاً. شعرتُ بهيبة هذا النسب العائلي في هذه القطعة الفريدة.

يا له من مصدر هائل لأحلام اليقظة! وإذ ابتلعني عالم التُحَف، أظهرتُ احتراماً لإيبيغاوا.

اليوم، لم يعد متجر إنموكويا موجوداً. قبل نهاية المرحلة الثانوية من دراستي، ذهبتُ إليه مثل العادة ورأيتُ إعلاناً على الباب، مكتوباً بخطّ اليد، يقول: «إغلاقٌ نهائيٌّ». وهكذا انقطعت صلتي مع إيبيغاوا بين ليلةٍ وضحاها.

في ثمانية عشر عاماً، تحوّل المتجرُ إلى صالون تزيينٍ، ومخبزٍ، ثمّ إلى موقفٍ مأجورٍ يتّسع لخمس سيارات فقط.

لم يتسنى لي عبور ذاك الباب بعدها.

ولهذا السبب قلتُ لنفسي: يوماً ما، سوف أفتتحُ متجراً مماثلاً.

اليوم، وأنا في الخامسة والثلاثين من عمري، لا أزال أحمل هذه الأمنية في قلبي.

يوماً ما، سوف أدّخر، سوف أستقيلُ من عملي، سوف أجد محلّاً تجاريّاً، وسوف أجمع التحف.

ولكن متى سيأتي «يوماً ما» هذا؟

حالما نلتُ شهادتي الجامعية، اغتنمتُ الفرصة لمغادرة المنزل العائلي واستئجار شقّة في المدينة، وأعمل الآن في قسم المحاسبة في مصنعٍ للأثاث المنزلي. الشركة، وهي ليست بالكبيرة، لا تهدف إلى إنتاج أثاث فاخر وإنّما أثاث بسيط بأسعارٍ معقولة. كان الطلب على منتوجاتها ثابتاً والإدارة مستقرّة نوعاً ما.

- ماذا أفعل الآن؟

أدار تابوتشي، رئيس القسم الجالس بشكلٍ مائل خلف طاولة مكتبي، كرسيّه، مديراً وجهه نحوي.

كان برنامجٌ جديدٌ قد أُدخِل مؤخراً في جميع أقسام الشركة، الأمر الذي أثار استياء وانزعاج تابوتشي الشديدين. كان ينهال عليّ

بالأسئلة كلما واجه تعقيداً. توقفتُ عن العمل على جدولٍ للنفقات ونهضت لأساعده.

واقفاً خلف ظهره، شرحتُ له الخطوات الواجب اتّباعها وأنا أتذمّر في داخلي لأنّه كان قد طرح عليّ هذا السؤال في اليوم السابق.

صاح مع إشارة من رأسه:

- آه! لقد فهمت!

ثمّ أردف، محرّكاً شفتيه السميكتين:

- شكراً على المساعدة! أنت موهوب حقاً، يا أوراسي!

عدتُ إلى مكتبي وواصلتُ عملي.

أنا لا أكره الأرقام. كان قسم المحاسبة يُنظّم اقتصاد الشركة أكثر من إدارتها. لم يكن هناك لا رهانٌ ولا تحدٍّ. لنقل ببساطة إنّه عملٌ هادئ ومنطقي لا يستدعي أدنى حماسة.

- أوراسي، هل ترغب في الذهاب لشرب كأسٍ غداً مساءً؟ في نفس الحانة التي ذهبنا إليها الشهر المنصرم. إنّهم يمنحون خصماً على البيرة بمناسبة مرور ثلاث سنوات على افتتاحه المكان!

أجبتُ وأنا أُلقي نظرة على رزمةٍ من الفواتير تحت يدي:

- أعتذِر، غداً هو يوم عطلتي.

- آه، حقّاً!

ارتحتُ بعمق لعثوري على عذرٍ مناسب. كان الشرب مع تابوتشي، ذي اللسان السليط، متعباً بالنسبة إلي. ولكن لم تكن لديّ الجرأة لرفض كلّ اقتراحٍ من مسؤولٍ يعلوني مرتبةً في الوظيفة. كنّا في بداية شهر ديسمبر، بحيث اقتربت سهرة رأس السنة، وسوف تكون مشاركتي فيها إلزامية. وبالتالي، أردتُ هذه المرّة إن أمكن، أن أتملّص منه.

أدار تابوتشي كرسيّه نحوي.

- هل ستخرج مع صديقتك؟

- نعم، يمكنك قول ذلك.

- واو، لقد خمنت ذلك! أنا قويٌّ جدّاً!

ضرب بيده على جبينه، في حركة مسرحيّة أرادها مسلّية. كان حرياً بي أن أبقى ساكتاً. بحركةٍ من ذقنه، سخر منّي.

- أنتما تتواعدان منذ زمنٍ بعيدٍ، أليس كذلك؟ هل ستتزوّجان؟

- ما هذا؟ إنّه خطأٌ في الحساب! دائماً ما يُخطِئُ كونو من القسم التجاري وعليّ أنا أن أعيد كلّ الحسابات...

غيّرتُ موضوع الحديث متظاهراً بأنني أتحدّثُ مع نفسي، مع ضحكة مصطنعة مراعاةً لتابوتشي.

- لا أصدق عدد الناس الذين لا يحسنون العمل على جداول النفقات!

عاد تابوتشي بدوره إلى حاسوبه، وهو يقهقه.

رنّ الهاتف الداخلي. رفعت يوشيتاكا، الجالسة أمامي، السمّاعة وقد بدا عليها التعب. كانت، وهي في قرابة العشرين من عمرها، قد عُيّنت حديثاً في الشركة. بعد ردٍّ فظٍّ موجّه لمحدّثها، قالت:

- أوراسي، المكالمة لك.

ضغطتْ على زرّ الانتظار.

- حقّاً؟ ممّن؟

- لم أفهم. من رجلٍ.

- شكراً...

أمسكتُ بالسمّاعة. كان المتّصل من قسم الشؤون الخارجية.

منذ إبرام اتّفاقية بشأن استيراد أثاثٍ جديدٍ من إنجلترا، كُلّفتُ بإعداد موازنة تقديرية، وهي مهمّة تقع نظريّاً ضمن اختصاص تابوتشي. لكن لسببٍ ما، كانت الأقسام الأخرى تمرّ بي على نحوٍ متكرّر، فعلى الأرجح يُسهِّل عليهم خجلي مهمّةَ إعطائي الأوامر.

وضعتُ المكالمة على وضعية الانتظار وسألتُ تابوتشي:

- هل انتهيت من إعداد الميزانية التقديرية للماركة الإنجليزية؟ قسم الشؤون الخارجية يُريدها قبل اجتماع الغد.

- آه، حقّاً؟ لم أفهم منها شيئاً. إنّها ليست بالدولار، بل بالجنيه الإسترليني، ولم أستوعبها إطلاقاً. أنا مُعدَمٌ باللغة الإنجليزية، بعكسكَ أنت!

نظرته المليئة بالاستجداء استجرّت من داخلي تنهيدة عميقة.

- حسنٌ... أنا سأتكفّل بالأمر.

قال مع حركةٍ من يده:

- أعتذِر! في المرّة القادمة، سوف أدفع عنك ثمن المشروب!

في هذه الأثناء، كانت يوشيتاكا تقصّ أطراف شعرها.

أن يكون رئيسي غير كفؤ وأن تكون مرؤوستي غير متحمّسة كان أمراً يمكنني تحمّله، ولكن في لحظاتٍ كهذه، لم تكن تراودني سوى رغبة وحيدة: أن أستقيل من هذا العمل.

كنتُ منطوياً جدّاً من الناحية الاجتماعية بحيث حالفني الحظّ في أن أُعيّن في قسم المحاسبة مثلما كنتُ أتمنى، وليس في القسم التجاري. ولكن في أيّ هيكلية كانت، كنتُ سأضطرّ للتعامل مع علاقات مزعجة.

كم سأكون أفضل حالاً في متجرٍ مليءٍ بأشياءٍ أحبّها! لن أتحدّث سوى مع عشّاق التحف، مثلي!

مع الأسف، لم أستطع أن أستقيل. لم يكن لديّ ما يكفي من نقودٍ مدّخرة، سيما وأنّ الأيام كانت تجري بسرعة وأنا أعمل كلّ أيام الأسبوع، ولانشغالي بأمور حياتي اليومية، لم يكن لديّ الوقت للتفكير بافتتاح محلٍّ ولا بتحضير أيّ شيءٍ كان.

متى سأستطيع أن أدفع باب متجري للتحف القديمة؟ الشيء الوحيد الذي أنا متأكّدٌ منه هو أنني سوف أعمل هذا المساء عدّة ساعات إضافية لا فائدة منها.

صباح اليوم التالي، يوم الأربعاء، ذهبتُ إلى لقاء صديقتي هينا في مسكنها. كانت تقيمُ في منزلٍ يقعُ في حيٍّ سكنيٍّ هادئٍ.

كما لو أنها كانت تراقب الخارج من غرفتها، أخرجت رأسها من نافذة الطابق الأوّل ونادتني:

- ريو!

عادت في الحال إلى الداخل، حتى أنني انتظرتُ في الحديقة دون أن أقرع الجرس، ظنّاً منّي أنّها سوف تخرج إليّ، عندما ظهرت أمّها في المدخل.

- صباح الخير ريو، لم نرَك منذ زمنٍ طويل! تبدو بحالةٍ جيّدة.

- صباح الخير.

- سوف تتناول العشاء معنا هذا المساء، أليس كذلك؟

- أوه... نعم، شكراً على الدعوة.

- العفو! علاوة على ذلك، يبتهجُ والد هينا أيضاً كلّما تزورنا. هل تفضّل اللحم أم السمك؟ هينا لا تأكل سوى اللحم، ولذلك ما إن يزورنا ضيف، أحاول أن أستغلّ ذلك لإعداد سمكٍ...

أقبلت هينا مسرعةً نحونا.

- ماما، كفّي عن التحدّث مع ريو!

أمسكت بي من ذراعي. فاحت منها رائحة الفانيلا، وهو عطرها المفضّل.

- هيّا بنا!

بيدها الفارغة، حيّت هينا أمّها، ثمّ سحبتني إلى خارج الحديقة.

كان فارق السنّ بيننا عشر سنوات، إذ كانت في الخامسة والعشرين من عمرها.

كنّا قد التقينا قبل ثلاث سنوات، على شاطئ كاماكورا. كنتُ أتجوّل في سوقٍ للسلع المستعملة في معبدٍ، وبينما كنتُ أواصل نزهتي على الشاطئ، رأيتُ فتاةً تجلس القرفصاء على حافّة الماء تبحثُ عن شيءٍ ما.

من خلال التعابير الظاهرة على وجهها وتركيزها الشديد، اعتقدتُ أنّها قد فقدت شيئاً ثميناً تبحثُ عنه، ولكن حينما توجّهتُ إليها بالكلام، أجابت:

- ألتقطُ الزجاج البحري المصقول.

كانت هذه شظايا من الزجاج ألقى بها البحر إلى الشاطئ. مع مرور الزمن، قُذِفَت هذه الشظايا من أماكن بعيدة وعصور سحيقة وصُقِلَت بفعل أمواج البحر، فتحوّلت إلى تُحَف فنّية أنتجتها الطبيعة وأُلقيت على شواطئ البلدان الأجنبية.

كانت هينا تصنع منها حُلى. كانت حافظة الطعام خاصّتها تضم قطعاً من الزجاج باللونين الأخضر والأزرق، كما أنها احتوت أيضاً على أصدافٍ ونجوم البحر المجفّفة.

- هذا الزجاج البحري يجعلك تحلم بالاعتقاد بأنّه جزءٌ من

شيءٍ سبق وأن استخدمه أحدٌ ما في الماضي. تُرى من أمسكَ به بين يديه؟ في أيّ ظروفٍ؟ إنّ التفكير في ذلك يجعل خيالي ينطلق في كلّ الجهات!

«نحن متشابهان»، قلت في سري.

هذه النظرة، هذه الحساسية، هذه الرؤية للعالم، كانت هذه الفتاة تشبهني.

انحنيتُ بدوري لكي أنقّب في الأرض واكتشفتُ كومةً من الأشياء. طحالب جافّة، أخشاب طافية، حصى. ولكنني وجدتُ أيداً صندلاً، وأكياس بلاستيكية، وأغطية قوارير مختلفة ومتنوّعة... نفايات صناعية، بالمجمل. فإذا فكّرنا في الأمر، لوجدنا أنّ الشاطئ عبارة عن سوقٍ متجوّلٍ عملاقٍ للسلع المستعمَلة.

وبين كلّ هذه الأشياء، وجدتُ قطعة من الزجاج البحري المصقول على شكل حبّة فاصولياء.

- تفضّلي، إن كان هذا يهمّكِ.

صاحت بنبرةٍ متحمة جدّاً واتّسعت عيناها:

- أووه! رائعة! حمراء، هذه فعلاً نادرة. أنا سعيدة للغاية، شكراً جزيلاً!

أجبتُ «عفواً» مع تحيّة من رأسي وغادرتُ على عجلٍ. كانت، وهي فرحة، لطيفة جدّاً بحيث شعرتُ بالإحراج منها. لكنّ الحياة تقدّم لنا فرصاً كهذه أحياناً. في تلك اللحظة، لم أرَ أبعدُ من ذلك.

لكنّ قصّتنا لم تنتهِ عند هذا الحدّ.

ففي عطلة نهاية الأسبوع التالية، التقينا بالصدفة في قاعة لعرض التحف القديمة في معرض طوكيو الدولي الكبير بيغ سايت. بين أجنحة العرض التي تُعدُّ ولا تُحصى ووسط حشود الزائرين، وجدتها

كما لو أنّ الأمر معجزة. خال لي أنني رأيت ضوءاً ينبعثُ منها، على الرغم من أنني أخجلُ من الاعتراف بذلك.

أشدتُ بها أثناء تسوّقها، وكانت حركتي عفويّة، ولم أفكّر بها مسبقاً. فوجئتْ هينا أيضاً مثلي، وأثناء الحديث، خطر لي أن أدعوها لشرب فنجانٍ من الشاي معاً. في الحقيقة، كانت هذه تجربتي الأولى في الإغواء، وما إن أفكّر في ذلك، حتى يذهلني تصرّفي.

كان القاسم المشترك بيننا هو شغفنا بالتُحف، فذهبنا معاً إلى المتاجر المتخصّصة والأسواق المتجوّلة للسلع المستعمَلة.

- يوماً ما، سيطيبُ لي أن أفتح متجراً معك.

حدث وأن ذكرنا هذا الموضوع في مناسبات نادرة. لكن «يوماً ما» هذا سوف يكون في فترة تقاعدنا، إذا نجحنا في كسب مئة مليون ين من اللوتو، وهذا ضربٌ من الأوهام. كانت هينا تجهلُ أنّ طموحي هذا جدّيٌ.

كم سنة بقيت لي قبل أن أتقاعد؟ حينما تحين تلك اللحظة، هل سأمتلك الأموال، والحميّة، والقوّة البدنية لكي أفتح متجراً؟

اليوم، دعتني هينا إلى المشاركة في ورشة عمل صغيرة لاكتشاف المعادن، بحيث كان مركزٌ اجتماعي يقع بالقرب من منزلها، ضمن مدرسة ابتدائية - غير مدرستها التي درست فيها أثناء طفولتها - ينظّم دروساً وفعاليات.

- كيف اكتشفتِ هذا المكان؟

- أرغبُ في تأسيسِ موقعٍ على الإنترنت، ولذلك بحثتُ عن دروسٍ في المعلوماتية، ورأيتُ أنّهم يقدّمونها في المركز. منذ تلك اللحظة أجيءُ إلى هذا المكان. إنّها دروس خاصّة إلى حدٍّ ما، أتعلّم

فيها كلّ ما يلزمني. يستغرق كلّ درسٍ ساعتين مقابل ألفي ين. المركز الاجتماعي هو أمرٌ رائعٌ! علاوة على ذلك، هناك الكثير من المناسبات والنوادي الترفيهية.

لم تكتفِ بصناعة الحُلى من زجاج البحر المصقول، بل فكّرت في بيعها. كان لدى هينا عملٌ إداريٌّ خفيف تقوم به ثلاث مرّات في الأسبوع. وإذ كانت تُقيم مع والديها، لم تكن مضطّرة لأن تهتمّ بالمصروفات اليومية وكان لديها الوقت لصنع الحُلى وتأسيس متجرٍ للبيع عبر الإنترنت. خلافاً لي.

غرقتُ في حالتي السلبية، فهززتُ رأسي لطرد الأفكار السوداوية.

دخلتُ برفقة هينا إلى المبنى الأبيض للمركز الاجتماعي، ثمّ كتبتُ اسمي، وسبب قدومي إلى المركز وساعة وصولي على استمارة الاستقبال. بدا واضحاً أنّ ما يقرب من عشرة زوار كانوا قد دخلوا في الصباح نفسه لاستخدام إحدى قاعات الاجتماعات، وهي قاعة مؤثّثة على الطراز الياباني، والمكتبة العامّة أيضاً. وقد أدهشني أن تكون هناك مكتبة عامّة في المركز.

لم يكن في ورشة العمل، المقامة في القاعة (ب) سوى أربعة مشاركين. عدانا نحن، كان رجلان متقاعدان قد سجّلا اسميهما. ربّما كان الحضور في مجموعة صغيرة أكثر ملاءمةً لهذا النشاط.

كان المشرفُ على الورشة رجلاً في الخمسينيات يُدعى موغي. في البداية، عرّف بنفسه ببضع كلمات. عرفنا أنّه موظّفٌ في مسبكٍ للمعادن تعاظم اهتمامه بالمعادن تدريجيّاً ونال شهادة خبيرٍ بشأنها. أثناء أوقات فراغه، كان ينظّم ورشات عمل ورحلات لاستخراج الأحجار، كمتطوّع غالباً.

«تعاظم اهتمامه تدريجيّاً»، ثمّ أصبح «متطوّعاً». . . لا بدّ أنّه يمتّع نفسه دون أن يؤذي أحداً.

حتى وإن لم يكن هناك ما أفعله في الورشة، وجدتها مثيرة للاهتمام. عرّف لنا موغي مختلف أنواع المعادن، وصيرورة تشكّلها، والاستخدام الصحيح للعدسة المكبّرة وأطلعنا على معادن نادرة.

تلقّى كلّ مشارك حجرة طولها خمسة سنتيمترات. بحسب موغي، هذه الصخرة البنفسجية المشوبة بالأصفر كانت من الفلوريت القادم من الأرجنتين.

- حسناً، سوف نصقلها!

كان يجب سكب بعض الماء على الحجرة باستخدام قطّارة، وحفّها بورق الصنفرة، وشطفها بالماء عندما يستوي سطحها قليلاً، ثمّ استخدام ورق صنفرة أكثر نعومةً.

بعد تسوية زوائدها، أظهر الفلوريت خطوطه المشعّة بوضوح. وجدتُ هذا النشاط مسلّياً.

استيقظ حلمي في أن أصبح تاجر تحفٍ فجأةً. نعم، سوف يمكنني أن أضيف ركناً خاصّاً بالمعادن، بل وسوف يستطيع موغي أن يقيم ورشات عمل فيه لمجموعات صغيرة.

في ختام الدقائق التسعين، أخبرتني هينا:

- سأتناقش مع السيّد موغي، هل لك أن تنتظرني؟ أودّ أن أصنع مجوهراتٍ من المعادن وأريدُ أن أعرف ما هي الأحجار المناسبة لذلك، لا سيما بشأن صلابتها.

يا للحماسة! لم يكن لديّ أيّ سبب لأضع نفسي عقبة في طريق مشروعها، هي التي كانت تركّز على متجرها على الإنترنت.

- حسناً. يبدو أنّ هناك مكتبة عامّة، سأذهب لإلقاء نظرة على الكتب. خذي وقتكِ.

وعند هذه الكلمات، غادرتُ قاعة الاجتماعات.

تفقّدتُ داخلَ المكتبةِ بدءاً من مدخلها: وجدتها أكبر ممّا تصوّرت، مليئة بالرفوف المسندة إلى الجدران والمنصوبة وسط الصالة.

لم يكن هنالك أحد، سوى فتاةٍ وحيدة في الاستقبال، ترتدي مريولاً أزرق داكناً، وتُدخل الرموز الشريطية للكتب إلى الحاسوب.

بدأتُ بالرفّ الجداريّ الأقرب إلى المدخل. ولأنّ هذه المؤسّسة ملحقة بمدرسة ابتدائية، توقّعتُ أن تكون غالبية الكتب المعروضة فيها مخصّصة لليافعين، لكنني دُهشتُ برؤيتها أكثر ثراءً بالكتب من مكتبة عامّة تقليدية.

رحتُ أبحث عن كتابٍ حول التُّحف القديمة. كما أنني رأيتُ رفَّ الكتب الفنّية، وتصفحتُ بعض الكتب المعروضة عليه، ثمّ بحثتُ عن الكراريس الإرشادية بشأن إنشاء متجرٍ.

في تلك اللحظة، مرّت الفتاة ذات المريول الأزرق الداكن بقربي وهي تحمل ثلاثة مجلّدات، من المؤكّد أنّها أُعيدت مِنْ قِبل مَنْ كانوا قد استعاروها.

سألتها:

- هل لديكم شيءٌ عن إنشاء أو إدارة المشاريع؟

تحرّكت عيناها المفتوحتان واسعاً بقلق. لا بدّ أنّها لم تبلغ العشرين من عمرها بعد.

- أوه... تقصد عن عالم الأعمال؟ لمَ لا تأخذ السير الذاتية لأرباب الأعمال...

بحسب شارتها التعريفية، كانت تُدعى نوزومي موريناغا. مشفقاً عليها لرؤيتها تبذل هذا المجهود، أشرتُ لها بأنني سأتدبّر أمري بنفسي. أجابت وقد احمرّت خجلاً:

- أرجو أن تقبل اعتذاري، فأنا ما زلت أتعلّم مهنة أمينة مكتبة. المسؤولة موجودة في ركن الاستشارات في آخر القاعة، لا تتردّد في الاستفسار منها.

في الاتجاه الذي أشارت لي عليه، رأيتُ لافتة تحمل كلمة «استشارات» معلّقة على السقف.

إذا كانت هناك أمينة مكتبة، فهذا يدلُّ على أنّ هذه مكتبة عامّة حقيقيّة، رغم حجمها المتواضع. توجّهتُ نحو آخر القاعة، والتففتُ حول ستارٍ وجفلتُ من أوّل نظرة.

وجدتُ سيّدة ضخمة تجلس في المكان.

رأيتُ رأساً بلا ذقن فوق جسدٍ جاهزٍ لأن ينفجر. ترتدي مريولاً صوفيّ اللون فوق سترةٍ عاجيّة اللون فضفاضة. بشرتُها وثيابها ناصعة البياض إلى درجة أنّها ذكّرتني بشخصية بيدندوم شامالو في فيلم **صائدو الأشباح**.

تقدّمتُ بحذرٍ وتوجّس. ارتجّت شبيهة بيدندوم شامالو دون أن تبدي مظهراً ودّياً. بدت وكأنّها تشعر بأنّها ليست على ما يُرام. ولكن حينما نظرتُ إلى يديها، رأيتُها تغرزُ إبرةً في كرةٍ.

لا بدّ أنّها متوتّرة...

تردّدتُ في فكرة التحدّث إليها، وكدتُ أن أعود على أعقابي، حينما رفعت سريعاً رأسها. متفاجئاً بنظرتها، تجمّدتُ في مكاني.

- عمّ تبحث؟

فاجأني صوتها الناعم، الهادئ. كان صوتها مليئاً بالحنان، على الرغم من الغياب الكلّي للابتسامة على شفتيها. مخطوفاً، استدرتُ نحوها مترنّحاً.

ما كنتُ أبحث عنه... كان على الأرجح وسيلة لتحقيق حلمي.

كانت شارة اسمية تتدلّى على صدر شبيهة بيدندوم شامالو: «سايوري كوماتشي». كان دبوسٌ طويلٌ ذو زهورٍ بيضاء مغروزاً في كعكة شعرها.

- أوه... هل لديكم كتبٌ عن تأسيس المشاريع؟

ردّدت:

- تأسيس المشاريع...

بدت أنّها تفكّر بتركيزٍ شديدٍ، الأمر الذي أربكني بعض الشيء. أضفتُ بعد قليل:

- وكذلك عن الإجراءات التي يجب اتّخاذها في سبيل تقديم الاستقالة من العمل...

سألتُ وأنا الذي لم يكن بمقدوري تأسيس مشروعٍ ولا التخلّي عن وظيفتي الحالية.

وضعت كوماتشي الإبرة والكرة في علبة من الورق المقوّى برتقالية اللون في متناول يدها. كانت علبة كعك من ماركة هاني دوم لشركة كوريميادو. في طفولتي، كنتُ أحصلُ عليها كمكافأة عندما أساعدُ في القيام بالأعمال المنزلية.

أطبقت كوماتشي غطاء العلبة ونظرت إليّ.

- تأسيسُ المشاريع موضوعٌ واسعٌ جدّاً. ما الذي تنوي فعله؟

- يوماً ما، أتمنى أن أفتح محلّي الخاصّ بالتُّحف القديمة.

- يوماً ما...

من جديد، ردّدت كوماتشي بضع كلمات فحسب. حثّتني نبرة صوتها الرتيبة على أن أسارع إلى شرح موقفي.

- في الواقع، لا أستطيع أن أستقيل حاليّاً. ولا سيّما أنني لا أملك ما يكفي من المال لإطلاق مشروعي الخاصّ. أقول «يوماً ما»، لكن من الممكن أن ينتهي الأمر إلى حلمٍ غير متحقّق.

- ماذا تقصد بأن «ينتهي الأمر» إلى حلمٍ غير متحقّق.

- لا يمكن أن «ينتهي» حلمٌ طالما هو موجود. سيبقى إلى الأبد حلماً رائعاً. فحتى إن لم تحقّقه، هو أحد خيارات الحياة. لأنّ الحلم دون خطّة محدّدة ليس بالأمر السيّئ. هذا يتيح الاستمتاع بالحياة استمتاعاً تامّاً.

انفعلتُ للغاية بحيثُ لم أعد أعرف ما الذي أقوله.

إذا كانت عبارة «يوماً ما» صيغة رائعة لمواصلة الحلم، فما الكلمات التي كان ينبغي لفظها بغية تحقيقه؟

- ولكن إذا كنت ترغب في معرفة ماذا يوجد ما وراء الحلم، فلا بدّ من فعل كلّ شيء في سبيله.

استقامت كوماتشي فجأةً واستدارت نحو حاسوبها. وضعت يديها على لوحة المفاتيح دون أن تحرّكهما، وفي اللحظة التالية، نقرت على الأزرار بسرعة كبيرة بحيث لم أعد أرى أصابعها. وقفتُ فاغر الفاه أمام سرعتها.

في النهاية، كبست على زرّ «إدخال» بحركة قويّة، مشغّلةً الطابعة. ثمّ ناولتني الورقة التي تحمل قائمة بعناوين الكتب، وأسماء مؤلّفيها، وأرقام الرفوف التي توجد عليها هذه الكتب.

أنت قادرٌ على فتح متجرٍ؛ متجري؛ سبعة أشياء يجب القيام بها حين ننوي الاستقالة.

في أسفل القائمة، كان هناك عنوانٌ لا علاقة له بالموضوع على الإطلاق، ما جعلني أقرأه مرّتين.

لماذا سَمادي العضوي حارّ؟ وأسئلة أساسية أخرى حول الحديقة.

مفترضاً أن كوماتشي قد أخطأت، قرأتُ مجدداً هذا العنوان بصوتٍ منخفضٍ، الأمر الذي لا بدّ أنّها سمعته، ولكنّها اكتفت بالنظر إليّ بصمت.

- «أسئلة أساسية حول الحديقة»؟

أجابت، واضعةً يدها على مشبكِ شعرها.

- نعم. وهذه أزهار الأكاسيا.

وإذ ظلّ وجهها خالياً من التعابير، لم أعرف ماذا أقول، فهنّأتها من باب المجاملة:

- هذا رائع.

وضعت إصبعها على علبة الكعك.

كانت أزهار بيضاء مرسومة على غطائها. أزهارُ الأكاسيا على الأرجح. كنتُ أعرفُ هذه العلبة منذ زمنٍ طويلٍ ، دون أن أعرف اسم الأزهار أبداً.

سألتُ همساً:

- العسل المستخدَم في صناعة كعك هاني دوم هو عسل أزهار الأكاسيا، أليس كذلك؟

أمالت كوماتشي جسمها الضخم قليلاً وفتحت الدرج الثاني لطاولة مكتبها.

- تفضّل، هذا لك.

- لي أنا؟

مدّت يدها، كما لو أنّها تُمسكُ بخفّة قطعةً صغيرة من الحلوى المحشوة بكريمة الكاسترد. بحركة تلقائيّة، فعلتُ الشيء نفسه، فوضعتْ في راحة يدي شيئاً ناعماً.

بدا وكأنّه كرة من الصوف... على شكل قطّة. قطّة مرقّطة، باللونين البنيّ والأسود، تنام على جنبها.

- ما هذا؟

- هديّة إضافية صغيرة.

- عفواً؟

- هذه هدية صغيرة إضافةً إلى الكتب.

هديّة إضافية صغيرة... لي أنا؟ هل بدا عليّ أنني هاوٍ للقطط؟ ما هو السبب؟

- ما يعجبني هو أنّه لا حاجة لنموذج تفصيلٍ لصناعة هذه. ولا أيّ التزامٍ بشأن الشكل الذي ينبغي الحصول عليه.

رفعتْ غطاء علبة الحلوى لتأخذ الإبرة والكرة، ثمّ شرعت بالوخز. نظراً للجوّ الذي ساد، كان الوقت قد حان لكي أتوقّف عن طرح الأسئلة، وكنتُ سأهمّ بالانسحاب مع الورقة المطبوعة والقطّة.

قالت دون حتى أن تنظر إليّ:

- آه، لقد نسيت. حينما تُغادر، لا تنسَ أن تسجّل توقيت مغادرتك في مكتب الاستقبال. الكثير من الزائرين ينسون ذلك.

- حسناً.

أعمَلَت الإبرة بوتيرةٍ أسرع. ارتجّ بيدندوم شامالو تحت وطأة الضربات الخفيفة.

قارنتُ أرقام الرفوف بالرجوع إلى القائمة وأخذتُ كلّ الكتب المشار إليها. والكتاب الرابع أيضاً. كان عنوانه طويلاً، مع قسمٍ منه مكتوبٍ بحروفٍ كبيرة.

ظهرت هينا في تلك اللحظة. كانت قد أنجزت عملها بسرعة، أو بالأحرى استغرق حديثي مع كوماتشي أكثر ممّا كان متوقّعاً.

حينما رأت القطّة، صاحت هينا التي لا يفوتها شيء، وأخذتها من بين يديّ:

- من أين لك هذه؟

- أمينة المكتبة أعطتني إياها.

- إنّها في غاية الروعة! مصنوعة بإبرة التلبيد.

إنّها تحمل هذا الاسم إذاً! نويتُ أن أهديها لها، ولكنّها أعادتها لي وهي تسأل:

- هل استعرتَ الكتب؟

مندهشاً، استعدتُ القطّة.

- لا، ألقيتُ نظرةً عليها فحسب...

أخفيتُ في الحال الكتب الثلاثة واضعاً الكتاب عن النباتات فوق الكتب الأخرى لكيلا ترى العناوين.

سألت نوزومي:

- هل أُصدِرُ لكَ بطاقةَ قارئ؟

هي التي درست لكي تصبح أمينة مكتبة بدت متفانية في عملها.

كنتُ سأرفض اقتراحها، عندما أجابت هينا نيابةً عنّي:

- هل يستطيع الجميع استعارة الكتب؟

- بل سكّان الحي فقط.

- سأستخرجُ بطاقة باسمي إذاً، فهو لا يُقيمُ هنا.

توجّهت هينا نحو مكتب الاستقبال، مدعوّةً من قبل نوزومي المليئة بحسن النيّة. استغللْتُ الفرصة لكي أضع سريعاً على الرفّ الكتب المتعلّقة بتأسيس المشاريع التجارية، واستعرتُ الكتاب الرابع كما لو أنّ شيئاً لم يكن، وكهاوٍ للنباتات عديم الخبرة، تركتُ المكتبة ورائي.

قُرب المخرَج، تذكّرتُ كلمات كوماتشي. كانت قد ألحّت على ضرورة تسجيل توقيت مغادرتنا المكتبة. بعد أن أنجرتُ المهمّة ووضعتُ القلم الجافّ من يدي، لاحظتُ وجود كومةٍ من الأوراق جانباً.

كانت الوثيقة تحت عنوان: «جريدة مركز هاتوري الاجتماعي»، وهي نسخة ملوّنة من ورقة بقياس A4 لوثيقة مكتوبة بخطّ اليد، تحت تصرّف الزائرين.

لفت نظري بشكلٍ مفاجئ ما هو موجودٌ في أسفل الصفحة؛ صورة قطّة شبيهة بالقطة التي أهدتها كوماتشي لي. كانت قطّة مرقّطة بين يدي رجلٍ يضع نظّارات، ويرتدي لباس بحّارٍ. وفي خلفية الصورة، رفوفٌ محمّلة بالكتب.

أمسكتُ بالورقة بحركة تلقائية.

كان هذا العدد الواحد والثلاثون من الجريدة يتناول المؤسّسات الموصى بها من قبل الموظّفين، مقسّماً إلى ستّة أقسام، ويستعرض متاجر في طوكيو: محل للحلويات، ومحل لبيع الزهور، ومقهى، ومطعم لطبق **التونكاتسو** المعدّ من اللحم المقلي بالبيض والطحين،

وحانة كاريوكي. وفي أسفل الصفحة تماماً، تحت صورة القطّة، قرأتُ تعليقاً يقول: «مكتبةٌ أوصت بها سايوري كوماتشي، أمينة المكتبة».

كانت المكتبة تُسمّى كاتس ناو بوكس (Cat's Now Books)، وهي مكتبة عن القطط، ومع القطط.

قالت هينا وهي تنظر إلى الخارج، حالما فُتِحَ الباب:

- يبدو وكأنّ السماء ستُمطِر. دعنا نستعجل، يا ريو.

بعد أن طويتُ الورقة إلى نصفين، دسستُها بين الكتاب الذي وضعتُه في حقيبتي، ثمّ خرجتُ من المركز الاجتماعي.

كانت لهينا أختان تكبرانها سنّاً. الأكبر سنّاً، كيميكو، كانت في الخامسة والثلاثين من عمرها، مثلي؛ والأصغرُ منها، إيريكا، في الثانية والثلاثين من عمرها. والغريب أنّ هينا كانت قد ولِدَت بعدهما بفارقٍ زمنيٍّ كبير.

تعمل كيميكو، العزباء، مهندسةَ صوتٍ في قناة تلفزيونية بأوساكا، في حين تعيش إيريكا، المتزوّجة من رجلٍ تشيكي، في براغ. فأدركتُ جيّداً أن والديهن يعتزّان على نحوٍ خاصّ بابنتهما هينا التي تعيش بالقرب منهما.

ومع ذلك، وافقا دون صعوبة بأن تقضي عطلتها في نهاية الأسبوع في بيتي أو أن نذهب بضعة أيام في رحلةٍ. كانا يؤكّدان بأنّها بالغة الآن ويفضّلان هذا على أن يرياها تتصرّف دون علمهما. ربّما هذه هي الحال حينما يكون أحدنا أصغر أخوته.

كنتُ قد استأجرتُ في العام السابق سيّارة للقيام برحلة صيفية وحينما أوصلتُ هينا إلى بيتها، اضطررتُ على نحوٍ ما إلى دخول المنزل. ومنذ ذلك الحين، اندمجتُ في العائلة شيئاً فشيئاً. لم

أتطرّق قطّ إلى مسألة الزواج مع هينا، ولكن بدا أنّ والديها يريان الأمور من هذه الزاوية.

سألني والدها وهو يمدّ قارورة البيرة ليصبّ منها في كأسي:

- هل لديك الكثير من العمل، يا ريو؟

سارعتُ إلى إفراغ كأسي الذي كان لا يزال نصف ممتلئٍ.

- نعم، الكثير. نحن في غمرة فترة تنظيم نهاية السنة المالية... ولكن هذا خطئي أنا، فأنا لستُ على كفاءة عالية.

- أنت ذو طبيعة طيّبة وجادٌ في عملكَ، ولذلك أراهن على أنّهم يسندون إليك عمل الآخرين أيضاً!

ملأ كأسي الفارغة، فشكرته بإيماءةٍ من رأسي.

حذّرته هينا:

- بابا، ريو تؤثر فيه الكحول سريعاً، ولذلك لا تجعله يُفرِطُ في الشراب.

علّق ضاحكاً بأنّه ليس عليّ سوى أن أبقى لأنام هنا.

- هينا، هلّا أتيتِ لمساعدتي؟

جاء صوتُ أمّها من المطبخ. نهضت هينا من مقعدها.

مدّ والدها عيدان طعامه نحو السمك المطبوخ في صلصة الصويا، وقال هامساً وهو مسبل العينين:

- لقد اتّسمت ابنتاي الكبيرتان بشخصيّة قويّة منذ صغرهما؛ وهما لا تفعلان إلّا ما يحلو لهما، وهما مستعدّتان لتحمّل المخاطر. أما هينا، فتفعل الأشياء على طريقتها، فهي طفلة منفصلة عن الواقع وتعيش في فقاعتها الخاصة. لقد دللناها كثيراً. ولذلك أنا مطمئنٌّ لوجودِ رجلٍ قويٍّ مثلك إلى جانبها.

بعد لحظة صمتٍ قصيرة، حدّق فيّ مع ابتسامة لطيفة.

- أوصيكَ بابنتي.

كوني أبعدُ ما أكون عن القوة، لم أستطع أن أردّ عليه بالإيجاب على نحوٍ واضح ومتحمس، فاكتفيتُ بابتسامةٍ غامضة، محاكياً الإحراج.

لحسن الحظّ، أحبّني، وعدّني زوجاً محتَمَلاً لابنته المحبوبة التي سأقضي حياتي في حمايتها.

ولكن هذا وضع ضغطاً عليّ. لم يكن وارداً أن أذكر رغبتي في فتح متجرٍ بعد الاستقالة من عملي الذي يضمن لي الاستقرار رغم كونه في شركة صغيرة.

فما يبعثُ الطمأنينة في والديّ هينا ليس أنا، بل وظيفتي.

عندما عدتُ إلى بيتي، استحممت، ثمّ تمدّدتُ على السرير ممسكاً بالكتاب الذي استعرته من المكتبة وهاتفي الذكيّ.

لماذا سَمادي العضوي حارّ؟ وأسئلة أساسية أخرى حول الحديقة.

كان الغلاف فاخراً؛ أبيض اللون، مع صور نباتاتٍ مرسومة بأناقة بقلم الرصاص، وفي الوسط، تلمع الحروف المجوّفة للعنوان باللون الأخضر. كان هذا الكتاب قد صُمِّمَ بعناية فائقة.

لم أدرِ لماذا نصحتني به أمينة المكتبة، ولكنه أعجبني بكلّ تأكيد. في المتن، وجدتُ وفرةً من الرسوم التوضيحية الدقيقة مرفقة بتصميم كتابيٍّ للنصوص أفقيٍّ وسهل القراءة. من خلال سؤالٍ واحدٍ في كلّ صفحة مزدوجة، بدا لي مناسباً للقراء بدءاً من نهاية المرحلة الابتدائية، دون أن يكون المحتوى طفولياً.

استلقيتُ على ظهري، وحين فتحتُ الكتاب، سقطت منه بهدوء

جريدةُ المركز الاجتماعي. وضعتُ الكتاب على زاوية وسادتي والتقطتُ الورقة.

مكتبة عن القطط...

بحسب ما ورد في المقالة، كان ربّ العمل ياسوهارا قد استقبل قططاً ووظّفها. وتقع المكتبة، المخصّصة للكتب المتعلّقة بالموضوع، في حي سانغنجايا في طوكيو، ويُخصّصُ جزءٌ من الإيرادات لجمعية تُعنى بحماية القطط.

والحال أنّ مقبض الملعقة ذات الخروف، التي رأيتُ فيها شكل زهرة التوليب، يشبه هو الآخر قدم قطّة. وكان المقبض من طراز «تريفيد»، مسطّحاً وعريضاً ذا أخدودين.

على هاتفي، كتبتُ عبارة «كاتس ناو بوكس» في حقل البحث.

ظهرت العديد من المقابلات على نحوٍ مدهش، عبر حسابٍ على منصّة تويتر.

نقرتُ على المقالة الأولى؛ فظهر ياسوهارا مرتدياً قميصاً قصير الكمّ عليه صورة قطّة، ويحمل قطّة بين ذراعيه، أمام رفٍّ للكتب، ولكنّها كانت قطّة سوداء وليست تلك القطّة المرقّطة الموجودة في الصورة الأخرى. كم قطّة لديه؟ كان يمكن أيضاً طلب المشروبات في مكتبته، وظهرت في المقالة صورةٌ لجعّة تُسمى «قطّة الأربعاء».

«قططٌ، وكتبٌ، وجعّةٌ. أي أنّك محاطٌ بكلّ ما تحبّ»، يقول التعليقُ في أسفل الصورة. نظرتُ إلى ياسوهارا، وهو مبتسمٌ أمام عدسة الكاميرا.

يا له من محظوظٍ! لقد حقّق حلمه...

ثقُل جفناي. نظرت عيناي بشرودٍ إلى المقالة الموجودة على

الإنترنت. كان ياسوهارا يُدير مكتبته وهو موظّف مدفوع الأجر في شركة متخصّصة في مجال تكنولوجيا المعلومات.

كيف أمكنه الجمع بين نشاطين؟ **Social business (مشروع اجتماعي)**. **Crowdfunding (تمويل جماعي)**. قرأتُ المقالة قافزاً على الكلمات الإنجليزية غير المفهومة الواردة فيها.

يقول ياسوهارا في المقالة: «الحصول على حياة مهنية موازية، هو الحصول على وظيفتين مكمّلتين لبعضهما، دون أن تكون هناك علاقة هينمة بينهما».

«دون علاقة هينمة»؟ ما معنى هذا؟

من خلال إدخال «حياة مهنية موازية» في خانة محرّك البحث، علمتُ أنّ أصل هذه العبارة يُنسَب إلى بيتر دراكر، الكاتب الاقتصادي الذي يُعدّ منظّر علم الإدارة والذي اقترح «تأسيس نشاطٍ ثانٍ موازٍ». أهي وظيفة ثانوية، إذاً؟

تثاءبت.

ثم فصلتُ جهاز هاتفي. كنتُ متعباً، وعلاوة على ذلك، كنتُ قد شربتُ الجعّة. دهمني النُعاس، فأغمضتُ عينيّ في الحال.

في اليوم التالي، حدثتُ يوشيتاكا بخصوص مغادرتها المكتب في الساعة الخامسة مساءً بالضبط.

- هل انتهيتِ من تدقيق بيان نفقات قسم المبيعات؟ إنّهم ينتظرون الوثيقة.

ردّت وهي تهزّ إحدى يديها:

- آه... ليس بعد. لقد صبغتُ أظافري للتوّ، هل يمكن أن أُنجز ذلك غداً؟

كان فهم عدم قدرتها على إنجاز عملها بذريعة صبغ أظافرها خارج نطاق قدراتي.

- المهلة هي اليوم، مثلما تعلمين.

نويتُ أن أتحدّث بأقصى درجات اللباقة، لكنّ يوشيتاكا عبست، كما لو أنّها أُهينَت.

ودون أن تتفوّه بكلمة واحدة، عادت وجلست إلى مكتبها بغضب وأخرجت هاتفها من حقيبتها بأطراف أصابعها، ثمّ أجرت مكالمة.

- ألو؟ أعتذِر، سوف أتأخّر في المجيء. لدي أمرٌ يجب أن أنهيه بأقصى سرعة في العمل.

دون أدنى شكّ، أجرت اتّصالاً هاتفيّاً بدل أن تُرسِل رسالةً هاتفيّة أو رسالة إلكترونية لكي أسمع الحديث. شعرتُ بالأسف من أجلها.

ولكن لماذا أشعرُ بالذنب؟

شغلتُ نفسي بمهمّة غير ملحّة، وانتظرتُ يوشيتاكا. أنا أيضاً كانت لديّ خططٌ لهذا اليوم. لكن لم يكن بوسعي أن أغادر قبل تلقّي بيان النفقات، لأنّه عليّ أن أدقّقه قبل أن يُناقَش باكراً صباح اليوم التالي.

بعد أربعين دقيقة، ألقت الوثيقة على مكتبي وغادرت المكان.

نظرتُ إلى ساعة يدي. لملمتُ أغراضي ووضعتُ التقرير في حقيبتي لكي أُعيد قراءته في البيت. كنتُ أعلمُ جيّداً أنّ هذا الوقت لن يُحتَسَب كعملٍ إضافيٍّ، ولكن لم يكن أمامي خيارٌ آخر.

ذهبتُ إلى حيّ شينجوكو لأقوم بجولةٍ في سوقٍ متجوّلٍ للسلع المستعملة، نُظِّم في متجرٍ كبيرٍ لغاية اليوم.

لحسن الحظّ، وصلتُ قبل ساعةٍ من موعد إغلاق السوق. اصطفت في المكان أجنحة عرض للفخاريّات، ولفائف ورق **الإيماكي** المخطوط، وأغراض مختلفة. المفارقة هي أنّها لم تكن قد بيعَت بعد، وكما هي الحال غالباً، كان السوق المتجوّل أشبه بالمعرض.

باختصار، كانت المبيعات قليلة جدّاً. فأنا نفسي جئتُ إلى السوق لكي أتفرّج فحسب، وهو أمر لا يمكنني إنكاره. كنتُ أفكر في ذلك وأنا أتأمل خزف **الإيماري** القديم بإعجاب.

لو امتلكتُ متجراً، كم من البضائع يجب أن تُباع في اليوم حتى أحقّق أرباحاً؟ بعد طرح النفقات المختلفة، كالإيجار، والكهرباء، والأثاث؟ وماذا عن الضرائب؟

ما كدتُ أن أقف على هذه المسألة حتى أدركتُ مدى صعوبة المهمّة. لكنني كنت أشك في ذلك.

- أوه، روي؟ أهذا أنت؟

التفتتُ لأرى رجلاً ذا شعرٍ طويلٍ ومتموّج. لفتت سترته المطرّزة بزهورٍ وردية وخضراء تفّاحية نظري. كانت ثانيتان من الوقت كافيتين لكي أتعرّف إلى هذا الوجه.

- ناسودا؟

- نعم! ذاكرتك قويّة!

إنّه أحد روّاد متجر إنموكويا. كان يقيم في بيتٍ كبيرٍ من طابقين يقع إلى جانب المتجر تماماً. إنّه ابن سمسار عقارات، وكان يعيش على هواه ويساعدُ في الوقت نفسه والده في تجارته. كان يحبّ عبارة «الابن الضالّ»، وهو اللقب الذي أطلقه هو على نفسه. حينذاك، كان في العشرين من عمره، وقد شاخ وجهه منذ آخر مرة

التقينا فيها، لكنّ نمط ملابسه الذي لا يزال صارخاً ومتوهجاً نشّط ذاكرتي، ومكّنني من التعرف إليه.

- أنت أيضاً عرفتني، يا ناسودا!

- لأنّك لم تتغيّر! لا تزال تبدو خائفاً!

جرحتني كلماته، لكنّ الحنين تغلّب على ذلك. كان لا يزال هو نفسه.

سألني:

- ما الذي تفعله الآن؟

- أنا موظّف أساسي. وأنت؟

- أنا ابنٌ ضالّ أساسي!

أخرج علبة بطاقات من حقيبة ظهره وأعطاني بطاقة عمله. في أعلى يسار اسمه، كانت هناك ثلاث وظائف مكتوبة باللغة الإنجليزية: «Renovation Designer - Real Estate Planner - Space Consultant».

لم أفهم كثيراً، لكنني أدركتُ أنّه يعمل في قطاعات عقارية مختلفة.

- لقد مرّ وقتٌ طويلٌ لم نعرف فيه أخبار بعضنا! فوجئتُ بأن يُغلق متجر إنموكويا أبوابه بين ليلةٍ وضحاها.

- نعم...

- حتى أنّ الشرطة جاءت إلى بيتي. لم تكن تجربة ممتعة.

- ألهذه الدرجة؟

قفز قلبي في صدري. لطالما كنتُ قلقاً، متسائلاً إن لم يكن إيبيغاوا مريضاً، أو وجد نفسه متورّطاً في قضيّة جنائية.

- بسبب أعماله التجارية المتعثّرة، استدان إيبيغاوا مبالغ مالية ضخمة، ولاذ بالفرار.

أحبطني هذا الخبر، فكنتُ لأفضل أن يكون مريضاً أو متورّطاً في قضيّة جنائية.

انبعث عالم إنموكويا المدهش بوضوح في ذاكرتي.

قال ناسودا، منتقداً:

- لم تبدُ تجارته رابحة على الإطلاق. ولا بدّ أنّ هذا كان قاسياً جدّاً. ومن جرّاء ذلك، تبخّر متجر إنموكويا.

كان تشغيلُ متجرٍ أمراً شاقّاً ومضنياً حقاً، وخاصّة متجرٍ للتحف القديمة، والذي هو حلمي.

- هل لديك بطاقة عمل؟

ناولته بطاقة عملي.

- أوه، أنت تعمل لدى صاحب مصنعٍ للأثاث! كيشيموتو، أنا أعرفه جيّداً! إذا احتجتَ أيّ شيء، لا تتردّد في الاتّصال بي، فأنا من النوع الذي يعمل في كلّ المجالات. هل سمعت بصالة العرض ليبيرا؟ أنا من جهّزتها!

كانت ليبيرا علامة تجارية كبيرة في مجال التصميم والهندسة الداخلية.

كنتُ أعتقدُه غير قادرٍ على إدارة مشروعٍ بهذا الحجم، حتى وإن لم يكن من اللطف التفكير بهذه الطريقة.

ولكن بصفتي عضواً في قسم المحاسبة، لم تكن هناك أيّ فرصة لكي أتعاون معه.

رنّ هاتفه، فألقى نظرة على الشاشة وصاح وتركني على مقترح

أن نذهب لشرب كأسٍ في وقتٍ قريبٍ. ثمّ ردّ على المكالمة، وغادر المتجر الكبير.

صباح اليوم التالي، في المكتب، انتهزتُ فرصةَ لحظةٍ من الوحدة لكي أتحدّث مع يوشيتاكا.

أثناء المراجعة في بيتي، تبيّن لي أنّ المبلغ الإجمالي للفواتير والمبلغ الوارد على كشف الحساب متطابقان. ولكن من خلال التدقيق في الفواتير المرفقة من قبل هوساكا، الموظّف في قسم المحاسبة، لاحظتُ أنّ هناك أثراً للمصحّح السائل ممدّداً بطريقة غير طبيعية وقد عُدِّلَ رقم الوحدات. كان الأمر يتعلّق بفاتورة اجتماع عملٍ في مقهى. إذا كان المبلغ الظاهر من خلال السائل المصحّح الشفّاف صحيحاً، لكان هناك خطأٌ في كشف الحساب، بمقدار اثني عشر يناً إضافيّاً.

كان المبلغ الأوّلي مدوّناً بقلمٍ جافٍّ، لكنّ التصحيح أُجري بقلمٍ مائي وبكتابة مختلفة علاوة على ذلك. صَعُب عليّ أن أتصوّر أنّ ذلك حدث بيد موظّف المقهى. كان ذلك إمّا بيد هوساكا، وإمّا...

- يوشيتاكا، أخبريني...

حين رأت الفاتورة التي أشرتُ إليها، تشنّج وجهها، ثمّ عبست، وردّت بانزعاج:

- حسناً، هذا لأنّ الحساب كان خطأً. شقّ عليّ أن أذهب لمقابلة هوساكا لكي أطلب منه إعادة حساب كلّ شيء. لا يهمّ، الفرق حوالي عشرة ينات فقط! لن تُفلِسَ الشركة بسبب هذا المبلغ الزهيد.

- ولكن هذا لا يجوز.

- سأدفع المبلغ إذاً. سوف يحلّ هذا المشكلة، أليس كذلك؟

- لا، الأمور لا تسير على هذا النحو.

- يا لكَ من بخيل! سوف تكرهك النساء إن ساومت على عشرة ينّات!

- لكن المشكلة لا تكمن في المبلغ!

صرختُ بصوتٍ عالٍ جدّاً إلى درجة أنني أنا نفسي فوجئتُ.

احمرّ وجه يوشيتاكا، وأدارت رأسها. لا بدّ أنّها هي أيضاً لم تتوقّع أن تراني أصرخ بهذه الطريقة.

- عليكَ أن تهدأ!

قالت ذلك بنبرة حادة، وأخذت حقيبتها ومعطفها وخرجت من المكتب.

استبدّ بي القلق، إذ كنت غير راضٍ من الوضع وقلقاً من المكان الذي ذهبت يوشيتاكا إليه في آنٍ واحدٍ. كان تابوتشي، الذي لم يكن قد عطّل في يوم إجازته، موجوداً في مكتبه. وبينما كنتُ أفكّر في إخبار قسم الموارد البشرية بالأمر، أُستدعيتُ إلى مكتبهم.

وقف رئيس القسم أمامي، مُحرَجاً، وقال:

- تقدّمت يوشيتاكا بشكوى التحرّش المعنوي ضدّك. وهي تنوي تقديم استقالتها.

- عفواً؟!

- إنّها تؤكّد أنّك قد تعاملت معها بخشونة بسبب سكب سائل التصحيح من دون قصد وارتكاب خطأ إعادة كتابة الأرقام. قالت، باكيةً، إنّك كنت ستضربها وإنّك أفزعتها. وقالت أيضاً إنّك بالعادة هادئٌ، ولكنك تصبح شخصاً مختلفاً تماماً على انفراد.

أنا من كنتُ على وشك أن أنفجر باكياً؛ ينهشني الغضب

والحزن وشعورٌ بالظلم. سكبت السائل المصحّح؟ كيف تجرؤ على قول هذا! نعم، كنتُ غاضباً بعض الشيء، لكنني لم أصل قطّ إلى درجة أن أضربها.

لم يكن لديها أيّ دليل لكي تتّهمني، ولكن لم يكن لديّ أيّ دليل لتبرئة نفسي.

- في الوقت الراهن، سوف أخبر مسؤولي في العمل بالأمر. في الحقيقة، هي ابنة أخت الرئيس. تابوتشي يعرف ذلك، ولكن كان عليّ أن أخبرك بذلك مبكّراً.

قال رئيس القسم ذلك، ثمّ وقف عابساً، مكتوف اليدين.

لدى عودتي إلى البيت، وجدتُ هينا تنتظرني وقد أعدّت العشاء. كنّا نقضي دائماً عطلة نهاية الأسبوع معاً، وذلك منذ مساء الجمعة.

لم يستطع حساء لحم العجل الذي وضعته هينا أمامي أن يُخرِجَ من ذهني الحادثة التي جرت في المكتب.

بات مكان عملي يؤرقني إلى أقصى درجة. ماذا كنتُ أفعلُ بحياتي؟

هل كنتُ سأواصل هكذا حتى بلوغ التقاعد؟ في بيئة لا تناسبني، ودون حماسة؟

حتى في البيت، كان العمل يستحوذ على ذهني. وهذا منذ زمنٍ طويل. كنتُ أفكّر طوال الوقت بمشاغل صغيرة تتعلّق بالعلاقات مع الزملاء أو بملفٍّ ما. وكان ذلك بمثابة مواصلة العمل حتى في البيت. كنتُ تحت هيمنة مهنة لا تعجبني.

ولكن رغم ذلك، عانيتُ من فكرة أن تُمَسّ وظيفتي في الشركة.

كنتُ أتشبّثُ بهذا المكان الذي كرهته وأحافظ عليه بكلّ قواي. لطالما فعلتُ ذلك، وبكلّ تأكيد، سوف أواصل فعل ذلك في المستقبل.

سألتْ هينا:

- ريو، لا تبدو على ما يُرام، ما بك؟

أجبتُ للحفاظ على ماء وجهي:

- لا، كلّ شيء على ما يُرام. أنا منشغلٌ جدّاً بحساب المكافآت. هذا كلّ ما في الأمر.

- حسنٌ.

وضعتْ كوبين من النبيذ على الطاولة، ثمّ جلبت قارورة صغيرة.

قالت وهي في غاية السعادة:

- بالمناسبة، لقد حقّقتُ اليوم الهدف الذي حدّدته لنفسي لشهرٍ من المبيعات في متجري على الإنترنت! وقد نشر أحدهم تعليقاً رائعاً، وأيضاً...

ثم فتحت القارورة وهي مبتهجة بكونها كسبت بعض المال من نشاطٍ تحبّه، من دون زملاء مزعجين، ومن دون مشاكل مالية... كم سأكون مسروراً لو أنني في مكانها!

- أنا سعيدة بامتلاكي متجري الخاصّ، حتى وإن كان على الإنترنت. ريو، حين تُطلق متجرك...

- ليس الأمر بهذه السهولة!

جفَلتْ عندما قطعتُ حديثها. لم أُحسن السيطرة على نفسي، مع أنني أدركتُ أنني كنت أصب جام غضبي عليها.

- أنا لستُ مثلكِ! أنا لا أستطيع الاستمتاع بهوايتي بهذا القدر

من اللامبالاة. إذا انهار متجركِ الإلكتروني، وإذا لم تبيعي شيئاً، فلن يسبّب لك ذلك أيَّ صعوبات!

قالت باقتضاب:

- هذه ليست هواية...

انتفض قلبي في صدري، ورفعتُ رأسي.

- أنا لا أستمتعُ بهوايتي بلامبالاةٍ، مثلما تقول. حتى لو بدا لك الأمر كذلك.

هدّأت كلماتها من اندفاعتي. كنتُ على وشك أن أعتذر إليها، عندما نهضت فجأةً.

- سأعود إلى بيتي. تبدو متعباً.

مشدّداً على قبضتي، لم أستطع التحرّك من مكاني. تركتها تغادر، وسمعتُ الباب يُصفَقُ بقوّة خلف ظهري.

كان الأمر فظيعاً...

لم أعد أدري ما الذي عليّ فعله في عطلة نهاية الأسبوع التي كان من المفترض أن أقضيها معها. لم نكن نتشاجر إلّا ما ندر. منذ وقتٍ طويلٍ جدّاً، لم أجد نفسي وحيداً هكذا.

شغّلتُ التلفاز وتنقّلتُ بين القنوات المختلفة، لكنّ أصوات ضحكات البرامج الترفيهيّة كانت صاخبة للغاية بحيثُ أطفأتُ الجهاز. مددتُ يدي نحو كومة الكتب الموجودة بجانب سريري.

أسئلة أساسية حول الحديقة...

استغرقتُ في قراءة الكتاب لبعض الوقت. وبقدر ما تقدمتُ في قراءتي، تيقّنتُ من أنّها لم تكن أسئلة أساسية فحسب. استرخيتُ شيئاً فشيئاً من خلال الاتّصال بالعالم النباتي، بعيداً عن العلاقات

البشريّة. كان الأمر أشبه بعض الشيء بمشاعري لدى دخولي إلى متجر إنموكويا.

صفحة تلو صفحة، أُعجبتُ أكثر فأكثر بهذا الكتاب الذي يتضمّن الأسئلة والأجوبة. «لماذا الأشجار كبيرة جدّاً؟ لماذا يتحمّل العشب الأخضر الجزّ ولا تتحمّله النباتات الأخرى؟ لماذا بعض الأشخاص يتحدّثون إلى النباتات؟ هل صحيحٌ أنّ زهرة عبّاد الشمس تتبع الشمس؟».

كان الورق رقيقاً وأبيض، شبيهاً بالقماش الرقيق، ممسوكاً جيداً، ومحميّاً بالغلاف الصلب، كما كانت الصفحات تنفردُ بسلاسة، وهو ما يُتيحُ ترك الكتاب مفتوحاً على طاولةٍ. وجدتُ هذا العمل الرقيق، ذا الملمس المريح والمضمون البسيط، يختلف اختلافاً كبيراً عن دليلٍ للبستنة.

كان عنوان الفصل الثالث: «تحت الأرض». «كيف تعمل الديدان؟ أين تذهب الجذور؟ ما الحجم الذي تمثّله جذور النباتات؟».

أثار فضولي ما هو موجودٌ تحت الأرض. عندما نظرتُ إلى رسمٍ توضيحيٍّ لشجرةٍ وجذورها، المنفصلة بخطٍ أفقيٍّ يرمزُ إلى الأرض، نشط دماغي فجأةً.

لكن... البشر يعيشون فوق الأرض، وبالتالي في أغلب الحالات، هم لا يرون من النباتات سوى أزهارها أو ثمارها.

وإذا ما فكّرنا في البطاطا الحلوة أو في الجزر، تقوم «الجذور» في التربة بالدور الرئيسي، بينما من وجهة نظر النبات، يحافظ الجزآن على توازنٍ وهما ضروريان أحدهما للآخر على حدٍّ سواء.

لدى البشر ميلٌ مؤسف نحو اعتبار أنّ العالم الأساسي هو

العالم الذي يناسبهم، فيما بالنسبة إلى النباتات. . . العالمان أساسيّان».

تبعاً لهذا الإدراك، تذكّرتُ المقالة التي تتناول مسألة الحياة المهنية الموازية.

في هذه الحالة، بحسب رأي ياسوهارا، تتكامل الوظيفتان، دون أن تكون هناك علاقة هيمنة. . . بالطريقة نفسها الموجودة عند النباتات، حيث العالم فوق الأرض والعالم تحت الأرض يؤدّي كلٌّ منهما دوره وهما مكمّلان لبعضهما.

إذاً، ربّما كنتُ أنا أيضاً قادراً على ذلك، إذا ما وجدتُ وسيلةً للجمع بين النشاطين!

بعد ظهيرة اليوم التالي، ركبتُ قطار شيبويا إلى سانغنجايا، ثمّ سلكتُ خطّ طوكيو-سيتاغايا. بعد ذلك، نزلتُ في محطّة نيشي-تايشيدو لكي أزور مكتبة كاتس ناو بوكس. كان شهر ديسمبر يقترب من منتصفه، والثلج يتساقط بندائف صغيرة.

خرجتُ من المحطّة التي لم يكن أيّ موظّف يعمل فيها. متّبعاً المسار الذي تذكّرته، جلتُ في الحيّ السكني. لم يكن هناك سوى المنازل. معتقداً أنني أخطأتُ في الطريق، فتحتُ تطبيقاً لنظام تحديد المواقع، وأنا أسلك درباً ضيّقاً، وقعتُ على بيتٍ أبيض. تحت طنف البيت، كانت لافتةٌ زرقاء تحمل شعار قطّة صهباء. كانت هذه هي المكتبة.

كان عددٌ من كتب اليافعين المصورة معروضاً في النافذة المقوّسة، وعلى غلاف جميعها صورة قطّة.

عند فتح الباب، لفحني هواءٌ ساخن وتنفّست الصعداء. جلست

امرأة شابّة أنيقة الثياب وقصيرة الشعر خلف الطاولة. جلتُ ببصري على المكتبة: كان القسم الخلفي منها منفصلاً ببابٍ مشبّك، رأيتُ من خلاله طيف رجلٍ يرتدي قميصاً أزرق ذا مربّعات.

إنّه ياسوهارا.

كانت الإصدارات الجديدة معروضة في مدخل المكتبة، والكتب المستعلة معروضة وراء الباب المشبّك. نظرتُ بتوتّرٍ إلى الكتب المعروضة على الرفوف، وما إن هدأتُ قليلاً، سألتُ أمينة الصندوق:

- هل يمكنني الذهاب إلى هناك؟

بناءً على طلبها، خلعتُ حذائي، وعقّمتُ يديّ، ثمّ دفعتُ الباب.

كانت هناك... قطّ.

قطّة مرقّطة تنام على وسادة، تشبه تماماً القطّة المصنوعة من الصوف الملبّد التي قدّمتها كوماتشي هديّة لي، وقطّةٌ مرقّطةٌ أخرى وقطّة سوداء تجولان بهدوءٍ بين الرفوف.

- مرحباً!

حيّاني ياسوهارا، منشغلاً بالحديث مع زبونةٍ.

تحدّث بصوتٍ لطيفٍ، جهوريٍّ ولبقٍ. كان وجهه طلقاً وبدا أكثر بشاشةً ممّا ظهر في الصورة.

على طاولة في وسط المساحة المخصّصة للكتب المستعملة، بدت بطاقة صغيرة للمشروبات.

ولأنني نويتُ البقاء لبعض الوقت، قرأتُ البطاقة ثلاث مرّات، قبل أن أتوجه إلى ياسوهارا.

- العفو، هل يمكنني أن أحصل على فنجانٍ من القهوة؟

- بالطبع! هل تفضّلها ساخنة؟

أومأتُ بالإيجاب، ونظر ياسوهارا خلسةً إلى أمينة الصندوق عبر الباب المشبّك، فدخلت وتوجّهت نحو المطبخ.

مرّت قطّةٌ قرب قدميّ. افترضتُ أنّها إحدى القطّتين المرقّطتين، ولكنّ بطنها وقوائمها كانت بيضاء علاوة على ظهرها المخطّط. لم أكن قد لاحظتُ هذه القطّة الجديدة. كانت القطط جميعها مرتاحة وطبيعيّة جدّاً.

مرتشفاً القهوة التي قُدِّمَت لي، أمسكتُ كتاباً معروضاً. كانت الموظّفة قد عادت إلى صندوق المحاسبة. قلتُ في نفسي إنّ لحظة من الاسترخاء هنا برفقة القطط كافية بالنسبة إليّ: يمكنني الآن العودة إلى بيتي.

القطّة المزوّدة بطوقٍ برتقالي التي كانت نائمة على الوسادة قفزت دون أن تصدر أي صوت. جلست في الحال وهي تهزّ ذيلها. التقت نظراتنا.

«أنت جئتَ إلى هنا عن قصدٍ لكي تعرف ما يكمن وراء الحلم، أليس كذلك؟».

هزّني الشعور بأنّها تتحدّث إليّ.

حين توجّهت الزبونة نحو صندوق المحاسبة وفي يدها كتابٌ، وضعتُ فنجان قهوتي، ونهضتُ من مكاني، وخاطبتُ ياسوهارا:

- اعذرني...

التفت إليّ.

- أنا هنا لأنني قرأتُ مقالةً توصي فيها أمينة مكتبة مركز هاتوري الاجتماعي بزيارة مكتبتكم.

صاح ضاحكاً:

- آه! صحيحٌ أنّ السيّدة كوماتشي قدّمتني في الجريدة! شكراً لك على هذه الزيارة.

- في الواقع، أنا أيضاً أودّ أن أفتح متجراً.

كنتُ أنوي أن أقارب الموضوع تدريجيّاً، لكنني، مدفوعاً بحماستي، أعلنتُ عن مشروعي مباشرةً.

كان يمكن ألّا يتقبّل تصرّفاً كهذا من مبتدئٍ عديم الخبرة، لكنّ وجهه نضح بالتفاؤل.

- مكتبة؟

- لا، أرغب في فتح متجرٍ للتحف القديمة.

قال، وقد بدا مهتمّاً فعلاً:

- آه، حقّاً.

قلتُ، متوتّراً:

- لقد قرأتُ العديد من مقابلاتك على الإنترنت. لم أكن أعرف عبارة «الحياة المهنية الموازية». خلال أيام الأسبوع، أنت موظّف، هل هذا صحيح؟

- نعم هذا صحيح.

- هل يمكنك أن تحدّثني عن ذلك؟ أنا أُدعى ريو أوراسي، وأعمل محاسباً في معملٍ لصنع المفروشات.

- بكلّ سرور! لا سيما وأنّ الزبائن قليلون في هذا الطقس السيئ.

جلس على كرسيٍّ دائريٍّ بلا مساند. وبحركة من يده، دعاني إلى الجلوس بجانبه، فامتثلتُ.

من أين أبدأ؟ خرجت الكلمات من فمي عشوائيّاً.

- أليس من الصعب الجمع بين وظيفتك والمكتبة؟ ألن يكون أيٌّ من نشاطَيكَ مرهِقاً، على المدى الطويل؟

أجاب مع ضحكة خفيفةٍ:

- لا أعتقد ذلك. فبالتحديد لأنّ لديّ عملين، لا يصبح أيٌّ منهما مرهِقاً.

اقتربت القطّة المرقّطة منه وتسلّقت على ركبتيه.

قال وهو يُداعبُ القطّة:

- في السابق، كنتُ أريدُ أن أتخلّى عن الوظيفة، ولكن اليوم، أعتقدُ أنني أستفيد من وقتي هنا لأنني أستمرّ في وظيفتي. في المقابل، لو لم يكن لديّ سوى العمل في المكتبة، لكلّفني الأمر أن أضطرّ إلى اللجوء إلى تقنيّاتِ بيعٍ تتعارض مع مبادئي. أعتقدُ أنّ العمل يضمن مكانةً في المجتمع. وامتلاك حياة مهنية موازية يُضيف مكانة أخرى. ولكن لا مهنة منهما ثانوية.

مكانة. هويّة، دورٌ محدّد في كلّ عالمٍ، على الأرض وتحت الأرض. وإذ تذكّرت بنية النباتات، سألتُ:

- لقد قلتَ إنّه ليست هناك علاقة هيمنة، أليس كذلك؟

- تماماً.

- هل تربح من نشاطيك بالقدر نفسه؟

حالما تفوّهتُ بهذه الكلمات، شعرتُ بالخجل من طرح سؤالٍ ذي صلةٍ بالمال.

قال ضاحكاً:

- أنتَ مباشر في طرح ما يجول في خاطرك! ليست «علاقة الهيمنة» بهذا المعنى. لأكون واضحاً، الرضا الذي أشعر به من

خلال عملي في المكتبة هو معنوي أكثر منه مادّي. لكني أُرغبُ بالطبع في زيادة المبيعات لضمان استمرارية المكتبة.

استشعرتُ فيه ذلك الشعور بالرضا الداخلي الذي يولدّه العمل بدافع الشغف. لكن إذا كان النشاطان بنفس الأهمية، فهذا يستدعي العمل المتواصل، نهاراً وليلاً، وحتى خلال أيام عطلة نهاية الأسبوع.

لا بدّ أنّ ياسوهارا لم يكن يفكّر لا في التكاسل، ولا في الراحة، ولا في الترفيه.

قلتُ وأنا أنتقي كلماتي بدقّة: مكتبة سُر مَن قرأ

- ولكن من خلال الجمع بين عملَي الموظّف وصاحب مشروع، لا يمكنك أن تسافر أبداً، أليس كذلك؟

سألته فهزّ رأسه، وقد بدا واضحاً أنّه قد اعتاد على هذا السؤال، ثم قال:

- هذا صحيح. ولكنّ الأقارب الذين لا أراهم كثيراً يأتون لزيارتي. علاوة على ذلك، أنا أقابل الكثير من الناس هنا، كما لو أنني أسافر كلّ يوم إلى أماكن مختلفة. فبالرغم من أنني أبقى في مكتبتي، إلا أنني أعيش فيها تجاربَ مذهلة، وأربح منها أكثر ممّا كنتُ أتصوّر.

هزّني جوابه. ماذا رأى، بمَن التقى حتى يكون حاسماً إلى هذا الحد؟ هل امتلاكه لمشروعه التجاري الخاصّ يخلق فرصاً استثنائية إلى هذا الحدّ؟

ألم يكن ذلك ينطبق عليه فحسب؟ كان ياسوهارا ذكيّاً، ومثقّفاً، وصاحب ذوقٍ رفيع، ولديه علاقات، وذا شخصيّة جميلة. فلا يمكنني أن أصبح مثله.

- ولكن أنا لا أمتلك شيئاً. ليس لديّ المال، وليس لديّ الوقت... ولا الشجاعة المطلوبة للإقدام على إقامة مشروعٍ. أتمنّى أن أحقّق حلمي يوماً ما، ولكن ليست لديّ الأدوات لكي أنطلق به.

حدّق في القطّة بصمتٍ. ربّما صُدم بسلبيتي البالغة.

أدار رأسه نحوي فجأةً وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامةٌ وديعة.

- في لحظة ما، يجب التوقّف عن الغرق في الأفكار السوداوية.

- عفواً...؟

- يجب تحويل غياب الإمكانيات هذا إلى إرادة.

«إلى إرادة؟ إرادة العثور على المال، والوقت... والشجاعة؟».

احتفظتُ بهذه الأفكار لنفسي. وفي تلك اللحظة، قال وعلى شفتيه ابتسامة مليئة بالمرارة:

- أنا أكره الناس.

كانت هذه المرارة غير متوقّعة من رجلٍ ألتقيه لأوّل مرّة؛ وهو الذي تحدّث إليّ بكلّ لطفٍ، وهو الذي يعمل في مجال التجارة.

- ومع ذلك، رغبتُ أحياناً في الإصغاء إليهم. هذا أمرٌ غريب، ولكنّ حضوري في أماكن مختلفة فتح لي بعض الأبواب، ونسجتُ بدوري العلاقات.

قفزت القطّة المرقّطة من على ركبتيه، فاقترب بهدوء من القطّة السوداء وضمّ رأسه إلى رأسها، كما لو أنّه يخبرها بشيءٍ ما.

- نحن جميعاً متصلون بعضنا ببعضٍ. ويكفي أن تكون هناك صلة واحدة حتى تتوسّع شبكتنا تدريجيّاً. إذا انتظرت اللحظة المناسبة لخلق هذه الشبكة، قد لا يأتي هذا اليوم أبداً. أظهر نفسك هنا

وهناك، وتحدث إلى الناس حتى تتعرف إلى ما يكفي منهم. وحينئذٍ، من الممكن أن يتحوّل «يوماً ما» إلى «غداً».

ثمّ، مبقياً نظره على القطط، أضاف:

- المهمّ ألا يترك المرءُ مصيرَه يفوته.

«المصير».

كان لهذه الكلمة ثقلٌ ساحقٌ في فم ياسوهارا، الذي اعتقدته متجذّراً في الواقع.

أجبتُ وعيناي مليئتان بالحسد:

- اليوم، أنت تحقّق حلمك من خلال إنجاز مشروعك، أليس كذلك؟

شعرتُ بالغيرة منه، لكنّه أمال رأسه قليلاً.

- ليس هذا هو حلمي.

- حقّاً؟ ولكن...

- إذا كان هدفي الوحيد هو العيش محاطاً بالقطط، والكتب والجعّة، لبلغته دون أن أفتح مكتبةً. فبالنسبة إليّ، امتلاك تجارةٍ ليس هدفاً بحدّ ذاته، لأنّ ثمة شيئاً ما يمكنني أخيراً أن أفعله انطلاقاً من هنا. شيءٌ غير قابلٍ للقياس الكمّي.

صُعقت. كان يتقدّم في بيئة يُحسَدُ عليها، ولكنّه يفكّر في ما يأتي من بعد!

ومع ذلك، أقنعتني نظرته الملهَمة. ربّما كان هذا هو ما يكمن ما وراء الحلم.

شبك يديه فوق الطاولة.

- ريو، لماذا ترغب في فتح متجرٍ؟ لماذا تُريدُ إنشاء تجارةٍ وليس فقط مجموعة شخصية من التُّحف؟

أحرجني هذا السؤال الشاسع.

لكنّه سيقودني إلى مساري. في الحقيقة، ربّما كنتُ أعرفُ الإجابة عليه بالفعل.

- سوف أفكّر في الأمر.

دون أن أعي ذلك، كانت القطّة البيضاء والمرقّطة تحتكُّ بساقيّ. نزلتُ من الكرسي الدائري لكي أداعب جبينها، عندما قال ياسوهارا:

- هل تنوي الانطلاق في مشروعك بمفردك؟

أصبحتُ حائراً في أمري.

حضر وجه هينا في ذاكرتي. وددتُ ان تكون إلى جانبي، ولكن...

- من الصعب جدّاً أن تكون بمفردك. من الأفضل أن يكون لك حليفٌ تطلبُ منه المشورة وتتخلّص معه من الحالة السلبية، سواء كان أحدَ أفراد العائلة أو صديقاً. فمن دون شريكٍ يتفهّم كلّ المصاعب النفسية، سيكون الأمر منهِكاً.

نظر ياسوهارا إلى ما وراء الباب المشبّك، نحو أمينة الصندوق.

وفهمتُ مغزاه.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- هل هذه شريكتكَ؟

- إنها زوجتي، ميسومي.

- ماذا قالت لك عندما أطلقت مشروع مكتبتك؟

أجاب، خافضَ الرأس، مع ابتسامة مطمَئنة مختلفة تماماً عن التعابير التي رأيتها على وجهه حتى تلك اللحظة:

- لم تقل شيئاً على الإطلاق. . . انضمّت إليّ دون أن تتفوّه بكلمة واحدة. وأنا ممتنّ لها على ذلك.

يوم الأحد التالي، زرتُ وحدي مركز هاتوري الاجتماعي لكي أُعيد إلى المكتبة الكتاب الذي كنتُ قد استعرته. ولكن لم يكن ذلك سوى ذريعة. . . أردتُ أن أرى أحداً ما.

وضعتُ الكتاب على المنضدة عند المدخل. أخذته نوزومي.

كانت كوماتشي في ركن الاستشارات في آخر المكتبة.

- سيّدة كوماتشي، لقد ذهبتُ البارحة إلى مكتبة كاتس ناو بوكس.

عند هذه الكلمات، فتحت عينيها على وسعهما وابتسمت لي ابتسامة عريضة، بادية السعادة.

- الزوجان ياسوهارا يحيّونكِ.

- آه! أنا أعرف ميسومي منذ زمنٍ طويل. كنّا زميلتين في مكتبة أخرى. هل هي بخير؟

أجبتُ وأنا أُخرجُ القطّة المصنوعة من الصوف الملبّد من حقيبتي:

- نعم. إنّهما زوجان رائعان. لقد حثّتني على الدخول إلى هذه المكتبة، أليس كذلك؟ أشكركِ على ذلك. لقد أقنعني ذلك بأن أتصرّف. . . دون أن أنتظر «يوماً ما».

أشارت بالنفي بحركة خفيفة من رأسها.

- ولكنّك تتصرّف بالفعل!

أذهلتني كلماتها. واصلت الحديث بهدوءٍ.

- لم أقل لك أن تذهب إلى هناك. أنتَ من عثرتَ على المكتبة. لقد اتّخذت القرار بنفسك والتقيتَ ياسوهارا بنفسك. كنتَ قد بدأت بالتصرّف بالفعل.

طقطقتْ رقبتها. بدت القطّة التي كانت في يدي مستيقظة.

كان عليّ أن أرى شخصاً آخر.

غادرتُ المركز الاجتماعي وتوجّهتُ نحو منزل هينا. دسستُ يديّ في جيبَي سروالي، وتحسّستُ تعويذتي، الملعقة الصغيرة ذات الخروف التي كنتُ قد دستها في أحد الجيبين.

في ذلك الصباح، اتّصلتُ بهينا قبل مغادرة شقّتي.

قدّمتُ لها اعتذاري عمّا بدر منّي أوّل أمس. ولمّا علمتْ أنني أرغبُ في رؤيتها والتحدّث إليها، عرضت عليّ أن أزورها في بيتها، إذ كان والداها قد خرجا.

قرعتُ الجرس لدى وصولي، ففتحت لي الباب في الحال.

- ادخل!

حين عبرتُ عتبة الباب، صعدتِ السلالم. سرتُ في إثرها حتى وصلنا إلى الطابق العلوي. كانت تصنع حُلى في غرفتها، حيث توزعت الأدوات والزجاج المصقول على مكتبها.

- اعذريني على ما بدر منّي أوّل أمس.

كرّرتُ كلمة بكلمة ما تفوّهتُ به صباحاً. أزعجني فقري بالمفردات. ضحكتْ هينا.

- سبق وأن قلتَ ذلك!

أنقذتني ابتسامتها، وأخرجتُ من حقيبتي كأسين وزجاجة نبيذ. الزجاجة التي أرادت هينا فتحها في ذلك المساء.

أمام هينا المندهشة تماماً، فتحتُ الزجاجة، ثمّ ملأتُ الكأسين.

- تهانيّ على بلوغكِ هدفكِ!

مرتبكةً، شكرتني وهي تدسّ رأسها بين كتفيها.

شربنا نخب بعضنا. في الكأسين المصطدمين ببعضهما، اهتزّ النبيذ كأمواجٍ متلاطمة.

- هينا، أنتِ مذهلة. لقد بلغتِ هدفكِ، والأهمّ من ذلك أنّكِ شققتِ طريقكِ الخاصّ.

أفرجت عن ضحكةٍ خفيفة، قبل أن تلتقط بإحدى يديها الزجاج المصقول المبعثرِ على مكتبها.

- يُقال إنّ متلقي عملٍ يدويٍّ محدّدٌ منذ صناعته. هذه نظريّة صوفيّة بعض الشيء، ولكنني أعتقدُ أنني أفهمها.

- نعم...

- ولذلك أصنعُ كلّ حليةٍ وأنا أفكّرُ في الشخص الذي سوف يلبسها. أنا لا أعرف وجهه على نحوٍ ملموسٍ، ولكن يبدو لي الأمر كما لو أنني أدخل في اتّصالٍ مع مستقبَله على أمل أن يصله ابتكاري. أنا سعيدة بفكرة أن يصل هذا الزجاج المصقول، الذي سافر لزمنٍ طويلٍ، إلى حيث يجب أن يصل، عن طريقي.

كنتُ أفهمُ مهنى حديثها تماماً.

فقد شعرتُ بنفس الشعور تجاه الكنز الموجود في جيب سروالي. لقد أغلق متجر إنموكويا أبوابه، ولكنني احتفظت بهذه الملعقة.

حين اكتشفتها، قلتُ في نفسي:

«ربّما كانت الملعقة ترافق فنجان الشاي لسيّدة نبيلة تحتسي

شاي ما بعد الظهيرة. ربّما كانت أمٌّ حنون ترفعها إلى فم طفلها. ربّما حافظ عليها الطفل بعناية فائقة حتى بعد أن كَبُر ووصل إلى سنّ البلوغ. أو ربّما رغبت فيها ثلاثُ أخواتٍ تشاجرن عليها. أو ربّما . . . ».

ربّما أكون قد استخدمتُها فيما مضى، في أعوام بداية القرن العشرين.

ربّما عادت إليّ بعد أن انتقلت من يدٍ إلى يدٍ. ملعقتي التي استعدتُها بفضل متجر إنموكويا.

أردتُ أن أُعطي الناس أشياء عبرت الزمن، منتقلةً من جيلٍ إلى جيل. أشياءُ كان عليها أن تعود إلى أصحابها من جديد. أشياءُ تخصُّ أحداً ما في لحظة محدّدة.

أردتُ أن أكون وسيطاً. أردتُ أن أخلق مكاناً يُتيحُ لكلّ شخصٍ لقاءً، مُساعدةً.

هذا كان دافعي الرئيسي في افتتاحِ متجرٍ.

- لديّ شيءٌ لأُريكِ إياه.

أخرجتُ من حقيبتي ملفّاً مسطّحاً وفتحته أمام هينا.

كان ملفّ الميزانية الذي أعددته بمفردي، في مساء اليوم السابق، لتأسيس وإدارة متجرٍ للتحف القديمة.

كنتُ قد أعددتُ تقديراً للأموال اللازمة للافتتاح: شراء البضائع، أعمال التعديل في المتجر، تركيب أجهزة التكييف، التأثيث والتجهيز. . . وأضفتُ إلى ذلك آجار المتجر، والكهرباء، والتدفئة، والمواد الاستهلاكية والمخزونات، أي التكاليف المترتّبة

بعد افتتاح المتجر. وكذلك المبيعات اليومية المطلوبة للحفاظ على استمراريته. كنتُ قد أعددت هذا المشروع على طريقتي، بعد تفكيرٍ عميقٍ.

- سوف أعملُ على افتتاح متجري. لن أستقيل من وظيفتي. سوف أكون مديراً لعملي الخاصّ وموظّفاً في آنٍ واحدٍ.

وضعت هينا يديها على فمها، ولمعت عيناها.

- هذا رائع! ريو أنت قويٌّ للغاية حتى تستطيع الانخراط في هذا المشروع!

«هل... هل تودين مساعدتي؟».

ابتلعتُ هذه الكلمات التي كانت توازي طلباً للزواج بالنسبة إليّ.

كان من شأن اقترانا قبل إطلاق مشروع المتجر، الذي كنّا نجهل نتيجته، أن يسبّب المتاعب لهينا. كنتُ متيقّناً من ذلك.

طلبي هذا، سوف أقدّمه يوماً ما، حينما تترسّخ مهنتاي، وتحين اللحظة...

آه، كنتُ لا أزال أفكّر على نمط «يوماً ما» ... انقبض قلبي. كنتُ مختلفاً عن ياسوهارا حقّاً. لن أكون أبداً الرجل الذي قد يطلبُ من هينا يد المساعدة.

وإذ لم تكن تعلم بيأسي، قالت بخفّة:

- ريو، علينا أن نتزوّج بأسرع وقت.

- ماذا؟

في حين أنها تقدّمت بطلب الزواج، كنتُ أنا الجبان الذي تردّد في القبول. تذكّرتُ إيبيغاوا، الذي أصبح مطلوباً من قبل الشرطة، وقلتُ بخجلٍ:

- ولكن ماذا لو سارت أمور مشروعي على نحوٍ سيّئٍ، وأفلستُ. . .

- وماذا إذاً؟ أين المشكلة؟

صعقني جوابها.

في الواقع، لم يكن هناك أيّ مشكلة. أصبح إيبيغاوا مطلوباً من قبل الشرطة لأنّه اختفى دون أن يسدّد ديونه، وليس لأنّه أفلَسَ.

- حتى إذا أُغلِقَ متجرك، لن يكون الأمر خطيراً. كلّ ما في الأمر هو أنّك تخاف من الفشل. دعك من هذا النوع من الكبرياء السخيف. ونحن معاً، سوف تسير الأمور على نحوٍ أفضل من أن توظِّف شخصاً.

ونحن معاً. . . هي لن «تساعدني» إذاً، بل سنفعل ذلك «معاً».

استجمعتُ شجاعتي.

لا بدّ أنّ ياسوهارا قد عاش التجربة نفسها. أن «تنضمّ إليه» ميسومي يعني أنّهما وحّدا قواهما. فهو قال بالفعل إنّها «شريكته».

نظامٌ بدون علاقة هيمنة، يتمتّع فيه النشاطان بنفس الأهمية. على غرار زوجين، بحسب ما أعتقد.

نظرت هينا في الفراغ، مستغرقةً في التفكير.

- حينما يحلّ ذلك اليوم، سوف يكون لدينا الكثير من الأمور التي يجب التفكير فيها. عليك الذهاب إلى مركز الشرطة الآن.

- لماذا؟

- لكي تقدّم طلب الترخيص لتصبح بائع تحفٍ.

كنتُ قد نسيتُ هذا الأمر. أفرجتُ عن ضحكةٍ. أيّاً كان المسار، وجب عليّ أن أتعامل مع الشرطة.

وضعت هينا إصبعها على ذقنها، مطرقةً في التفكير.

- سينبغي لنا إطلاق حملة تمويل جماعي.

كانت هذه العبارة قد وردت في مقابلة ياسوهارا أيضاً. إنّها تشير إلى آلية لطلب المساعدة إلكترونيّاً بهدف جمع أموالٍ لتأسيس مشروعٍ.

طَرحُ هينا لفكرة كهذه أشعرني بالخجل بعض الشيء، فاعترضتُ بتأفّفٍ:

- لا أعتقدُ أن يستطيع مبتدئٍ فعل ذلك بهذه السهولة.

اعترضَت:

- بل على العكس تماماً، فالتمويل الجماعي هو للمبتدئين أصلاً!

مالت نحوي وسألتني:

- قل لي، على ماذا هذا العالم مبنيٌّ، بحسب رأيكَ؟

- أوه... سأقول... على الحبّ، من بين أشياءَ أخرى؟

صاحت متعجّبةً، وقد اتّسعت عيناها:

- ماذا؟ لم أتوقّع هذا الجواب منك! لكن هذا ما أحبّه فيك!

ضحكت كثيراً، وأضافت بنبرة وعظية:

- أنا أعتقد أنّه مبنيٌّ على الثقة.

- الثقة؟

نعم. اقتراض المال من المصرف، طلب العمل والحصول عليه، تنظيم موعدٍ مع أصدقاء، تناول العشاء في مطعمٍ، كلّ شيء مبنيٌّ على الثقة المتبادلة.

تكلّمت دفعةً واحدة. اندهشتُ أمامها.

اكتشفتُ أنّ هينا أكثر انفتاحاً منّي على البحث عن المعلومات،

تفكّر كثيراً وتقرأ بوعيٍ وإدراك. كم كان من المدهش رؤيتها على هذه الدرجة من الجرأة وروح المغامرة!

لا، في الواقع... أنا منْ كنتُ أدفنُ رأسي في الرمال.

كانت تأخذ دروساً في المعلوماتية لكي تفتح متجرها الإلكتروني الخاصّ، وكانت قد طرحت الأسئلة على موغي على نحوٍ استباقي. عرفتُ ذلك جيّداً. بالنسبة إليها، لم يكن هناك «حلمٌ مبهَم ومنفصل عن العالم الواقعي»، وإنّما واقعٌ ملموس. كان «كبريائي السخيف»، كرجلٍ يكبرها سنّاً بعشر سنوات، هو الذي جعلني أنظر بعيداً.

- إن النظر في تمويلٍ جماعيٍّ بهدف جمع المال فقط هو رهان محفوف بالخطر، لأنّك لا تعلمُ مسبقاً إن كنتَ ستحصل على ما يكفي منه لإطلاق مشروعك التجاري. لكنها وسيلة إعلانية ممتازة. تحدّث عن مشروعك بشغف وسوف يثقُ الناس بك. إنّ شخصاً من دون خبرة يتحدّث إليهم بقلبٍ مفتوحٍ سوف يؤثّر عليهم، أنا متأكّدة من ذلك. ولدى افتتاح متجرك، سوف يتلهّف المساهمون في تمويله إلى زيارتك.

سحرتني كلماتها.

لو نُظِر إلى هذا الكلام من الخارج، لبدا طوباويّاً، لكن نحن الاثنين، في خضم هذا الحلم، كنّا واقعيينِ تماماً.

- أنا متلهّفٌ جداً!

قلتُ هذا، ضاغطاً بيدي على صدري، فأمسكت هينا، فرِحةً، بذراعي.

- هذا هو المطلوب! وأنا متأكّدة من أنّ الخيارات المتّخذة بفضل هذه الحماسة ستكون أكثر صواباً من الخيارات التي تعتمد على العقل.

لفتت قارورة موضوعة على مكتبها نظري فجأةً. تذكّرتُ كلمات ياسوهارا.

«المهمّ ألا يترك المرءُ مصيرَه يفوته».

في هذه القارورة المحفوظة بحرصٍ شديد، قبعت قطعة الزجاج المصقول الحمراء.

تلك القطعة التي كنتُ قد التقطتُها وأهديتُها لهينا يوم لقائنا على شاطئ البحر، قبل أن نلتقي من جديد في معرض طوكيو الدولي الكبير.

سوف يسيرُ كلّ شيء على ما يُرام، لأنني أنا أيضاً، قادرٌ على فعل ذلك. أنعشني هذا اليقين القويّ.

نعم! لأنّه يومذاك...

لم أترك مصيري يفوتني.

في بداية الأسبوع، كانت دعوةٌ تنتظرني في مكتب رئيس الشركة.

كان هناك احتمال أن أتعرّضُ لتخفيضٍ في الراتب، أو لتنزيلٍ في المرتبة الوظيفية، أو أسوأ من ذلك، أن أُفصل من العمل. أن أفقد وظيفتي وأنا على وشك الإقبال على حياةٍ مهنيةٍ موازية، لم يكن بالأمر الممتع أبداً.

ولكن بعد أن دعاني إلى الدخول إلى مكتبه، أغدق عليّ الرئيس بعبارات الاعتذار.

- لقد تسبّبت لك ميا بالكثير من المشاكل. أعتذِرُ إليك عن ذلك.

كان يتحدّث عن يوشيتاكا.

- أخبرني قسم الموارد البشرية بالأمر يوم الجمعة. وخلال حديثٍ معها، أعادت ميا على مسامعي نفس الأقوال، ولكن التقيتُ تابوتشي يوم السبت أثناء ممارستي لعبة الغولف.

- أنتما الاثنان، أنتما...

- عندما فاتحته بالموضوع، ثار غاضباً، مؤكّداً أنّه من المستحيل أن تكون قد تصرّفت بهذه الطريقة. وقد أكّد أنّه لا يوجدُ رجلٌ أكثر صدقاً وجدارةً بالثقة منك، بما في ذلك الأقسام الأخرى.

ذُهلتُ ممّا سمعت. قال تابوتشي هذا الكلام عنّي! وهو يعلم أنّ يوشيتاكا هي ابنة أخت الرئيس!

- فاجأني ذلك. أنا أعرفه منذ زمنٍ طويلٍ، وكانت هذه المرّة الأولى التي أراه فيها يتصرّف على هذا النحو. ولذلك تحدّثت مع ميا من جديد، وبكلّ صراحة. وقد اعترفت بخطئها.

كانت هينا على حقّ.

كان الرئيس يثق بتابوتشي الذي يثق بي... العالم مبنيٌّ على الثقة فعلاً.

أخذت يوشيتاكا يوم عطلة، وفي اليوم التالي، جاءت إلى العمل وكأنّ شيئاً لم يكن.

ثمّ أقبلت نحوي وقالت بكلّ بساطة:

- أنا آسفة.

وإذ رأيتها هكذا، مطأطأة الرأس ولا تنظر إلى عيني، أجبتُ:

- حسناً.

وهكذا انتهت هذه القصّة.

وما إن غابت لكي تؤدّي مهمّةً في عملها، حتى قال لي تابوتشي:

- أوراسي، لقد سامحتها بسهولة كبيرة! أنا على يقينٍ أنّها تسخر منك في قرارة نفسها!

ابتسمتُ.

- لا. كان من الممكن أن تقدّم استقالتها، ولكنّها جاءت إلى المكتب، دون تهرّب، ولذلك أعتقدُ أنّها نادمة. وبالتالي، سوف أثق بها في المستقبل.

قال، متشكّكاً:

- حسنٌ.

ناولته ثلاث أوراق.

- هذا دليلُ البرنامج الجديد. لقد لخّصت العناصر التي قد تخلق لك المشاكل.

- حقّاً؟ عظيم! شكراً جزيلاً!

نظر إلى الدليل الذي كتبتُه نظرة إعجاب. من الآن فصاعداً، لن يقطع عمله، ولن يطرح عليّ الأسئلة المكرّرة نفسها.

- لنكن فعّالين معاً!

في البداية، سوف أنظّم منهجي في العمل كموظّف مأجور. لن أعود أعمل لساعات إضافية لا جدوى منها. كان هذا من العناصر الأساسية لمزاولتي حياة مهنية موازية.

قال تابوتشي، ممازحاً:

- لقد تغيّر وجهك، يا أوراسي! أنا في مزاجٍ جيّد، هل ترغب في أن نذهب ونشرب كأساً بعد العمل؟

- كلا، اليوم سوف أعود إلى المنزل في وقت دوامي المحدد.

في ذلك المساء، كان لديّ موعدٌ مع ناسودا. من الآن فصاعداً، سوف يشرح لي على مراحل أفضل المواقع لتأسيس مشروعي التجاري، ووضع العقار، والتجهيز الداخلي.

علاوة على ذلك، كانت هينا لا تزال على تواصلٍ مع موغي، وقد عرض عليها أن يُريها عملية بيع المعادن.

كنّا نتصرّف كما لو أننا نتّبعُ خيوطاً غير مرئية موصولة ببعضها.

كان أمامي جبلٌ من المهام لأقوم بها، ولكنني سأتوقّف عن التذرّع بضيق الوقت.

وسوف أركّزُ بدل ذلك على ما يمكنني إنجازه في الوقت المتوفر لي.

سوف أحوّل «يوماً ما» إلى «غداً».

لقد انطلق في داخلي الخروف المنقوش على مقبض الملعقة.

مكتبة Cat's Now Books المذكورة في هذا الفصل هي إشارة إلى مكتبة في طوكيو تُدعى Cat's Meow Books. تقع المكتبة في حي سانغنجايا ويديرها شخصٌ يُدعى ياسومورا، والذي توجد الكثير من صوره واقفاً أمام رفوف من الكتب وبين ذراعيه قطّة. ويوضّح الموقع الرسمي للمكتبة، بطريقة لا تخلو من الفكاهة، أنّ القطط التي تم إيواؤها «عُيِّنَت كموظفين» ومقابل ذلك، خُصِّصت نسبة عشرة في المائة من الإيرادات لجمعيةٍ لحماية القطط (ملاحظة من مترجمة النسخة اليابانية الأصلية).

الفصل الثالث

ناتسومي، 40 عاماً، عضو سابق في قسم تحرير مجلّة

«إذا بقي سانتا كلوز الشخصية الرمزية لعيد الميلاد رغم أنّنا تعلّمنا منذ طفولتنا أنّه « ليس موجوداً»، فهذا ليس لأنّ الأطفال يؤمنون بوجوده، بل لأنّ الكبار، الذين كانوا أطفالاً فيما مضى، يشعرون بأنّه حقيقي وأنه يعيشُ في قلوبهم».

كم مرّة أعدتُ قراءة هذا الكتاب؟

تحت التغليف الواقي، كان غلاف الكتاب أبيض اللون. أحببته كثيراً. اعتبرتُ هذا الكتاب جالباً للحظّ، وأخذته معي أثناء رحلاتي في بعض الأحيان. ظهرت أوراقي اللاصقة الملوّنة من بين الصفحات، متعارضة في ألوانها مع بياض الغلاف.

في ذلك الصباح، نظرتُ إلى الروزنامة. كنّا في شهر ديسمبر. أيّ هديّة سأقدّمها لابنتي فوتابا بمناسبة عيد الميلاد؟ وجدتُ فكرة أن أضع نفسي في مكان سانتا كروز وأن أواجه مشاكله مسليةً.

نظرتُ عبر النافذة فجأةً.

«لقد مرّت ثلاثة أشهر على فصل الصيف»، قلتُ في نفسي وأنا أشعرُ بأشعّة شمس الشتاء.

في ظهيرة هذا اليوم من نهاية السنة، كانت السماء زرقاء. لمحتُ الربع الأوّل الشاحب للقمر.

* * *

أغسطس.

بعدما انتهت العطلة الصيفية، كانت الشركة بأكملها قد استعادت وتيرتها المعتادة.

كنتُ موظّفة في قسم التوثيق لدى دار نشرٍ تُدعى بانيوشا. كنتُ أُدير الإصدارات، وأُجري أبحاثاً لزملائي، وأرسل الطلبات. تعلقت إحدى مهام هذا القسم أيضاً بمجال الإعلام، من خلال إصدار وثائق مكتوبة من قبلنا.

ما عداي، ضمّ القسم خمسة رجال في منتصف العمر مقلّين في الكلام جدّاً إلى درجة أنّه بعد انقضاء عامين على نقلي إلى القسم، ظللتُ لا أشعرُ بأنني في مكاني المناسب.

في السابق، كنتُ عضواً في قسم التحرير في مجلة **ميلا** التي تستهدف بشكلٍ رئيسي الفتيات في العشرينيات من العمر.

وقد عملتُ بجدٍّ ونشاط لصالح هذا المشروع على مدى خمسة عشر عاماً. ثمّ حبلتُ، الأمر الذي كان مفاجئاً، ولكنّه لم يكن عَرَضيّاً. كنتُ أرغبُ في هذا الحَمل. كنت أعي أنني في السابعة والثلاثين من عمري، لكنني اعتبرتُ أنّ المخاطر والعواقب الجسدية

والمهنية سوف تكون محدودة إذا ما وضعتُ طفلي سريعاً وعدتُ إلى العمل بأقرب وقتٍ ممكنٍ.

لا أستطيع أن أنكر أنني بالغتُ كثيراً. فقد أخفيتُ حملي حتى شهره الخامس عن الجميع، باستثناء رئيسي في العمل، رئيس تحرير مجلة **ميلا**. لم أرغب في لفت الانتباه إليّ. لقد عانيتُ من حالات الغثيان وتحمّلتها سرّاً، وتغلّبتُ على الشعور بالنعاس الناجم عن الهرمونات، باستهلاك كميّات فلكية من العلكة بالنعناع.

عندما بات من المستحيل عليّ إخفاء بطني الكبير، أعلنتُ عن حملي لجميع زملائي، وحاولتُ جاهدة ألا يكون عائقاً أمام العمل الجماعي.

بقيتُ في العمل حتى الشهر الثامن وأنجبتُ في ليلة رأس السنة. في حالة الولادة في شهر يناير، يُسمَح للأمّ بأن تحصل على إجازة أمومة لمدّة سنة وأربعة أشهر. أمّا أنا، فقد قرّرتُ أن أعود إلى العمل بعد أربعة أشهر. تردّدتُ في وضع ابنتي فوتابا، البالغة من العمر ثلاثة أشهر فقط، في الحضانة، ولكن كان عليّ أن أستعيد منصبي في العمل بأسرع ما يمكن.

بعد عودتي، ذهبتُ مباشرةً بالطبع إلى قسم التحرير في مجلّة **ميلا**.

بعد غيابي الطويل، قالت لي إحدى زميلاتي ضاحكةً، بشيء من الإحراج:

- لقد مرّ وقتٌ طويل على غيابكِ!

كنتُ لا أزال مندهشة من برودة استقبالها لي، حين دعاني رئيسي في العمل إلى قاعة الاجتماعات، قائلاً:

- ساكيتاني، هل لديكِ دقيقة من الوقت؟

وفجأةً ومن دون مقدّمات، أخبرني بنقلي إلى قسم التوثيق.

سألت، بصوتٍ مرتعش:

- لماذا؟

أجاب بلامبالاةٍ:

- من الصعب أن تكوني جزءاً من قسم التحرير وأنتِ تربّين طفلةً.

- ولكن...

اجتاحني الغضب وغمرتني الأسئلة.

لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ خلال عطلة الأمومة خاصّتي، قرأتُ كلَّ عددٍ من مجلّة **ميلا** بدقّة، وبحثتُ في مواضيعها، وفكّرتُ في مشاريع، وهذا مع عزمٍ وتصميمٍ شديدين على العودة، لكي أعوّض عن تأخيري وأكون عمليّة حال استئناف عملي.

هل هذا يعني أنّ كلّ ما بنيتُه خلال ثلاثة عشر عاماً في مجلّة **ميلا** لا يساوي شيئاً؟ لم أقدّم شيئاً، إلى درجة أنّهم لم يستطيعوا انتظاري؟ لم أتصوّر أبداً أنني سوف أخسرُ منصبي.

- لقد فكّر قسم الموارد البشرية فيكِ من خلال تكييف ساعات عملكِ. فمن الآن فصاعداً، سوف تعملين من الساعة التاسعة صباحاً حتى الساعة الخامسة مساءً.

عند هذه الكلمات التي من المفترض أن تواسيني، رددتُ دفعةً واحدة:

- أستطيع تماماً أن أدير عملي وأن أهتمّ بطفلتي في آنٍ واحدٍ! سوف نهتمّ بها كلانا، أنا وزوجي، وبالنسبة إلى الساعات الإضافية والاجتماعات المسائية، لقد عثرنا على مربّيات سوف...

قاطع كلامي بغضب:

- لقد انتهى الأمر؛ ومن العبث أن تُرهقي نفسكِ. في قسم التوثيق، سيكون الأمر أسهل بالنسبة إليكِ.

كانت هذه المرّة الأولى التي أشعر فيها بإحباطٍ حقيقيٍّ. قد يكون هذا القرار سليماً من منظور الشركة، أمّا أنا، فلم أكن أرغب في تخفيف عبء حياتي. شعرتُ بأنني على حافة الهاوية، وأحسستُ بأنني لم أعد أُساوي شيئاً.

كنتُ الأمّ الوحيدة في دار النشر بانيوشا. لم تكن هناك سابقة. وأن أكون الرائدة في هذا الأمر كان قد أشاع تفاؤلاً كبيراً في داخلي.

خلال عامين، فكرتُ مراراً بأن أتقدّم إلى وظيفةٍ في قسم التحرير في مجلّةٍ أُخرى، لكن تقاسُم المهام مع زوجي جرى على نحوٍ سيّئٍ للغاية، بحيث كان الاعتناء بابنتي عبارة عن سلسلة من الأحداث غير المتوقَّعة. وبخلاف آمالي، لم يكن لدي وقت فراغٍ، وصَعُب عليّ التخطيط لأي شيءٍ. اضطررتُ للإقرار بأنّ العودة إلى منصبي في قسم التحرير، الذي يتطلّب العمل الجماعي ضمن جدول أعمالٍ مكثّف، سيكون أمراً صعباً. لم يكن أمامي سوى كبت ضيقي ونفاذ صبري في قسم التوثيق، وتحمّل هذا الوضع إلى أن تكبر طفلتي.

أشارت عقارب الساعة إلى تجاوز الخامسة مساءً. دون أن أصدر صوتاً، وضعتُ حقيبة يدي على كتفي، وغادرتُ المكتب بهدوء، وخرجتُ إلى الرواق. كان زملائي مستغرقين في عملهم، مطأطئين رؤوسهم. وعلى الرغم من أنني لم أخالف أيّ قواعد، إلّا أنني شعرتُ بعدم الارتياح في انصرافي في الوقت المحدّد لدوامي.

لم أجد مكاناً لابنتي في دار الحضانة الأقرب إلى بيتي، بل

نجحتُ في إيجاد مكانٍ لها في حضانة تبعد مسافة بضع دقائق سيراً على الأقدام عن المحطّة التالية، وذلك عند انتهاء إجازتي الأمومية بالضبط. لكن هذا أبعدني عن عملي. ففي حال انطلقت من المكتب عند الساعة الخامسة، وفاتني قطارٌ واحدٌ، كنت أصلُ متأخّرةً. وفي تلك اللحظات، كان قلبي ينفطر وأنا أرى أنّ فوتابا هي آخر طفلةٍ تنتظر أمّها.

كنتُ أحتاجُ إلى سبع دقائق لكي أصل إلى محطّتي هرولةً. في الدقائق الثلاث الأولى، كنتُ أتحسّرُ على زملائي الذين بقوا في المكتب، وفي الدقائق الأربع التالية، كنتُ أتحسّرُ على فوتابا التي كانت تأملُ في وصولي. وكنتُ أصلُ إلى شبّاك التذاكر وأنا أعتذر في ذهني من الجميع.

سيعود زوجي شوجي متأخّراً هذا المساء، كما هي حاله دائماً. وفيما أنا أهتز من حركة القطار، نظرتُ شاردة الذهن عبر النافذة حيث لا يزال ضوء النهار يُنيرُ الخارج.

أخبرني شوجي أمس، أي يوم الجمعة، بأنّه سوف يسافر في رحلة عملٍ خلال عطلة نهاية الأسبوع. كان يقوم بساعات عمل إضافية وبسفرات لصالح شركته المتخصّصة في مجال تنظيم الفعاليات أكثر من فترة ما قبل حملي. قد تكون تلك الرحلة قد أُقرَّت في اللحظة الأخيرة فعلاً، ولكن مع ذلك كان ينبغي له أن يُخبرني بها قبل ذلك.

رزحت حياتي اليومية تحت الأعمال والالتزامات المنزلية الصغيرة. فبالنسبة إلى الحضانة وحدها، كان عليّ ليس فقط أن أوصِل ابنتي وأُعيدها من هناك، بل أيضاً أن أملأ دفتر التواصل،

وأرتّب لوازمها، وأشارك في تنظيم الحفلات. وعلاوة على ذلك، كان كلُّ ما لا يسعفني الوقت لإنجازه في أيام الأسبوع ينتظرني في عطلة نهاية الأسبوع: تهوية الفراش، وتنظيف الحمّام، وفحص محتويات الثلّاجة.

في الحقيقة، لم يكن ذلك ضرورياً. فعندما يغيب شوجي عن البيت، لا تعود حالة الحمّام مهمّة، كما أعدُّ وجبات الطعام ممّا هو متوفِّرٌ في البيت فحسب.

بالمقابل، كنتُ أنزعجُ من القيام بالأعمال المنزلية والاعتناء بابنتي فوتابا وحدي، في حين أنها مهام كان ينبغي أن ننجزها نحن الاثنين معاً في عطلة نهاية الأسبوع.

كان شوجي أباً حنوناً جدّاً. لم يكن يمتنع عن تغيير الحفاظات، وقد بحث عن وصفاتٍ لإعداد الطعام للرضع في فترة التنوّع الغذائي وقام بتحضيرها. كما أنه كان يتصرّف مع فوتابا بفيضٍ من الحنان والحبّ. وعند أدنى شعورٍ بالقلق، كان حضوره يُريحني ويهدّئني، إذ كنت أشعر بالتوتر حيال وجودي وحدي مع طفلة في سنٍّ صغير لا ينبغي أن أرفع عنها نظري.

وأنا أيضاً، كنتُ أجدُ فوتابا فاتنة. فاتنة حقّاً. ولكن هذا الشعور والانتماء الأمومي المستمر أمران مختلفان تماماً.

اليوم، غادر شوجي المنزل باكراً. رافقته حتى الباب، وبينما كنتُ أتهيّأ للعودة إلى النوم، استيقظت فوتابا. فلسببٍ غامض، كانت دائماً ما تستيقظُ بسهولة أيام العطلة.

بعد أن تناولت فطورها، لعبت بألعابها القماشية بعد أن أخرجَتْها كلَّها من الصندوق المخصص لها، في حين أنني نشرتُ الغسيل على الشرفة في هذه الأثناء.

وقد شغلت شراشف فوتابا مساحة كبيرة جداً بحيث اضطررتُ لأن أدفع الشمّاعات لكي أنشرها على قضبان المنشف.

عندما كنتُ أذهب لأعيدها إلى المنزل مساءَ كل يوم جمعة، كنت أنزع عن فراشها الشراشف ذات السحّاب المفروضة من قبل دار الحضانة، لكي أعيدها إلى مكانها صباح يوم الاثنين. كان ذلك عملاً شاقاً لا بدّ من القيام به كلّ بداية أسبوع. تحدّثتُ عن ذلك مع شوجي، الذي اكتفى بالقول:

- آه، حقاً.

لمّا تذكّرتُ قلّة اهتمامه وعدم تفهّمه لمعاناتي، انتابني شعورٌ بالإحباط.

لدى العودة إلى غرفة المعيشة، وجدتُ ابنتي ملتصقة بالتلفزيون أمام فيلمٍ للرسوم المتحرّكة. كانت ألعابها مبعثرة على الأرض.

- فوتابا، إذا كنتِ لا تلعبين، فلملمي ألعابكِ.

ردّت بلغة طفولية، مستبدلة كلمة لا بـ «نا»:

- نا!

- وإلّا سوف أرميها في حاوية القمامة.

- نا! نا ترمِها!

- لملميها إذاً.

- نا!

كانت تمرّ في مرحلة «لا»، أي طور الرفض، وهو الطور النموذجي للأطفال البالغين سنتين من عمرهم. كنتُ قد قرأتُ في كتابٍ تربويٍّ أنّ هذا انتقالٌ ضروريٌّ لعملية النموّ، وأنّه ينبغي مساعدة الطفل بهدوء دون توبيخه. ولكنني بدأتُ أفقدُ صبري، ولذلك، وأنا أقفزُ فوق الألعاب، ذهبتُ إلى المطبخ لكي أستعيد هدوئي.

غسلتُ قارورة فوتابا التي كانت قد بقيت في المغسلة منذ مساء اليوم السابق. كانت متّسخة ومن الصعب تنظيفها بسبب المصّاصة الخارجة المنبثقة من السدادة. نزعت السدادة المغطّاة ببقع الشاي وتركتها منقوعةً في السائل المبيض لكي تُعقّم. كان هذا أحد أعمالي الشاقّة. والمثير للدهشة هو أنّه كانت هذه الأعمال الصغيرة تستغرقُ وقتاً طويلاً. فرغم أنني كنتُ في عطلة نهاية الأسبوع، لم يكن بوسعي أن أمنح نفسي دقيقة من الراحة.

الوقت. وقت الفراغ. كنتُ سأشتري بعضاً منه لو استطعتُ إلى ذلك سبيلاً.

تنهّدتُ بعمق. ربّما لم أُخلَق لأكون أمّاً. اعتقدتُ نفسي قادرةً على تدبّر أموري على نحوٍ أفضل ممّا أنا عليه. كان قضاء يومين في غرفةٍ مع فوتابا وقتاً طويلاً جدّاً.

لماذا لا أذهب إلى الحديقة؟ مع قليلٍ من الحظّ، سوف تكون شبه خالية من الناس، ولكن تجمّعات الأمّهات كانت تُخيفني كثيراً بحيث أنّنا غالباً ما كنّا نكتفي بنزهةٍ حول الحديقة. لم يكن ذلك بالأمر المثالي.

أين يمكنني أن أقضي ساعةً أو ساعتين مع ابنتي، بأقلّ التكاليف؟ فالذهاب إلى أحواض السمك وحديقة الحيوانات يكلّف غالياً، والذهاب إلى المكتبة العامّة للحي يتطلّب ركوب الحافلة، وهي علاوة على ذلك تفتقر للخدمات.

فجأةً، تذكّرتُ أنّ مديرة دار الحضانة كانت قد تحدّثت «عن ركنٍ خاصٍّ بالأطفال في مكتبة المركز الاجتماعي»، ذات مساءٍ، حين ذهبتُ لإحضار فوتابا.

بدا أنّ هذا المركز الاجتماعي تابعٌ للمدرسة الابتدائية التي

سوف تذهب إليها فوتابا يوماً ما. حصلتُ على هذه المعلومة لحظة مغادرتي دار الحضانة، ولذلك لم أعر الأمر اهتماماً، ولكنّ بحثاً سريعاً على هاتفي الذكي أفادني بأنّ الأمر يتعلّق بمؤسسة متكاملة، فيها قاعات للاجتماعات، وغرفٌ مؤثّثة على الطراز الياباني، وتُعطى فيها دوراتٌ تعليمية للكبار أيضاً.

كان المركز يبعد عن منزلي مسافة عشر دقائق سيراً على الأقدام. سيكون هذا بمثابة نزهة وسيتيح لنا أن نرى المدرسة، حتى وإن كان الأمرُ سابقاً لأوانه بعض الشيء.

- فوتابا، هل نخرج؟

كانت جالسة القرفصاء أمام شاشة التلفزيون، وإذا بها تنتصب على ساقيها دفعةً واحدة. لم تقول لا هذه المرة.

أمسكتُ بيد فوتابا التي قفزت فوق الرصيف. تمايلت برأسها، معتمرةً قبّعةً من القشّ.

قالت بكلمات غير دقيقة في لفظها، مستبدلة بعض الأحرف:

- أنا ارتديتُ **شواربي**.

لم أستطع تمالك ابتسامةٍ أمام وجهها الصغير المرفوع نحوي. **شوارب**. كانت تتحدّث عن جواربها المفضّلة المنقوشة بصورة قططٍ. كان هذا النوع من ردّ الفعل ظريفاً حقّاً.

مررنا أمام بوّابة المدرسة، وفي زاوية جدار السور، أشارت لافتة مرفقة بسهمٍ إلى أن «المركز الاجتماعي من هنا». رأيتُ عمارةً بيضاء عند مدخلٍ زقاقٍ. عند مكتب الاستقبال، كتبتُ اسمي وسبب زيارتي وساعة وصولي، ثمّ دخلنا. كانت المكتبة تقع في نهاية الطابق الأرضي.

يقع ركن الأطفال في نهاية الممرّ على اليمين، وكان محدّداً برفوفٍ منخفضة وبأرضية مغطّاة بمادة إسفنجية تحمي من الصدمات، كما كانت هناك أيضاً طاولة صغيرة مدوّرة الزوايا. ولا يدخل المرء إلى هذه المساحة قبل أن يخلع حذاءه.

لم نرَ أيّ زائرٍ آخر. شعرتُ بالارتياح، فخلعتُ حذائي وحذاء ابنتي، ثمّ جلستُ.

محاطة بالكتب المصوّرة، شعرتُ بالاسترخاء. أمسكتُ ببعض الكتب التي ألقيتُ عليها النظر.

تحقّقتُ من أسماء دور النشر بحكم العادة: صخب السماء، دار القيقب، السديم. كان لاسم دور نشر كتب الأطفال وقعٌ لطيفٌ على السمع.

فوتابا، التي كانت قبل لحظةٍ في غاية السعادة بجواربها، نزعتها الآن.

- هل تشعرين بالحرارة في قدميكِ؟

- أقدام حافية! جيلوب أقدام حافية!

- جيلوب؟

كنتُ أفهمها عموماً، ولكن في بعض الأحيان، كنتُ أعجزُ عن فهم معنى كلماتها. لففتُ جواربها على شكل كرةٍ ودسستها في الحقيبة الخاصّة بالحفاظات. دارت فوتابا أمام الرفوف.

من الجانب الآخر، ظهر وجه فتاةٍ تربط شعرها على شكل ذيل حصان.

- ربّما تتحدّث عن غيلوب؟

مرتدية مريولاً أزرق غامقاً، كانت تحمل العديد من الكتب في يديها. لا بدّ أنّها من موظّفي المكتبة. وبحسب الشارة الاسمية

المعلّقة حول رقبتها، تُدعى نوزومي مورياغا.

أضافت، وقد ارتسمت على شفتيها ابتسامةٌ لطيفة:

- **غيلوب ذو الأقدام الحافية** هي سلسلة كتب عن حريشٍ، تحظى بشعبية كبيرة.

- حريشٌ؟

مع ضحكةٍ خافتة، نزعت نوزومي حذاءها وانضمّت إلينا في المساحة المخصّصة للأطفال. وضعت كتبها على الطاولة الصغيرة، ثمّ حملت بمهارة مجموعة أخرى من الكتب من على رفٍّ وأعطتها لفوتابا.

- جيلوب!

انكبّت ابنتي بكلّ حماسةٍ على الكتاب المصوّر. لا بدّ أنّها سمعت به في دار الحضانة. فتحت الكتاب، تاركة رسم حريشٍ يظهر وهو يرتدي أحذيته بصعوبة. كان نصف الأقدام العديدة حافياً، بينما كان النصف الآخر منتعلاً أحذية مختلفة ومتنوّعة. أمام هذا الرسم غير اللطيف والمشوّه بنسبٍ غريبة، أوضحت نوزومي:

- اسمه، غيلوب، يُنفّر الكبار، لكنّ الأطفال يحبّونه كثيراً. هناك أيضاً ذبابة وصرصورٌ، وإنّها لفكرة حسنة أن تُقدَّم هذه بمظهرٍ إيجابيٍّ. هذا الكتاب المصوّر الرائع كُتِب من منظور الطفل، دون أفكار مسبقة عن الحشرات التي تُعدُّ ضارّةً.

انبهرتُ بمعرفتها الممتازة بالكتب. أومأتُ برأسي، مبدية إعجابي.

- هل يمكنني استعارته؟

- نعم، إن كنتِ تُقيمين في الحي. وإذا كنتِ تبحثين عن كتابٍ آخر، لا تتردّدي في أن تسألي أمينة المكتبة، هناك.

مدّت ذراعها نحو الجانب المعاكس من الغرفة. لم أتبيّن جيّداً ما أشارت إليه بسبب ستارٍ فاصلٍ، لكنني رأيتُ لافتة «استشارات» متدلّية من السقف.

- اعتقدتُ أنّكِ أنتِ أمينة المكتبة!

أوضحت، وعيناها الواسعتان مليئتان بالأمل:

- لا، ما زلتُ في طور التعلّم. لقد أنهيتُ دراسة المرحلة الثانوية، وأحتاجُ إلى ثلاث سنوات من الخبرة لكي أصبح أمينة مكتبة. لم أقضِ من هذه المدّة سوى سنتي الأولى، ولذلك عليّ أن أتعلم المزيد.

كانت صغيرة جدّاً في السنّ إلى درجة كاد ذلك أن يشوّشني. أراحتني هذه الشجاعة وهذه الإرادة في مراكمة الخبرة للوصول إلى مهنة أحلامها.

تذكّرتُ أنني، أنا أيضاً، كان لديّ حلمٌ وأنني ثابرتُ على بحثي عن عملٍ.

أردتُ الالتحاق بدار نشرٍ، أردتُ تصميم الكتب. ولأنني كنتُ أعشقُ مجلّة **ميلا**، سررتُ كثيراً حين حصلت على وظيفةٍ فيها.

قبل خمس سنوات، نجحتُ في الحصول على إصدارٍ متسلسل من روايةٍ للكاتبة ميزوي كاناتا، البالغة من العمر سبعين عاماً في ذلك الحين. وبحسب رئيسي في العمل، كانت كتاباتها غير لائقة بمجلّة مخصّصة للفتيات. كما رفض مقترحي بنشرها لأنّ الرواية لا تناسب مجلّتنا، بعكس النصوص القصيرة.

أمّا أنا، فكنتُ مقتنعة بأنّ كلمات ميزوي سوف تحفّز القارئات الشابّات. حتى تلك المرحلة، كانت قد كتبت روايات تاريخية وأدباً كلاسيكيّاً، ولكنني كنتُ أعلمُ أنّ رسائلها الإيجابية والقويّة سوف

تلقى صداها لدى الشابات في العشرينيات من عمرهنّ. فلو كيّفنا الأسس الروائية وأسلوب الكتابة لقارئات **ميلا**، فإنّ هؤلاء القارئات، الراغبات في معرفة تتمّة القصّة، سوف يهرعن كلّ شهر إلى الأكشاك لشراء المجلّة.

حين ناقشتُ الأمر مع المدير، سخر منّي:

- حاولي إقناع الكاتبة، أوّلاً!

كان اعتراضه مختلفاً عن اعتراض رئيسي. فبحسب رأيه، لن توافق كاتبة مرموقة أبداً على أن تكتب لمجلّة نسائية مثل **ميلا**.

فأعددتُ خطّة هجوم في سبيل إقناع ميزوي. في المرّة الأولى، رفضت. تذرّعت بأنّ إصداراً متسلسلاً شهرياً سيكون شاقّاً جداً.

ألححتُ عليها في الطلب دون كللٍ أو مللٍ. رجوتها، مؤكّدة على أنني أرغب في نقل القوّة والأمل الكامنين في رواياتها إلى النساء الشابّات المكافحات في الحياة اليومية. ووعدتها بمنحها كلّ دعمي ومساندتي.

وفي محاولتي الخامسة، وافقت أخيراً. تلهّفتْ لمعرفة القصّة التي سوف تولَد من تعاونها معي.

روايتها المسلسلة، **شجرة الدُّلْب الورديّة**، التي تتناول العلاقة بين امرأتين شابتين مختلفتين جدّاً، ليستا صديقتين ولا متنافستين، ظهرت سريعاً على الصفحات الرئيسيّة من مجلّة **ميلا**. وكان من الواضح أنّ ارتفاع المبيعات الناتجة يُعزى إلى نشر الرواية المسلسلة. وبعد عامٍ ونصف من الإصدارات التي لاقت إشادة النقّاد، قرّرنا أن نطبعها في كتابٍ. وإذ لم يكن لدى دار نشر بانيوشا قسماً أدبيّاً، أوكِلَت إليّ مهمّة تجميع الرواية والترويج لها بين بائعي الكتب. ولأنني كنتُ أتولّى في الوقت ذاته تحرير مجلّة **ميلا**، كانت

هذه الفترة الأكثر انشغالاً في مهنتي، ولكنني استمتعتُ كلّ يوم بسعادة خالصة.

بعدها، نالت الرواية جائزة بوكشيلف، وهي الجائزة الأدبية السنوية الكبرى، الأمر الذي أسعد مؤسستي كثيراً بطبيعة الحال. فأن تتوهّج بانيوشا المتخصّصة بالمجلّات في عالم الأدب كان أمراً مذهلاً. وحين صادفتُ المدير في أحد الأورقة، أخبرني بطريقة غير رسمية بترقيتي إلى منصب نائبة رئيس التحرير لمجلّة ميلا.

ثمّ حبلتُ. أعترفُ أنني قلقتُ لفكرة أن أذهب في إجازة الأمومة. لكنني شعرت بالفخر لتحقيقي هذا الإنجاز مع المؤسسة. عشقتُ عملي، وأقمتُ علاقة ثقة مع ميزوي، ولذلك كنتُ أخطّط لأن أقدّم المزيد عند عودتي. فبالنسبة إليّ، كان هذا العمل التحريري هو تجسيدٌ لكلّ جهودي.

ولكن ها أنا ذي.

لقد أُخذ عملي من بين يدي، ولم يُعتَرَف بخبرتي ومثابرتي.

ولو أنني علمتُ أنني لن أستعيد منصبي، لأمضيتُ وقتاً أطول مع فوتابا أثناء غيابي، بدل من أن أكون مهووسة بعملي. كان بإمكاني أن أرتاح معها أثناء فترات قيلولتها، وهو وقتٌ ثمين، وأشاهد المسلسلات الكورية، وأستمتع بهواياتي، بدل أن أهدر طاقتي في إعداد المشاريع أو البحث عن المعلومات.

لم يكن أيٌّ مما كنتُ أفعله يُرضيني، وكانت يداي مقيّدتين وأنا غارقة في شؤون الحياة اليومية.

ما العمل الآن؟ ما الذي كان ينبغي لي أن أفعله في الماضي؟ كانت أفكاري تتلاطم في رأسي. حبيسة متاهةٍ، لم يسعني فعل أيّ شيء سوى الشكوى والتذمّر.

جلستُ على الأرض وسألتُ فوتابا المُمسكة بالكتاب مفتوحاً بين يديها:

- ما رأيكِ أن نطلب بعض الكتب المسلّية؟

كانت قد سمعتني بكل تأكيد، ولكنّها لم تُجبني بشيء، ولا حتى بـ «لا». ظلّت تحدّقُ في الحريش.

عرضت عليّ نوزومي:

- أنا سأهتمّ بها، اذهبي أنتِ.

- ولكن...

- ليس هناك أحدٌ آخر، لا تقلقي.

وافقتُ على مقترحها، وانتعلتُ حذائي. إنّ استعارة بعض الكتب المصوّرة سوف تتيح لي إلى حدٍّ التغلّب على ملل عطلة نهاية الأسبوع.

تجاوزتُ الستار الفاصل الذي يُستخدَمُ أيضاً كلوحة إعلانات، ومن النظرة الأولى، تجمّدتُ في مكاني.

كانت سيّدة ضخمة، بيضاء بالكامل، تجلس خلف مكتبها. لم أستطع أن أخمّن عمرها، ولكنّها كانت في الخمسينيات بالتأكيد. كانت بلوزتها البيضاء ذات الكمّين الطويلين فضفاضةً جدّاً لدرجة أنّه من المستحيل العثور على مثلها في المتاجر. من المؤكّد أنّها كانت قد فُصِّلَت خصيصاً على مقاسها أو أنّها استورِدَت من الخارج. كانت ترتدي مريولاً عاجيّ اللون، وببشرتها الشاحبة والمشدودة، والخالية من العيوب، كانت تشبه... كيف أقول... بايماكس في فيلم الرسوم المتحرّكة **الأبطال الستّة** من إنتاج دزني.

بدت عابسةً، ومطأطئة الرأس، ومنهمكةً في نشاطٍ دقيقٍ.

اقتربتُ منها بدافع بالفضول، ورأيتُها تغرز إبرةً في كرة من الصوف الصغيرة على سجّادة من الإسفنج.

عرفتُ أنّ الأمر يتعلّق بالتلبيد بالإبرة بفضل عددٍ خاصّ من مجلّة **ميلا** حول الموضوع، والذي لم أكن مسؤولةً عنه. فمن خلال وخز خيوطٍ من الصوف ناعمةٍ مثل القطن، كان يتكوّن منها شكلٌ.

كان نشاطاً يدويّاً. لا بدّ أنّها تصنع نموذج حيوانٍ. وأن يقوم شخصٌ بهذه الضخامة بإنتاجِ شيءٍ صغيرٍ جدّاً كهذا كان أشبه بالرسوم المتحرّكة حقاً. راقبتُ حركة يديها، مفتونةً ببراعتها.

بجانبها مباشرةً، وُضعت علبةٌ لونها برتقالي غامق: كعك هاني دوم من كوريميادو، وهو مصنع تاريخي للبسكويت. كان ذلك البسكويت اللذيذ على شكل نصف دائرة محشوّاً بالعسل العذب. كنتُ قد قدّمتُ لميزوي هذا المنتوج المحبوب جدّاً لدى كلّ الأجيال. شعرتُ بنفسي فجأةً قريبةً من أمينة المكتبة التي تُحبّهذ هي أيضاً هذا الكعك.

توقّفت أصابعها عن الحركة فجأةً. تحت نظرتها المحدقة، انكمشتُ على نفسي، وقلت:

- اعذريني...

ما كان عليّ أن أعتذر، ولكن بينما كنتُ أتراجع، سألتني أمينة المكتبة:

- عمّ تبحثين؟

شعرتُ بكلّ جسدي يُحتَضَن.

كان صوتاً غريباً، ذا نبرة رتيبة، ليست رقيقة ولا مبتهجة. ومع

ذلك، عبّرت كلماتها عن كرمٍ شديد يجعلك ترغب في تسليم كلّ كيانك إليها.

كانت لديّ جملةٌ من الإجابات المحتمَلة على سؤالها. طريقي في الحياة، سبيلي إلى التخلّص من خيبة أملي، وقت فراغٍ لتربية ابنتي. طريقة الحصول على كلّ هذا.

لكنّها لم تكن مُقابلة لطلب المساعدة النفسيّة.

أجبتُ بإيجاز:

- عن كتبٍ مصوّرة للأطفال.

كانت تحمل على صدرها شارةً باسم «سايوري كوماتشي». يا له من اسمٍ لطيف: السيّدة كوماتشي، أمينة المكتبة. فتحتْ علبة كعك هانيٍ دوم لتضع فيها الإبرة. بدا واضحاً أنّها استخدمتها كعلبة لعدة الخياطة.

استأنفت كوماتشي حديثها بهدوء:

- كتب مصوّرة للأطفال؟ لدينا الكثير منها!

- أبحثُ عنها لابنتي البالغة سنتين من العمر. إنّها تحب كتاب **غيلوب ذو الأقدام الحافية**.

غمغمت وهي تتحرّك في كرسيّها:

- آه، هذا الكتاب شهير.

همستُ:

- بالنسبة إلى خبيرة. أمّا أنا، فأجهلُ ما يُعجِبُ الأطفال.

أمالت كوماتشي رأسها جانباً بعض الشيء. كان مشبكُ شعرٍ مزينٍ بعناقيد زهورٍ بيضاء مغروزاً في كعكة شعرها المشدودة جدّاً. بدا أنّ الأبيض لونها المفضّل.

- في تربية الأطفال، يتعلّم المرء من خلال الممارسة. وتسيرُ الأمورُ دائماً على نحوٍ مختلفٍ ممّا تصوّرناه.

- نعم، هذا صحيح!

شعرتُ بأنّ هناك مَنْ يفهمني أخيراً، ورغماً عنّي، أفرغت ما في قلبي.

- الأمر أشبه بإيجاد ويني الدبدوب لطيفاً، ثم العيش مع دبٍّ حقيقي.

- ها ها ها!

فاجأتني ضحكتها المجلجلة وغير المتوقّعة، لا سيّما وأنني لم أكن أمزح. لم أتصوّر أنّها قادرة على أن تضحك بهذه القوّة.

لكنني كنتُ مطمئنّة، كان ليّ الحقّ في قول ذلك، فتحسّرتُ على نفسي وشكوتُ قدري.

- منذ ولادة ابنتي، أصبحتُ محشورة في الزاوية، وظهري إلى الحائط. لم أتوقّع أنني سأُحرَمُ من الحريّة إلى هذا الحد. نعم، أنا أحبّ ابنتي، لكنّ الاعتناء بها أصعبُ ممّا تصوّرت.

كوماتشي، التي لم تعد تضحك، تحدّثت بطلاقة من جديد:

- لا يولَدُ الأطفال في ظروفٍ ممتعة. فليست الولادةُ بالسهلة، أليس كذلك؟

- نعم. أمّهات العالم جميعهن رائعات.

- أوافقك الرأي.

بعد إيماءةٍ خفيفة من رأسها، نظرت في عينيّ مباشرةً.

- لا بدّ أنّ أمّي قد تعذّبت، ولكني أنا أيضاً تعذّبت في سبيل المجيء إلى هذا العالم، فقد عانيتُ من ألمٍ شديدٍ واستخدمتُ كلّ طاقتي. خلال تسعة أشهرٍ، اتّخذتُ شكلاً بشرياً في بطن أمّي، دون

أن يعلّمني أحدٌ شيئاً، ثمّ أُطلِقتُ في بيئة مجهولة تماماً. لا بدّ أنني حين خرجتُ إلى الهواء، اندهشتُ كثيراً وتساءلتُ: «أين أنا؟». أنا نسيتُ كلّ شيء طبعاً. ولكن في كلّ لحظة بهجة أو سعادة، أقول لنفسي إنّ الأمر يستحقّ عناء بذل كل ذلك الجهد في ولادتي.

لزمتُ الصمت، متأثّرةً بكلامها. استدارت كوماتشي نحو حاسوبها.

– والأمر نفسه بالنسبة إليكِ. فأكبر إنجازاتكِ هي ولادتكِ. لا شيء ممّا عشتِه فيما بعد يساوي في قسوته هذا الحدث الفريد. ولكنّكِ قاومتِ، ولذلكِ تستطيعين التغلّب على كلّ شيء.

عند هذه الكلمات، استقامت كوماتشي في جلستها ووضعت يديها على لوحة مفاتيح الحاسوب. ثمّ بدأت بالنقر بأسرع ما يُمكن: تكتكتكتكتك! تحرّكت أصابعها على لوحة المفاتيح مثل أصابع الروبوت. نظرتُ إليها تفعل ذلك، مذهولةً، ثمّ ضغطتْ على مفتاحٍ أخير بحيويّة شديدة، فانطلقت الطابعة في اللحظة التالية.

كانت الورقةُ الصادرةُ، بحجم B5، عبارةً عن جدولٍ فيه عناوين الكتب، وأسماء مؤلفيها، ورقم الرفّ.

نظرتُ إلى الصفحة بإمعانٍ.

السيّد سرة؛ أهلاً وسهلاً بك في البيت!؛ ما هذا؟

بدا واضحاً أنّ هذه الكتب الثلاثة هي كتب للأطفال، لكنّ العنوان التالي لفت انتباهي.

بوّابة القمر للمؤلفة يوكاري إيشيي.

كنتُ أعرفها. كانت تنشر توقعات الأبراج على حساباتها في مواقع التواصل الاجتماعي. حين كنتُ أعملُ في مجلّة **ميلا**، كانت إحدى زميلاتي مشترِكةً في حسابها. أمّا أنا، فلم أكن مهتمّةً بذلك.

وإذ كنتُ أعلم أنّ الفتيات ينجذبن إلى هذا الموضوع، فكّرتُ في إصدار عددٍ خاصّ من المجلّة حول استشارات الاستبصار، ولكنني شخصيّاً لم أكن أقرأ الأبراج الشهرية أبداً.

اعتقدتُ أنّ يوكاري إيشيي قد نشرت كتاباً للأطفال أيضاً، ولكنّ الكتاب كان مصنّفاً في قسمٍ آخر، مع رقم رفٍّ مختلفٍ.

سألتُ:

- هل هذا كتابٌ حول الاستبصار؟

دون أن تُجيبني، انحنت كوماتشي لتفتح بعض أدراج مكتبها وقدّمت لي شيئاً أخرجته من الدرج الثالث.

- تفضّلي، هذا لكِ.

كانت كرة صوفيّة ملبّدة. كرةٌ زرقاء مرقّطة برسوم خضراء وصفراء... أهي الكرة الأرضية؟

- كم هي جميلةٌ! أصنعتِها بنفسكِ؟ سوف تُثيرُ إعجاب ابنتي.

- هذه هديّة إضافية صغيرة، لكِ أنتِ.

- لي أنا؟

- إضافة إلى **بوّابة القمر**.

لم أفهم. أمام حيرتي، قالت كوماتشي وهي تلتقطُ الإبرة:

- ما أحبّه في التلبيد بالإبرة، هو أننا نستطيع أن نغيّر كلّ شيء في الطريق. فأيّاً كانت نسبة الإنجاز، يمكننا بسهولة أن نعدّل المسار خلال عملية التصنيع.

- آه، حقّاً؟ حتى لو كان هذا مختلفاً عن المشروع الأوّلي؟

أحجمت كوماتشي عن الإجابة. طأطأت رأسها وباشرت بغرز الإبرة في كرة الصوف. لم تعد لديها الرغبة في الثرثرة.

ولأنّ تصرّفها دلّ على انتهاء خدمتها، صعُب عليّ أن أضيف

أيّ شيءٍ، فدسستُ الكرة الأرضية في الجيب الداخلي لحقيبتي وتوجّهتُ نحو ركن الأطفال.

وجدتُ نوزومي تقرأ كتاباً لفوتابا، فانتهزتُ فرصة ذلك لكي أبحث عن كتاب **بوّابة القمر** في رفّ الأدب العامّ.

رأيتُ على الغلاف الأزرق صورةَ نصف قمرٍ أبيض وضبابيٍّ.

لم يكن فقط الغلاف والغلاف الخلفي باللون الأزرق، بل كعب الكتاب أيضاً. أزرق عميق ليس فاقعاً جدّاً ولا داكناً جدّاً. كان الغلاف الداخلي أسود مثل الحبر. وما إن فتحتُ الكتاب، حتى بدا الورق السمني مؤطّراً بأزرقَ غامقٍ، بحيث أعطى تتبّع الكلمات إحساساً بالقراءة ليلاً.

كنتُ أتصفّحُ بضع صفحات منه، حين لفَتَ مصطلح «الأمّ» انتباهي.

«في عالم علم الفلك، يمثّل القمر الأحداث والانفعالات والجسد والتغيّرات المعاشة في أطوار الأمّ، والزوجة، والطفلة».

هل يمثّل القمر الأمّ والزوجة؟

بيد أنّه يُزعَم أنّ الأمّ هي شمس الأسرة. وأنّه عليها بالتالي أن تبتسم على الدوام. قرأتُ، مندهشةً، المقاطع السابقة، فأسرتني.

كانت صورة القمر تتداخل مع صورة جسد الأمّ، تماماً مثلما تتطابق الدورة القمرية مع انتفاخ بطن النساء الحوامل ودورات الطمث الشهرية. كما تضمّن هذا الكتاب تأمّلاً حول رمزية الارتباط بين العذرية والأمومة، سواءً مع أرتميس، إلهة القمر العذراء، أو مع مريم العذراء.

وجدتُ الكتاب مثيراً للاهتمام. كان تصميم الصفحات جميلاً، والكتابة رائقة، بحيث إن المحتوى كان واضحاً هو الآخر. كان هذا الكتاب يرقى لأن يكون سرداً يجعل القمر أليفاً أكثر من أن يكون دليلاً لعلم التنجيم. لم يصف موجزُ السيرة الذاتية على الغلاف الخلفي يوكاري إيشيي على أنّها **منجّمة**، بل على أنّها **مؤلفة**. استحوذ الكتاب عليّ، فأردتُ أن أغوص في قراءته وقرّرتُ استعارته.

عدتُ إلى القسم المخصّص للأطفال لأبحث عن الكتب الثلاثة الواردة في القائمة. أمسكتُ أيضاً بكتاب **غيلوب ذو الأقدام الحافية**، الذي رفضت فوتابا وضعه من يدها. أصدرت لي نوزومي بطاقة قارئة. استعرتُ خمسة كتب في الإجمال.

- أنا أحمل الكتب!

منتعلةً حذاءها وقدماها من دون جوارب، ضمّت كتابها المصور إلى صدرها. كانت عطلتنا لنهاية الأسبوع قد أُنقِذَت بفضل حريشٍ وصرصورٍ. شعرتُ بامتنانٍ عميق حيال الكاتب والمحرّر.

فقط حين يكون لدينا طفلٌ، يتبيّنُ لنا كم هو صعبٌ التركيز لقراءة كتابٍ في البيت. لم أستطع التقدّم في قراءة **بوّابة القمر** سوى لبضعة صفحاتٍ، وذلك صباح يوم الاثنين وأنا في القطار في طريقي إلى العمل.

حين كنتُ أعملُ في مجلّة **ميلا**، لم أكن أتردّد في القراءة في مكتبي. فحتى وإن لم يكن ذلك على صلة مباشرة بمهامي، فقد كان من شأنه أن يُلهمني.

على عكس ذلك، منذ انتقالي إلى قسم التوثيق، بتُّ أتردّد، إذ لم أشأ أن يُنظَرَ إليّ كموظّفة كسولة.

في ذلك الصباح، وصلتُ إلى مكتبي مثل العادة، وما كدتُ أن ألقي نظرة على كومة كتبي، حتى سمعتُ اسمي بصوتٍ قادمٍ من عتبة الباب:

- سيّدة ساكيتاني!

رفعتُ رأسي في الحال. كانت كيزاوا، عضو في قسم التحرير لمجلّة **ميلا**، وهي موظّفة عزباء في نفس سنّي، استلمت منصبها قبل ذهابي في إجازة الأمومة بفترة وجيزة. لم أكن على معرفة جيّدة بها، لأننا قلّما عملنا مع بعضنا قبل نقلي إلى قسم التوثيق، ولكن أيضاً لأنّ صراحتها جعلتني أنفر منها.

كانت قد أصبحت أثناء غيابي نائبة رئيس التحرير بدلاً منّي، وقد عُرِفت بمهاراتها وكفاءاتها في عملها السابق، وسرت شائعة قائلة بأنّ رئيسنا تدخّل شخصياً لكي يجعلها تترك عملها السابق ويوظّفها. وقد تولّت مشروعي مع ميزوي، وهو أحد الأسباب التي جعلتني أحافظ على مسافة بيني وبينها.

سلّمتني ورقةً مطبوعة.

- أودّ أن تطلبي لي هذا.

- حسناً.

تعلّق الأمر بكتالوج إحدى ماركات المنتجات الجلدية. لقد توجّهت إليّ أنا بالذات من مكانها عند الباب، على الأرجح لأنّها اعتبرت الموظّفين الذكور في عمرٍ معيّنٍ غير قادرين على التكفّل بهذه المهمّة. أو ربّما جاءت لتتباهى بمنهجها الخاصّ في العمل لدى مجلّة **ميلا**.

سألتْ ببرود:

- هل يمكن الحصول على ذلك خلال هذا الأسبوع؟

كانت عيناها منهكتين، وترتدي بلوزة فضفاضة فوق سروال جينز، وتربطُ شعرها الفوضوي بمشبكٍ.

ربّما كان هذا الزيَّ الذي ارتدته للعمل طوال الليل، فنظراً للتوقيت، كان ينبغي إنهاء إعداد المجلّة بسرعة.

شعرتُ بالإحباط، فأنا كنتُ جزءاً من ذلك الفريق فيما مضى.

أجبتُ:

- أعتقدُ ذلك.

ولكي أُخفي انزعاجي، أضفتُ بلطفٍ ومع ابتسامة:

- هل ستنتهون من مسودّات الطبع اليوم؟

مرّرت يدها في شعرها.

- نعم، هو كذلك.

- أنا أحسدكِ كثيراً! التحرير هو عملٌ ذو معنى حقّاً.

حاولتُ أن أُتفوه بجملة خفيفة، لكن أشاحت كيزاوا بنظرها وأجابت من دون أي مقدمات، وهي تضحك:

- أقضي وقتاً طويلاً جدّاً هنا بحيث أشعرُ بأنني لا أعود إلى بيتي أبداً! فأنا أحياناً لا ألحقُ حتى القطار الأخير وأضطرُّ لأن أدفع تكلفة سيارة الأجرة على نفقتي الخاصّة. أنا أيضاً أرغب في أن أعود إلى بيتي في الوقت المحدّد للدوام ولو مرّة واحدة!

انزعجتُ من كلامها. ماذا قصدت من «أنا أيضاً»؟!

- ولكن لا بأس، ليس هناك منْ ينتظرني على أية حال. أشعر بأنني وحيدة.

لم أعلّق بأيّ شيءٍ على هذا الإشفاق على الذات، وأرغمتُ نفسي على أن أردّ عليها بأجمل ابتساماتي.

ها هي تحسدني هي بدورها. أحبطني ذلك، فأنا من كنتُ أغار

منها إلى حدّ الشعور بالغثيان، لكونها منشغلة بالعمل على مجلّة ميلا إلى هذا الحدّ!

رغبتُ في أن أصرخ في وجهها: «إذا كنتِ ترغبين إلى هذا الحد في العودة باكراً إلى البيت، فاستقيلي! أنتِ هنا لأنّكِ اخترتِ ذلك بنفسكِ، لأنّكِ ترغبين في ذلك، أليس كذلك؟».

ولكنني كنتُ في نفس الحالة. كنتُ قد اخترتُ أن أنجب طفلاً وأن أربّيه.

هل كان هذا خياراً سيّئاً؟ هل الرغبة في أن يكون لديّ عملٌ وعائلة طلبٌ مبالغٌ فيه؟ ألم يكن لديّ الحقّ في أن أكون غير راضية عن وضعي؟

بينما ظللتُ صامتة لا أتلفّظُ بكلمةٍ واحدة، واصلت كيزاوا:

- كدتُ أنسى! بعد غد، سيكون هناك لقاءٌ مع ميزوي كاناتا.

هدأتُ في الحال. لقاءٌ مع ميزوي؟

- لستُ ملزمة أبداً بأن أحضر اللقاء لأنّه لا يعنيني. ولكنّ الناشر طلب منّي الحضور. أنا منشغلة للغاية، هل ترغبين في الذهاب بدلاً منّي؟

- نعم!

أثار جوابي العفوي انقباضاً في كتفيها.

ختمتْ بالقول، وهي تديرُ ظهرها قبل أن تسلك الممرّ:

- سوف أرسلُ إليكِ التفاصيل عبر البريد الإلكتروني. وسوف أطلبُ أيضاً من رئيسي أن يرتّب الأمر مباشرةً مع رئيس قسم التوثيق.

لم يكن يهمني رأيها بي. ولكنني قدّرتُ لها مجيئها للقائي. سوف أرى ميزوي من جديد. وسوف أتمكّن من إنجاز مهمّةٍ تُضاهي عمل المحرّرة، بصفتي المسؤولة السابقة عن المشروع.

في اليوم التالي، زرتُ المكتبة خلال استراحة الغداء لكي أشتري آخر رواية لميزوي. كان يوم صدورها، الأمر الذي برّر تنظيم حدثٍ في هذه المناسبة.

كان من المقرّر أن يجري لقاؤنا في اليوم التالي، في الساعة الحادية عشرة صباحاً، في أحد فنادق طوكيو.

اتّصلتُ بميزوي التي عرضت عليّ أن نذهب لشرب كوبٍ من الشاي معاً بعد اللقاء.

سعدتُ بذلك غاية السعادة!

في القطار، تصفّحتُ كتابها سريعاً، دون أن أصل إلى منتصفه. كان لا بدّ أن تنام فوتابا مُبَكِّراً هذا المساء.

على طريق العودة، غنّت من دون توقف أغنيةً تعلّمتها في دار الحضانة. كانت تعشق تلك الأغنية إلى درجة أنّها حتى في المنزل تدندن بها طوال الوقت، وترفقها برقصةٍ من ابتكارها.

بعد الاستحمام، وضعتها في فراشها وتمدّدت بجانبها. خفّفتُ إضاءة الغرفة وطبطبتُ على صدر فوتابا.

- لننم بسرعة، اتّفقنا؟

كانت متحمسة بحيث لم تجد طريقها إلى النوم، بل تسلّت بالغناء بأعلى صوتها. وبعد برهة، انتهيتُ إلى الصراخ فيها:

- أغْمضِي عينيكِ!

ردّت بكلمات غير سليمة لفظاً:

- نا! أُريبُ أن أغنّي!

كان لأمري مفعولٌ عكسيٌّ. انفعلت فوتابا واستقامت في فراشها، ووضعت يديها على وركيها.

متى سيعود شوجي إلى البيت؟ لو كنتُ أعرفُ على الأقلّ موعد

عودته، لشعرتُ بالاطمئنان وعرفتُ متى سأتلقّى مساعدته، ولكنّه لم يتّصل بي.

تخلّيتُ عن فكرة تنويم ابنتي ورفعتُ درجة الإضاءة، واستلقيتُ بجانبها وفتحتُ كتابي.

غنّت فوتابا بعض الوقت، ثمّ أمسكت بكتابٍ مصوّر موضوعٍ بجانب وسادتها. من المؤكّد أنّها أرادت أن تقلّدني. تحدّثت مع نفسها وهي تُشاهد الصور. ربّما أرادت أن أقرأ لها، ولكنني تجاهلتها وواصلتُ قراءة كتابي. فكانت كل دقيقة مفيدة.

مثل كلّ عمل من أعمال ميزوي، كانت روايتها الجديدة مشوّقة. كيف سارت اجتماعات العمل مع الناشر؟ كيف صدر هذا الكتاب؟

آه، كم وددتُ أن أكون محرّرة روايات. لم أستطع أن أتمالك انفعالي.

تابعتُ خيوط أحداث القصة مع صوت فوتابا كخلفية للأحداث، إلى أن خمد ذهني.

نمتُ رغماً عنّي وأنا غارقة في القراءة، واستقبلتُ طلوع النهار دون أن أشعر بعودة شوجي، ودون أن أنهي الكتاب.

في الصباح، عطست فوتابا وسال أنفها.

سارعتُ إلى وضع يدي على جبينها، وتبيّن لي أنّه دافئ. ضممتُ ابنتي بين ذراعيّ، متمنّية ألا تكون مريضة، ثمّ دسستُ ميزان الحرارة تحت إبطها.

سأل شوجي بتكاسلٍ:

- أأنتِ بخير، يا فوتابا؟

أنا منِ ارتكبت الخطأ حينما ذهبتُ إلى النوم تاركةً التكييف يعمل، ومع ذلك ألقيتُ باللوم على شوجي الذي لم يوقِف التكييف قبل الخلود إلى النوم.

أطلق ميزان الحرارة صفيراً، مشيراً إلى درجة حرارة 38,9 درجة مئوية. قلقتُ بعض الشيء، ولكن سيكون كل شيء على ما يرام بالتأكيد.

من فضلكِ لا تمرضي. ليس اليوم.

توجّهتُ إلى شوجي باستحياء:

- قل لي...

- نعم؟

- لا أعتقد أن هذا سيحصل، ولكن إن حدث وطلبت دار الحضانة الذهاب لإحضار فوتابا، هل يمكنك الذهاب إليها بدلاً منّي؟

- مستحيل. سأذهب إلى شيبا اليوم.

- هذا ما ظننت...

ما كان عليّ أن أطرح عليه هذا السؤال. حضّرتُ نفسي مع فوتابا وأخذتها إلى دار الحضانة.

في القطار، عدتُ إلى قراءة رواية ميزوي دون انتظار. كان لا بدّ أن أعرف خاتمتها. أنهيتُ قراءة الكتاب سريعاً وعلى نحو سطحي.

لم أكن أُرغب في إفساد قراءتي، بل رغبت في الغوص في عالم الكتاب في مكانٍ هادئٍ؛ ولكن لم يكن أمامي من خيار.

بفضل كيزاوا، سُمِحَ لي بالمغادرة عند الساعة العاشرة. مررتُ إلى الحمّام، وكنتُ أهم بالخروج حين رنّ هاتفي.

ظهر اسم المتّصل على شاشة الهاتف: «حضانة تسوكوشي».
سرت رعشةٌ في جسدي.
لا شكّ أنّ فوتابا محمومة.
وماذا لو تجاهلتُ المكالمة؟ ماذا لو زعمتُ أنني لم أرَ شيئاً؟ ولكن لكوني أمّاً، كان عليّ أن أردّ على المكالمة. في قلبي، تنازع «أنوان»[1].
انطلق مُسجّل الصوت.
انتظرتُ الرسالة الصوتية، ثمّ وضعتُ هاتفي الذكيّ على أذني. كان صوت المعلّمة مايو.
«تعاني فوتابا من الحمّى. تعالي لتأخذيها من فضلكِ».
وماذا لو...
وماذا لو تظاهرتُ بأنني لم أسمع شيئاً؟
ستلجأ الحضانة إلى الاتّصال بمكان عملي، وفي هذه الحالة سيتّصل أحد زملائي بي: في هذه الحالة، يجب أن أغادر على الفور، ثمّ أزعم أنني نسيتُ هاتفي في المنزل.
كان بوسعي أيضاً أن أتّصل بالحضانة حالما أنتهي من لقائي، وأن أذهب بسرعة عند الساعة الثانية بعد الظهر، وأن أعتذر عن شرب القهوة مع ميزوي. كان هذا ممكناً، لأنني كنتُ أثقُ بالحضانة تمام الثقة.
لكني سمعتُ صوتَ بكاءِ فوتابا في ذهني.
مساء اليوم السابق، ربّما أزالتْ غطاءها عن نفسها. ربّما تعرّض جسدها للبرد بسبب جهاز التكييف. ربّما كانت تعاني من

---

(1) مثنّى أنا - المترجم.

حمّى شديدة. كان هذا خطئي أنا، فلم أستطع أن أجعلها تنام باكراً، فيما خلدتُ أنا إلى النوم. شعرتُ بالذنب: أيّ أمٍّ فظيعة كنتُ، متجاهلةً فوتابا التي كانت تتكلّم معي، وكتابها المصوّر الكبير مفتوحٌ أمامها!

إذا لم أتقدّم للمشاركة في الحدث، سأبدو عديمة الفائدة في أعين كيزاوا ورئيسي. إلّا أنّ هذه المرّة، ما كان لغيابي أن يتسبّب بأيّ خسارةٍ للمؤسّسة. وحدها رغبتي كانت ستُداس.

أغمضتُ عينيّ.

ثمّ أخذتُ نفساً عميقاً واتّصلتُ بدار الحضانة.

ما إن وصلتُ المكان ورأتني فوتوبا، حتى ركضت نحوي بخطوات صغيرة.

حين رأيتُها بهذا الاندفاع، قلتُ في نفسي: «ولكنّها في كامل لياقتها! بيد أنّه قيل لي إنّها خاملة ومنهكة، بسبب ارتفاع حرارتها إلى 37,8 درجة مئوية!».

ظهرت مايو، التي بالكاد تبلغ العشرين من عمرها وقد وُظِّفت في دار الحضانة حديثاً.

- رأيتُ أنّ فوتابا ليست على ما يُرام، ولكن تبيّن أنّها كانت تشعر بالنعاس فحسب. لقد انخفضت حرارتها إلى 37,1 درجة مئوية.

شعرتُ بالارتياح من جهة وبانزعاجٍ رهيب من جهةٍ أخرى. لم تكن هناك أيّ حاجة لمجيئي إلى الحضانة! وفي هذا اليوم الخاصّ جدّاً! اغرورقت عيناي بالدموع.

- حسناً، يبدو أنّ أمّكِ كانت قلقة جداً بشأنك!

حين سمعتُ مايو تقول ذلك لابنتي وهي تضحك، غمغمتُ:

- لماذا تدفع النساء الثمن دائماً...

تحدّثتُ بصوتٍ منخفض، متوجهةً إلى نفسي. جفلتْ مايو وقد فاجأها ردّ فعلي.

لم أكن الوحيدةَ على هذه الحال. كانت الأمّهات يشكّلن الأغلبية الساحقة من الأشخاص الذين يأتون لأخذ أطفالهم من دار الحضانة. كما لو أن الأمر بمنتهى الطبيعية. لماذا تقع التداعياتُ السلبية في العمل على الأمّهات دائماً؟

أجابت مايو، وقد بدا عليها الحرج:

- أوه، أنا مضطرَّة للاتّصال بالوالدين حالما تصل حرارة الطفل 37,5 درجة مئوية... لأنّه لا ينبغي أن يعاني الأطفال من التشنجات...

استعدتُ رباطةَ جأشي. بدا من نبرة صوتي أني ألمحتُ إلى أنني ألوم مايو.

- لا، أنا لم أقصدكِ. اعذريني. شكراً لكِ.

أخذتُ فوتابا بين ذراعيّ، ووقّعتُ على بطاقة توقيت الخروج، وغادرت دار الحضانة.

لدى عودتنا إلى المنزل، قستُ حرارتها من جديد: 36,5 درجة مئوية. بعد تناول وجبة العشاء، وقد باتت في مزاجٍ جيّدٍ لتناولها لبنها المفضّل بنكهة التفاح، صفّت ألعابها القماشية على الطاولة وبدأت تلعب. عند تجاوزِ الساعة الثامنة مساءً، ألبستها منامتها لكي أجعلها تنام باكراً.

- هيّا، نامي الآن.

- نا!

- هل تُريدين أن تُصابي بالحمّى مرّة أخرى؟ هيّا، أعطني السيّدة أرنب.

- نا، نا أريد!

لا، لا، دائماً لا...

- أتعلمين، ماما أيضاً لا تريد.

تنهّدتُ، وأخذتُ فوتابا وأرنبها بين ذراعيّ ونقلتهما إلى السرير.

استلقينا نحن الثلاثة جنباً إلى جنب، أنا وفوتابا والسيّدة أرنبة. استغرقت فوتابا في حديثٍ طويلٍ معها.

وددتُ كثيراً لو أنني حضرتُ اللقاء مع ميزوي، وشربتُ معها فنجاناً من القهوة، وثرثرتُ معها في كلّ شيء، الأمر الذي لم نفعله منذ زمنٍ طويلٍ.

على الطريق إلى دار الحضانة، اتّصلتُ أوّلاً بقسم التحرير لدى مجلّة **ميلا** لكي أخبر كيزاوا بأنني لم أعد أستطيع الوفاء بوعدي. وقد قالت لي: «لا مشكلة. أتمنى أن تتعافى ابنتكِ بسرعة». لم تفهم شيئاً.

وبعد ذلك، في القطار، قدّمتُ اعتذاري إلى ميزوي عبر البريد الإلكتروني، فردّت عليّ على الفور: «هذا يحدثُ مع الأطفال، لا تشغلي بالكِ. سوف نلتقي مرّة أخرى». **هذا يحدثُ مع الأطفال...**

هم دائماً ما يمرضون في الأيام المهمّة بالنسبة إلى أمّهاتهم. لا بدّ أنّ ميزوي، التي لديها ابنان، قد دفعت ثمنَ هكذا مواقف.

رغبتُ في التحدّث إليها. ولكنني لم أعد في قسم التحرير. لم أعد في موقعٍ يتيح لي أن أعرض عليها على نحوٍ ودي أن تشرب معي فنجان قهوة.

لدى التفكير في الأمر، وجدتُ أنّ هذا كان إحدى مزايا عملي السابق الرئيسية: أن ألتقي بمنْ أُريدُ اللقاء به، وأن ألامس، في مقابلة ثنائية، ما يجول في أعماق قلبه.

كنتُ منهكة. في الفترة التي كنتُ أعملُ فيها في قسم التحرير لدى مجلّة ميرا، ورغم أنني كنتُ منشغلة على الدوام وأَجري من موعدٍ إلى موعدٍ خارج المؤسّسة، كنتُ في كامل لياقتي. أما اليوم، فبات جسدي وروحي صلبين وثقيلين مثل الصلصال.

وأنا مستغرقة في التفكير ومستلقية على فراشي، سالت دموعٌ على خدّي.

ثم غفوتُ أنا وفوتابا، دون أن أشعر بذلك.

فتحتُ عيني عند الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً.

أنا التي أردتُ أن أُنيم ابنتي باكراً لكي أنشغل بالأعمال المنزلية! أحبطني بقائي نائمة إلى تلك الساعة.

وضعتُ يدي على جبين فوتابا النائمة نوماً هنيئاً، فوجدتها غير محمومة، بل جسمها بارد. داعبتُ فروة شعرها ونهضتُ من السرير.

لم يكن شوجي قد عاد بعد. كانت الغرفة غارقةً في الفوضى، والأواني المتّسخة متراكمةً في مجلى المطبخ، والثيابُ التي غسلتُها بعد الظهيرة مرميةً كيفما كان على الأريكة وهي لا تزال معلّقة بالشمّاعات.

تنهدت تنهيدةً عميقة، ورحتُ أطوي الثياب النظيفة وأرتبها.

سمعتُ صوت مفتاحٍ يدورُ في قفل الباب. عاد شوجي إلى البيت.

- هذا أنا!

- لقد تأخّرت في العودة كثيراً.

- نعم، كنتُ منشغلاً جدّاً.

مرّ بجانبي وهو يتحدث إليّ، دون أن يبدو عليه التعب. فاحت منه رائحة الكحول.

- هل شربتَ؟

- ماذا؟ أوه، نعم، قليلاً.

- أراهن أنّك لست جائعاً إذاً.

عبس جرّاء نبرتي التي شابها بعض الغضب، ثم أجاب:

- لقد شربتُ قارورة بيرة فقط. وهذا من حقّي، أليس كذلك؟

- نعم، بالتأكيد. أمّا أنا، فهو ليس من حقّي.

وما إن فُتِحَت الصمّامات، لم أستطع التوقّف. وتحت اندفاع تلك اللحظة، صببتُ فيضاً من الضغائن.

- أنا منْ آخذ فوتابا إلى الحضانة، وأنا منْ أذهبُ لأعيدها إلى المنزل، وأنا من أعدُ الطعام دون أن أدري إن كنتَ ستأكل هنا أم لا. كان لديّ موعدٌ مسبقٌ اليوم، لكنّ الحضانة اتّصلت بي وطلبت مني المجيء دون أن تكون هناك ضرورة لذلك. أنا أعاني من ضغط الوقت، وأستعجل دائماً، وأؤجّل أنشطتي، ولا أستطيع أن أفعل شيئاً على الإطلاق!

- ماذا إذاً؟ هل تعتقدين أنني أتسلّى؟

- لقد ذهبتَ تسكَر، دون حتى أن تخبرني!

كنت متوترةً جداً، فرميتُ منشفةَ حمّامٍ كنتُ قد طويتها، متجنّبة

الكوب الزجاجي الذي كان بقربي، حتى لا أضطرّ لتنظيف شظايا الزجاج المكسور. كنت أستشيط غضباً، ولكنني احتفظتُ بما يكفي من الوضوح لكي أجري هذا النوع من الحسابات!

- إنّها طفلتنا كلينا، أليس كذلك؟ حينما كنتُ حبلى، كنتَ تقول إننا سنفعل كلّ شيء معاً! وبالتالي اذهب أنت أيضاً إلى الحضانة وشاركني في القيام بالمهمّات المنزلية!

- أتريدينني أن أراوح مكاني في حياتي المهنية؟ لا يمكنني التغيّب عن الاجتماعات ورحلات العمل لكي أعود باكراً إلى البيت، وأعيد فوتابا من دار الحضانة، وأعدّ العشاء! ناتسومي، أنتِ منْ تعملين في قسمٍ ذي دوامٍ مريح، وتغادرين عند الخامسة مساءً، ليس أنا!

التزمتُ الصمت، خائبة الأمل. كنتُ أعلمُ على مستوى ما أنّ المساس بمنصبه في المؤسّسة سوف يُخضعنا لعواقب غير محمودة.

ولكن كان ذلك إجحافاً بحقّي. كنت قد تركتُ وظيفتي. فلماذا يحقّ له وحده أن يركّز على عمله؟

لماذا عليّ أنا القيام بكلّ الأعمال المنزلية؟

لأنني أمٌّ؟

احتججتُ والدموع تخنق صوتي:

- أنا الخاسرة الوحيدة في هذه القصّة.

كان شوجي، الذي بدا غاضباً، على وشك أن يردّ عليّ حين فتح عينيه على وسعهما.

كانت فوتابا تقف عند باب غرفة المعيشة. لقد أيقظها شجارنا.

قالت بقلقٍ وبكلمات غير سليمة نطقاً:

- زأرتّبُ ألعابي.

راحت تنقل ألعابها القماشية إلى الصندوق المخصص لها. لمّا رأيتُ وجهها الصغير على حافة الدمع، انقبض صدري.

حتى دون أن تفهم موضوع شجارنا، اعتقدت أننا نتشاجر بسببها، وأنّها إذا ما أصبحت هادئة ومطيعة، سوف نتصالح.

أخذتها بين ذراعيّ دون تردّدٍ وقلتُ لها: سامحيني، سامحيني، يا فوتابا.

كيف لي أن أعتبر نفسي خاسرة؟!

هي التي كانت بؤبؤ عيني! هي التي لطالما رغبتُ في إنجابها! كيف استطعتُ أن أفكّر بأنّ حياتي تأثرت سلباً بسببها...

في اليوم التالي، قبل منتصف الظهيرة بقليل، تلقّيتُ مكالمة داخلية من مكتب الاستقبال. كانت ميزوي.

نزلتُ إلى الردهة. كانت ترتدي ثوب كيمونو، وقابلتني بابتسامة لطيفة.

فهمتُ في الحال: لقد استخدمت الخطّ الداخلي وليس هاتفي الذكيّ لكي أستطيع أن أتغيّب بسهولة.

كنتُ متشوّقة جداً للقائِها. مجرّد حضورها، هنا أمامي، أراح كلّ جسدي. بدأتُ بالبكاء.

لم تتفاجأ ميزوي. وضعت يدها على كتفي برفقٍ وهمست:

- متى تكون استراحتكِ للغداء؟ سنتناول الغداء معاً إذا أردتِ!

أعطتني موعداً في مطعمٍ قريبٍ وأضافت ضاحكةً بأنّها ستحجز مكاناً وتنتظرني هناك.

في الحقيقة، كانت ميزوي قد جاءت إلى بانيوشا بغرض مقابلة كيزاوا.

سوف تحوَّل روايتها **شجرة الدُّلْب الورديّة** إلى فيلم سينمائي. كان لفكرة أن تكون كيزاوا المسؤولة عن المشروع مذاقٌ مرٌّ، لأنني أنا من أعددتُ هذه الرواية مع ميزوي.

بينما كنتُ أغرفُ ملعقتي الكبيرة في عجّة الأرزّ، أسرّت إليّ ميزوي:

- أَتَعلمين، كانت تجربة الرواية المسلسلة صعبة عليّ بعض الشيء.

- آه، حقّاً؟

- شعرتُ بالتوتّر لكون قارئاتي شابّات عاطفيات. كنت أخشى أن أكتب عن غير قصد نصّاً يفتقر إلى الرقّة، وأن أصبح موضع سخرية بسبب حساسيّتي كامرأة عجوز.

ابتلعت لقمةً من عجّتها وتابعت، وقد بدا عليها السرور:

- ولكن... كانت التجربة أيضاً مسلّيةً جدّاً! أصبحتُ على علمٍ بكلّ ما يمكنني نقله إلى الجيل الشابّ. فخلال صدور الحلقات المسلسلة من الرواية، كانت الشخصيتان تتحاوران في ذهني باستمرار. كنّا دائماً معاً. كانتا مثل ابنتي المحبوبتين، شأنهما شأن القارئات. لقد ذكّرتني هذه الفترة بالفترة التي كنتُ أُربّي فيها طفلَي.

نظرت إليّ مبتسمةً، وقد ضاقت حدقتا عينيها. أمّا أنا، فلم أعرف ماذا أقول.

واصلت حديثها:

- وكل هذا بفضلكِ أنتِ. لقد حضرتِ ولادتهما وربّيتهما

معي. كنتِ قابلة التوليد، وممرّضة، وزوجاً، وأمّاً، لي كما لهذه الرواية.

فاضت الدموع من عينيّ، فغطّيتُ وجهي بيديّ.

- كنتُ واثقة من أنّني لن أعود أراكِ أبداً. لأنني لم أعد. . .

«لم أعد في قسم التحرير».

جميع المشاعر والأحاسيس التي تمالكتها لوقتٍ طويل تدفّقت مثل سيلٍ جارفٍ بحضور ميزوي.

- أنا أكره أن أغار من كيزاوا التي تعمل جاهدة لدى مجلّة **ميلا**، وأن أشعر بأنّ حياتي قد انقلبت رأساً على عقب وباتت فوضى عارمة منذ أن أصبحت لي طفلة.

وضعت ميزوي ملعقتها من يدها، وقالت بنبرة هادئة:

- أرى أنّكِ تمرين بمرحلة الدوّامة.

- الدوّامة؟

أفرجت عن ضحكةٍ خفيفة.

- هذا شائعٌ جدّاً. الأعزب يحسد المتزوّج، والمتزوّج يحسد الأب، والأب يحسد الأعزب. إنّها دوّامة تدور حول نفسها. أعتبر هذه الظاهرة مثيرة للاهتمام، إذ يركض كلّ شخصٍ خلف سابقه، وليس هناك من أوّل ولا أخير. بعبارة أخرى، السعادة ليست لها لا ذروة ولا خطّ نهاية.

تحدّثت بمرحٍ. شربتْ القليل من الماء من كأسها.

- الحياة مكونة من جملةٍ من الاضطرابات. فبغضّ النظر عن وضعكِ، لا شيء يسير كما هو مخطّطٌ له. ولكن بالمقابل، تحدثُ أيضاً مفاجآت سارّة، بحيث كثيراً ما نقول لأنفسنا: «لحسن الحظّ، لم يجرِ الأمر كما تمنيّتُ أن يجري!». أن تختلّ مشاريعنا ليس دليلاً

على سوء الحظّ أو الإخفاق. فهكذا نتطوّر، وتتطور حياتنا.
نظرت ميزوي بعيداً، والابتسامة مرسومة على شفتيها.

لحظة تسديد الحساب، مددتُ يدي عبثاً إلى الفاتورة التي أمسكت بها ميزوي بها.
لم يكن بوسعي أن أمرّرها كفاتورة نفقات مهنية، لكن كان بإمكاني أن أسددها طبعاً.
قالت ميزوي وهي ترفع الفاتورة عالياً لكيلا أستطيع انتزاعها من يدها:
- كلا، أنا من دعوتكِ.
- ولكن...
- ناتسومي، سيحل عيد ميلادكِ قريباً، أليس كذلك؟ **ناتسو**، أي الصيف، ومي، أي الجمال، فأنت ولدِتِ في الصيف تحديداً!
لا أدري متى تحدّثنا عن الموضوع، ولكنّها تذكّرت تاريخ ميلادي!
- أشكركِ.
وأنا أحني رأسي إشارةً للامتنان، ضحكت ميزوي، ثمّ سألتني:
- كم سيبلغُ عمركِ؟
- أربعين عاماً.
- رائع! إن حياتكِ تبدأُ الآن! استمتعي بها، فحديقة الملاهي شاسعة!
أمسكتْ بيدي قبل أن تُضيف:
- عيد ميلاد سعيد! وشكراً لمجيئكِ للقائي!
انتشر الهدوء والصفاء شيئاً فشيئاً في كلّ جسدي.

بفضل مجلّة **ميلا**، لم أكسب مهنةً فحسب، بل تلقّيتُ الراحة والطمأنينة من لدن ميزوي أيضاً، حتى وإن خسرتُ وظيفتي.

فكّرتُ في قرارة نفسي بأنّ المجيء إلى العالم يستحقّ العناء حقاً.

لأول مرّة، نامت فوتابا بسهولة في ذلك المساء.

وإذ لم يعد شوجي إلى البيت بعد، حفظتُ وجبته بورق السلوفان، ثمّ جلست على أريكة غرفة المعيشة وفتحتُ كتاب **بوّابة القمر**.

أثناء القراءة، وقعتُ على عنوانٍ محيّر: «عينا الروح». متحمّسةً، قرّبتُ الصفحة من وجهي.

عينان لرؤية ما هو «غير مرئي».

كانت العين الأولى هي «العين الشمسية» التي تنظر إلى العالم بطريقة منطقية وعقلانية. إنّها تسلّط ضوءاً ساطعاً على الأشياء وتفهمها.

وكانت العين الثانية هي «العين القمرية» التي تدرك هذه الأشياء من خلال المشاعر أو الحدس وتأمل أن تتفاعل معها. إنّه الخيال والحلم، مثل الوحوش وسط الظلام أو حبٍّ سريٍّ.

بحسب الكاتبة، كان كلٌّ منّا... يملك هاتين العينين في قلبه.

سحرني هذا الكتاب. لم أكن قد قرأتُ بروحٍ خفيفة منذ زمنٍ طويلٍ. تناول أيضاً العلاقة بين الشمس والقمر في الأساطير، كما تناول الاستبصار والأقدار، والمشاعر الإنسانية المخفيّة. أشاع الأزرق الرائع للغلاف، المرئيّ بوضوح حول الصفحات البيضاء

للكتاب المفتوح، الهدوء والطمأنينة في داخلي، فغرقتُ عميقاً في قراءتي.

«نحن نعيشُ أحداثاً، صغيرة أو كبيرة، لا تجري كما هو مخطّطٌ لها، بغض النظر عن جهودنا المبذولة».

فوجئتُ بعبارة «كما هو مخطّطٌ لها» التي لفظتها ميزوي في ذلك اليوم نفسه. وكانت بقية الكتاب تركز على «التحوّل». كان هذا أمراً غريباً، فكلما تقدّمتُ في قراءة الكتاب، اختلط محتواه بحياتي الخاصّة أحياناً.

كانت كوماتشي مذهلة. لماذا نصحتني بقراءة هذا الكتاب؟

انبثقت ذكرى من ذاكرتي، فوضعتُ يدي في حقيبة حفاظات ابنتي. كانت هديّة كوماتشي الصغيرة لا تزال في جيب الحقيبة.

وضعتُ الكرة الخفيفة في راحة يدي.

على مجسّم الكرة الأرضية هذا الذي يُساوي حجم كرة مضربٍ، كانت خرائط القارات تقريبيّة، في حين كانت خارطة اليابان مرسومة بدقّة. إمّا لأنّ رسم تلك الخرائط بدقّة أمرٌ في غاية الصعوبة، أو أنّ ذلك دليلٌ على الروح الوطنيّة لدى كوماتشي.

أما أنا، فكنت هنا.

كان الوقتُ ليلاً. ومع دوران الكرة الأرضيّة، سوف يبزغ الصباح...

وأنا أقلب الكرة بين أصابعي، فكّرتُ في نظريّة مركزيّة الأرض ونظريّة مركزيّة الشمس. اعتقدَ القدماء أنّ جسماً سماويّاً يدور حول الكرة الأرضية، الثابتة. بينما الأمرُ في الواقع عكس ذلك تماماً.

وهنا، نزل عليّ إلهامٌ.

«نُقِلتُ» من مجلّة **ميلا** إلى قسم التوثيق. «أُشغِلتُ» بالأعمال المنزلية والاعتناء بطفلتي. لقد اعتبرت نفسي مركز العالم، ووضعتُ نفسي في موقف الضحيّة، وظللت أتساءل لماذا لا يسعى الآخرون إلى تسهيل حياتي وتيسيرها.

حدّقتُ في هذه الكرة الزرقاء. كانت الكرة الأرضية تتحرّك. لم يكن الصباح والمساء «يأتيان» إلينا، من تلقائهما، بل كانا «يمرّان».

والآن، ماذا أُريدُ أن أفعل؟ إلى أين أريدُ أن أذهب؟

لقد لاحظتُ بالفعل تطوّراً في نفسي. ثمّ إنّ المناقشة مع ميزوي قوتني في قراري.

أردتُ أن أحرّر الكتب.

أردتُ اكتشاف سمات بعض الكتّاب ونقلها إلى القرّاء على شكل نصوصٍ عالية الجودة.

عادت كلمات ميزوي إلى ذاكرتي: «حديقة الملاهي شاسعة».

هل كان عليّ أن أترجّل من الدوّامة لكي أجرّب جاذبية أخرى؟ وإذ أعلم أنّ بقائي على صهوة جوادي ليس بالإنجاز على الإطلاق، هل كان بوسعي أن أكون صادقة مع نفسي وأنطلق بحثاً عمّا أرغبُ فيه حقاً؟

بحثتُ في هاتفي الذكيّ عن عروض عمل في دور النشر. حتى الآن، كنتُ قد ركّزت فقط على ناشري المجلّات. كنتُ أعتقدُ أنّ هذا هو خياري الوحيد.

بالنظر إلى وضعي الحالي، كان يصعبُ عليّ العمل في هذا القطاع الذي يولي الأولوية للسرعة والعمل الجماعي. وقد يكون من الأسهل العمل في مجال الأدب على نحوٍ فردي.

إنّ الاتجاه نحو التحرير الأدبي قد يفتح الأبواب أمامي.

بين العديد من الإعلانات، وجدتُ إعلاناً لدار أوتوشا، وهي دار نشر متوسطة الحجم. وبحكم تخصّصها في الأدب العامّ، كانت قد نشرت بعضاً من أعمال ميزوي.

ومن قبيل الصدفة، كانوا يرغبون في توظيف شخصٍ ذي خبرة، في منتصف مسيرته المهنية. وإذ كان المطلوب تقديم ملفّ الترشّح في اليوم التالي وفقاً لختم البريد، علمتُ أنني سوف أرسل طلبي في الوقت المحدد.

وأنا أحاول تهدئة قلبي الذي راح يخفق بشدّة، قرأتُ الإعلان بإمعانٍ. شعرتُ بأنّ حياتي تتّخذ منحاً إيجابياً، مدعومةً بكيانٍ قويّ. مثلما حدث أثناء لقائي مع ميزوي اليوم، وفوتابا التي نامت باكراً.

يوم السبت من الأسبوع التالي، أعدتُ الكتب إلى المكتبة. تركتُ فوتابا مع شوجي، الذي ظلّ في البيت.

وضعتُ الكتب على مكتب نوزومي وأدرتُ بصري نحو قسم الاستشارات. خمّنت نوزومي ما أفكّر فيه، فقالت:

- إذا كنتِ تريدين لقاء السيّدة هيمينو، فهي في استراحة، وستعود بعد قليل.

- السيّدة هيمينو؟

صاحت وقد وضعت يدها أمام فمها:

- آه! السيّدة كوماتشي كانت ممرّضة مدرسية حين كنتُ تلميذةً في المدرسة الابتدائية. وقد ذكرتها الآن باسمها لمّا كانت لا تزال صبيةً عزباء!

إذاً، كانت كوماتشي قد عملت في مجال التمريض المدرسي. شعرتُ وكأنني أشاهدُ مسلسلاً تلفزيونياً.

ظهرت كوماتشي في تلك اللحظة وواصلت السير بوجهٍ خالٍ من التعابير، ناقلةً جسدها الضخم ببطءٍ، وملقيةً نظرةً خاطفة نحوي.

انتظرتها أن تجلس خلف مكتبها قبل أن أقترب منها.

- أشكركِ على ما نصحتِني به في المرّة الماضية. **بوّابة القمر** كتابٌ رائع.

أجابت، باقتضاب:

- نعم.

- لقد تصفّحته فحسب نظراً لضيق الوقت، ولذلك أنوي أن أشتريه. فأريدُ أن أحتفظ بنسختي الخاصة.

ارتدّت إلى الخلف قليلاً على كرسيّها.

- أنا سعيدة بأني استطعتُ أن أكون وسيطةً وأن أمنحكِ الرغبة ليس فقط في قراءة كتابٍ، بل والاحتفاظ به أيضاً.

- تماماً. لقد حفّزني هذا الكتاب على أن «أتحوّل».

ضحكت كوماتشي ضحكةً محتشمة.

- تكمن قيمة الكتاب في تأويلكِ الخاصّ أكثر من قوّة كلماته.

سرّتني كلماتها الطيّبة.

سألتها، متلهّفة:

- سيّدة كوماتشي، لقد كنتِ ممرّضة مدرسية، أليس كذلك؟ ومن ثمّ غيّرتِ مسار عملكِ؟

- هذا صحيح. لقد بدأتُ العمل كأمينة مكتبة، ثمّ أصبحتُ ممرّضة مدرسية، وعدتُ لأصبح أمينة مكتبة من جديد.

- لماذا غيّرتِ مهنتكِ مرّتين؟

سمعتُ صوت طقطقة. كانت كوماتشي قد حنت رأسها.

- لقد وصلتُ إلى هنا من خلال تقييم أحلامي من جهة، وقدراتي من جهة أخرى، مع أخذ مسار حياتي بعين الاعتبار طبعاً. إن حياتنا عبارة عن سلسلة من النجاحات والإخفاقات، بمعزل عن إرادتنا. فقد تتدهور علاقتنا العائلية، وصحّتنا، وحياتنا المهنية على نحوٍ مفاجئ، كما يمكن لنا أن نقع في الحب بين ليلةٍ وضحاها.

ردّدتُ، مندهشةً من أن تخرج هكذا كلمة من فمها:

- الحب؟

لمست دبّوس شعرها برقة.

- كانت هذه أجمل مفاجئة في حياتي. لم أتخيّل أبداً أنني سوف ألتقي شخصاً يقدّم لي هذه الهدية.

لا بدّ أنّها كانت تتحدّث عن زوجها. رغبتُ أشدّ الرغبة في أن أعرف تفاصيل هذه القصة الجميلة، ولكن لم يكن من اللائق أن أسألها.

- هل أنتِ راضية عن تغيير وظيفتكِ؟ ألم تشعري بالقلق؟

- في بعض الأحيان، نرغب في أن نبقى أنفسنا، ولكننا نتغيّر، وفي أحيانٍ أخرى، نحاول أن نتغيّر، ولكننا نبقى أنفسنا.

قرّبت علبة هاني دوم الموضوعة على طرف مكتبها. وإذ رأيتُها تُخرِجُ إبرةً، فهمتُ. لقد انتهت لحظة إسداء المشورات. وأعملتْ حتماً الإبرة بهدوءٍ ورصانة.

لدى العودة إلى بيتي، طلبتُ من شوجي أن يُخرِج السيّارة لكي نذهب معاً إلى إيدن، وهو مركز تجاري يبيع الأغذية ومنتوجات للاستعمال اليومي. أردتُ أن أشتري ملابس داخلية وقمصاناً

لفوتابا، ولكن أيضاً بعض المواد الثقيلة، مثل أكياس الأرزّ والمشروبات.

سألتُ زوجي:

- هل يزعجكَ إن مررتُ على متجر زاز أوّلاً؟

كان شوجي سينتظرني في قسم الألعاب، فهو كان يساعدني كثيراً في عطل نهاية الأسبوع.

متاجر زاز هي سلسلة شهيرة مختصة بالبصريات. كان نظري ممتازاً، ولكن في بعض المناسبات، كنتُ أضع عدسات لاصقة تُستعمَل مرّة واحدة. كنت قد اقتنيتُ مخزوناً منها منذ ستّة أشهر، ولكنّه نفد.

حالما دخلتُ المتجرَ، ألقيتُ التحيّة. الموظّف الذي استدار نحوي ترك فمي فاغراً من المفاجأة.

- كيرياما!

- أوه، السيّدة ساكيتاني! ولكن... هل تسكنين قريباً من هنا؟

حين كنتُ أعمل لدى مجلّة **ميلا**، كان هذا الصبيّ يعمل في وكالةٍ للنشر كنا نكلّفها ببعض المهام من وقتٍ لآخر.

- لم أتوقّع قط أن أراكَ هنا!

- لقد استقلتُ من عملي والتحقت بهذا المتجر الشهر الماضي.

كان قد استعاد قواه، هو الذي كانت نحافته تقلقني آنذاك. أراحني أن أراه بصحّة جيّدة.

في الحقيقة، لم تكن وكالته جادّة. كان صاحبُها يطلب من موظّفيه مثلاً أن يُنجزوا في يومٍ واحدٍ عشر صفحات من الصور الفوتوغرافية الملتقطة في الشارع أو أن يجمعوا معلومات حول ثلاثين مطعماً لشعرية الرامين. ولأنّه كان يقبل كلَّ المشاريع التي

تُطلب منه، لم يكن أحدٌ يتردّد في اللجوء إلى خدماته، ولكن كان يعني ذلك أن الجميع في الوكالة عملوا على مدار الساعة.

- أنتِ أيضاً تبدين في كامل لياقتك! لديك طفل الآن، أليس كذلك؟

- نعم... في الحقيقة، أنا أيضاً أبحثُ عن وظيفةٍ أخرى.

خرجت هذه الكلمات منّي، لعلمي أنّ كيرياما كان قد وجد نفسه في نفس موقفي.

- لم أعد أرغبُ في تحرير المجلّات، وإنّما الروايات. لقد تقدّمتُ بطلبٍ إلى قسم التحرير في دار أوتوشا، وأنتظرُ أن يُدرس ترشّحي. سوف تظهر النتائج قريباً، وأنا متلهّفة لمعرفة ردّهم!

- آه، صحيحٌ أنّكِ نشرتِ رواية ميزوي كاناتا الأكثر مبيعاً! فقد أثارت **شجرة الدُّلْب الورديّة** إعجاب حتى رجلٍ مثلي!

منحتني كلماته الشجاعة. أمسكتُ ببطاقة الولاء خاصّتي، بينما انسحب هو إلى مؤخّرة المتجر.

عاد بعد قليل، وقد بدا عليه الأسف.

- اعذريني، أتمنّى ألّا تكون لديك حاجةٌ ملحّة لهذه العدسات اللاصقة، فقد نفد مخزوننا من المنتجات الواردة من هذه الشركة المصنِّعة. سأقدّم لهم طلباً على الفور وسوف أُبقيكِ على اطّلاع.

تحدّث بنبرةٍ تجاريّةٍ لطيفةٍ جدّاً. لم يكن قد مضى على التحاقه بهذا العمل سوى شهرٍ واحد، إلا أنه أجاد استقبال الزبائن بالفعل. كان العمل مناسباً له تماماً.

كنتُ على وشك أن أغادر، حين أضاف:

- أتمنّى لكِ التوفيق في الوظيفة لدى دار أوتوشا. فمن الرائع أن تعرفي ما الذي تريدين فعله.

- شكراً!

لطالما كان فتىً طيّباً. أمّا اليوم، فقد بدا لي كيرياما الجديد هذا مفعماً بالحماسة والرُّقيّ.

أنا، والآخرون، كنا نتغيّر جميعاً. وكان هذا جيّداً جدّاً.

انتمى قلبي إلى دار أوتوشا بالفعل، بحيث رأيتُ مستقبلي هناك، في إعداد الكتب القيمة...

إلا أنني تلقّيتُ رسالة رفضٍ بالبريد الإلكتروني.

كنتُ مشوّشة الذهن. اعتقدتُ أنني سوف أُجري معهم مقابلة عمل على الأقلّ، لكني فشلتُ في هذه المرحلة حتى دون أن أحظى بفرصة اللقاء بهم!

كنتُ أعتقدُ أنني أحظى بأفضليةٍ لكونهم نشروا رواياتٍ لميزوي.

ولكن في نهاية المطاف، لقد رسبتُ.

اعتبروا منطقيّاً أنّ الرواية الوحيدة التي عملتُ عليها كانت ضربة حظّ، يُضاف إلى ذلك عمري وطفلتي صغيرة السنّ. كما رغبوا في أن يكون المرشح جاهزاً للعمل على الفور. ففي دار نشرٍ بأهمية أوتوشا، لا بدّ أنّ مرشحين ممتازين وذوي إنجازات أهم من إنجازاتي قد تهافتوا على طلب الوظيفة.

كان عليّ أن أخمن ذلك، لو كنت فكّرتُ في الأمر ولو قليلاً.

وفي الوقت الذي أُصبتُ فيه بالإحباط جرّاء هذا الرفض الذي رُمي في وجهي، ، تمت ترقية كيزاوا إلى منصب محرّرة مجلّة **ميلا**، وهو أمر أشبه بالهجوم من الخلف.

أُعلن ذلك خلال الاجتماع الصباحي حيث تحدّثت كيزاوا أمام

جميع الموظّفين بأسلوبها المعتاد الخالي من اللباقة، وهي تمدّ ذقنها إلى الأمام.

ولكنني رأيتُ ذلك. أثناء وابل التصفيق، رأيتُ ابتسامةً مُحرَجة وخاطفة لامرأةٍ شابة. لمعت عيناها المبلّلتان.

تلاشت على الفور الغيرةُ التي كانت قد استحوذت عليّ. كانت كيزاوا قد حاربت بصدقٍ وتفانٍ للوصول إلى هذا المنصب، لقاء جهودٍ جبّارة. كانت سعيدَة حقاً، إذ تَعِي تماماً أنّ هذه الترقية ليست بالأمر التلقائي.

لا شكّ أنّها مرّت بالكثير من المحن وخيبات الأمل. كان عليّ أن أعرف ذلك، وندمتُ على قولي لها، بكثيرٍ من الاستخفاف، إني حسدتها.

توقّفت الدوّامة.

لم يكن بوسعي الالتحاق بالجهة الأخرى اليوم.

كان من الأفضل أن يراقب كلٌّ منّا الأرجاء من موقعه الخاص. أنا من هنا، وهي من هناك.

وإذ لاحظتْ تصفيقي الحماسي، ابتسمت لي كيزاوا ابتسامةً خفيفة.

بعد مرور يومين، احتفلتُ بعيد ميلادي.

كان شوجي قد رتّب أموره لكي يعود باكراً من العمل. كنّا سنذهب نحن الثلاثة مع فوتابا لتناول العشاء في مطعمٍ عائليٍّ.

صُدِم زوجي حينما أخبرته بأنني تقدّمتُ لوظيفةٍ في دار أوتوشا وأنّ الدار رفضت رفضاً قاطعاً توظيفي. ولكنّه صُدِم أيضاً برغبتي في

الاستقالة من مؤسّسة عملتُ فيها فترة طويلة ومن معاناتي حيال نقلهم لي إلى قسم التوثيق.

من جهتي، اسغربتُ أنه لم يفهم مشاعري وموقفي حيال تغيير مجلة **ميلا** لوظيفتي، ولكن ربّما لم أعبّر عن الأمر بوضوح. كنتُ أشتكي، لكن دون أن أوضّح ما الذي يزعجني. فاجأتني كلماته المريحة والمشجّعة.

اتّفقنا على نقطةٍ خلال حديثنا: هو من سيوصل فوتابا إلى دار الحضانة كلّ صباح، خاصة وأنه لا يستطيع إعادتها في المساء. هذه المرّة، أصغى بانتباهٍ إلى تعليماتي بشأن تثبيت الشراشف يوم الاثنين، ودوّن الملاحظات.

- إذا غضبتِ وأنتِ تطلبين منّي أن أساعدكِ وأن أفعل المزيد، فهذا لن ينفع في شيء. أنا بحاجة إلى معلومات ملموسة ومنطقية.

أدركتُ حينئذٍ أنّ هذا منظورُ «العينِ الشمسية». وسوف أحاول من الآن فصاعداً أن أحافظ على توازنها مع «العين القمرية».

سُررتُ. طالبتُه بالقيام بمهام معينة، ولكني علمت الآن أنّه يفكّر في عائلتنا، بطريقته الخاصّة.

وكانت بيننا فوتابا، التي تتفتّحُ تعابير وجهها وتغتني يوماً تلو آخر.

قالت لي بكلمات منقوصة الأحرف:

- عيد مياد سعيد!

كانت فاتنةً حقاً وهي تتمنّى لي عيداً سعيداً هكذا، بعبارات طفوليّة.

لقد بنينا أسرتَنا نحن الثلاثة معاً، خطوة خطوة.

كان عليّ أن أستمتع بهذه اللحظة الثمينة. «مع أخذ مسار حياتي

بعين الاعتبار»، بحسب كلمات كوماتشي. كان فشلي في الانضمام إلى دار أوتوشا يدلّ ربّما على أنّ ابتعادي عن مهنة التحرير هو «مسار حياتي».

ضاق صدري جرّاء هذه الفكرة، فكتمتها بإفراغ كوبي من الشاي.

ذهبتُ لأحضر لنفسي كوباً من الشاي العشبي من ركن المشروبات المجانيّة، ولمّا عدتُ، رجّ هاتفي على الطاولة. كان اتّصالاً من رقم هاتفٍ محمولٍ، يبدأ بالرقم 090.

بعد أن تبادلتُ النظرات مع شوجي، نهضتُ من مكاني وخرجتُ من المطعم لكي أردّ على المكالمة.

- أنا كيرياما، من متاجر زاز.

- أوه!

أطلقتُ تنهيدةَ ارتياحٍ لسماعي هذا الصوت المألوف. كانت النسمة الليلية للصيف رائعة.

- لقد وصلت عدساتكِ اللاصقة. وأعتذِرُ مجدداً عن مدّة الانتظار.

- سوف آتي لآخذها. شكراً لك.

- ما يأخذني إلى السبب الحقيقي لمكالمتي...

- عفواً؟

كان هناك صخبٌ من حوله. لم يبدُ أنّه يتكلّم من المتجر، كما أنه كان يستخدم هاتفه المحمول.

سألني بعد لحظة صمتٍ:

- هل تلقّيت ردّاً من دار أوتوشا؟

- لم أُقبَل.

مكتبة
t.me/soramnqraa

- هذا جيد!

رددتُ عليه:

- ماذا تعني بـ «هذا أفضل»؟

ضحك كيرياما بحرجٍ.

- آه، لا، آسف! تعمل إحدى زميلاتي من الكلّية في قسم التحرير لدى دار القيقب.

دار القيقب. دار النشر المعروفة بالكتب المصورة وكتب الأطفال، والتي نشرت **غيلوب ذو الأقدام الحافية**.

- سوف تترك وظيفتها في الشهر المقبل للالتحاق بزوجها الذي نُقِلَ إلى الخارج، ولذلك تسعى المؤسّسة إلى توظيف بديلٍ لها. وقد سألتني إن كنتُ أعرف شخصاً ذا كفاءة، ففكّرتُ فيكِ.

اهتز قلبي. أصغيتُ إلى صوت كيرياما يتدفّق من هاتفي الذي تشبّثتُ به بكلا يدَي، مشلولةً بالانفعال.

- سوف تناسبكِ دار النشر هذه تماماً. أوتوشا أيضاً كانت مناسبة، ولكن القائمين على دار القيقب مرنون والتواصل الداخليُّ فيها جيّد، كما لديها العديد من المشاريع الجديدة. إذا كان هذا يهمّك، سأتحدّث في الأمر مع زميلتي وسأتكفّل بترتيب لقاءٍ مع الناشر.

- ولكنني في الأربعين من عمري ولديّ طفلة عمرها عامان...

- سوف أنقل هذه المعلومات للقائمين على الدار. وأعتقد أنّ هذا سيصب في صالحكِ نظراً لأنّهم ينشرون كتباً مصورة وكتباً للأطفال. فزميلتي أمٌّ وربّة أسرة هي الأخرى.

كان من المستحيل أن أهدّئ خفقات قلبي، ولكنني ركّزتُ على عيوبي فحسب.

- ليس لديّ أي خبرة في مجال نشر كتب الأطفال. . .

- الأمرُ لا يتعلّق بقسم التحرير الخاصّ بالأطفال، وإنّما بالقسم الأدبي. فدار القيقب تنشر روايات ممتازة أيضاً.

لم يخطر على بالي أيّ عنوان لهذه الدار. ولكن إذا كان هذا صحيحاً، إذاً. . . هل هذا يعني أنني سوف أستطيع أنا أيضاً أن أنشر كتباً من الأدب العامّ؟

- حين كنتِ تعملين على مجلّة **ميلا**، لقد أنجزتِ العديد من المشاريع المتعلّقة بالأمور العاطفية، ولم تكتفي بالعمل على الصفحات الخاصّة بعالم الأزياء، أليس كذلك؟ كنتِ تتولّين المواضيع الإيجابية الهادفة إلى تشجيع القارئات، على سبيل المثال. وأنا واثقٌ من أنّه إذا ما رأت رواية **شجرة الدُّلْب الورديّة** النور، فهذا لأنّك كنتِ المسؤولة عن المشروع، ولذلك سررتُ بمعرفة أنّكِ ترغبين في تحرير الروايات.

عند سماعي هذه الكلمات، شعرتُ بأنه تم إنقاذي. كان هناك في محيطي شخصٌ يراقب عملي ويقرّ بقدراتي.

سألتُ، غير قادرة على إخفاء فرحتي:

- كيرياما، لماذا تفعل كل هذا من أجلي؟

كان سؤالاً مبرّراً. لم نكن صديقين، ولم يكن مديناً لي بشيء، وقد أقمنا علاقة مهنية قصيرة في الماضي فحسب.

أجاب:

- لماذا؟ حسناً، لأنّني حظيتُ بهذه الإمكانية في مسار حياتي. كما أنه يلزمنا المزيد من الكتب القيمة، ألا تعتقدين ذلك؟ أما أنا، فأتمنى ذلك حقاً.

نظرتُ إلى الأرض، حيث ارتجفت قدماي في صندلي.

قال إنّه سوف يعاود الاتّصال بي. وما إن أغلقتُ سمّاعة الهاتف، حتى عدتُ إلى مكاني مترنّحةً، وشربتُ كوبي من الشاي العشبي دفعةً واحدة.

- ماذا يحدث؟

رويتُ كلّ شيء لشوجي، الذي صاح، فرحاً:

- هذا رائع!

نعم، ولكنني كنتُ مشوّشة الذهن. كان هذا خبراً أروع من أن يُصدّق. كنت قد تصالحت مع فكرة عدم حصولي على الوظيفة في دار أوتوشا، فأن أعقد أمالاً جديدة وأن أفشل من جديد سوف يكون أمراً لا يُحتمل.

- هل هذا قابلٌ للتصديق، بحسب رأيك؟ ألا يشكّل منحي هذا المنصب أمراً مبالغاً فيه بعض الشيء؟

- كلا. هو لا يهزأ بك، إنّه يقدّم لكِ هذا العرض لأنّك تصرّفتِ، فهو يتصرّف بدوره.

رفعتُ رأسي، فرأيتُ شوجي يبتسم بلطف.

- هذه ثمرة جهودكِ، ألا ترين ذلك؟

كان محقّاً.

صحيحٌ أنني لم أوظّف في دار أوتوشا، ولكنني لو لم أجرّب حظّي، لما ذكرتُ لكيرياما رغبتي في أن أصبح محرّرة أدبية. كان لتصرّفي نتيجةٌ غير متوقّعة. كانت مفاجأةً جميلة.

ربّت زوجي على رأس فوتابا التي أنهت الآيس كريم خاصّتها.

- سوف نعود إلى البيت أنا وأنتِ.

- ماذا؟

- ناتسومي، أنتِ ستمرّين على المكتبة، أليس كذلك؟ فلا تزال مكتبة المحطّة مفتوحة.

نظرت ابنتي إلى كلينا، حائرةً.

- اتّفقنا، يا فوتابا؟ هل تفضّلين ألا تحقّق أمّكِ ما تُريده وأن تبكي في قلبها؟

عند هذا السؤال، همست فوتابا:

- نا.

حين غادرا، ذهبتُ إلى مكتبة مايشين الواقعة في مبنى المحطّة. بحثتُ عن كتب من منشورات دار القيقب ووجدتُ بعض الكتب المصورة، والقصص، والروايات، فضلاً عن عدد من الكتب الأكثر مبيعاً، كما قال كيرياما.

كنت قد أحببتُ بعضها كثيراً، دون أن أنتبه أبداً إلى اسم الناشر.

- آه، هذا أيضاً! وذاك!

في نهاية المطاف، كنت قد قرأتُ الكثير منها بالفعل.

وأنا غارقة وسط رفوف المكتبة، اخترتُ بعض العناوين التي لم أكن أعرفها والتي أثارت اهتمامي، كما نويتُ أيضاً أن أشتري كتاب **غيلوب ذو الأقدام الحافية**.

وأخيراً، كتاب **بوّابة القمر**.

لكني لم أجد هذا الكتاب الأزرق في أيّ مكان.

واصلتُ البحث وعثرتُ أخيراً على **بوّابة القمر- طبعة جديدة**.

كانت على الغلاف صورةٌ رائعة للقمر تغطّي الصفحة بأكاملها، في تدرّجٍ عموديّ من اللون الأزرق الغامق إلى اللون الأصفر. أمّا الغلاف الداخلي فلم يكن باللون الأسود الحالق مثل السماء الداكنة،

وإنّما باللون الأصفر الكناري. من خلال تصفّح الكتاب، بدا لي النصّ هو نفسه إلى حدٍّ كبيرٍ.

كان إصداراً جديداً، ما دلّ على الإقبال الكبير على الكتاب.

تملّكني حماسٌ شديد. هكذا إذاً، قد تولدُ الكتبُ من جديد أحياناً. من اشترى هذا الكتاب؟ ما الذي استخلصه منه القارئُ؟

آه كم أردتُ أن أصبح محرّرة أدبية!

رغبتُ في أن أقدّم للجمهور هذا النوع من الأعمال التي تمنح رؤية إيجابية عن المستقبل وتعرفنا على مشاعر مجهولة. وحتى وإن كانت **ميلا** مجلّة وليست رواية، كان هذا ما شعرتُ به بالضبط آنذاك.

كان تصميم كتاب **بوّابة القمر**، الذي بدا في النسخة الأصلية يطفو وسط سماءٍ رائعةٍ مرصّعة بالنجوم، قد عُدِّل. فمع الحفاظ على محتواه، بدا الكتاب هذه المرّة مُناراً بالقمر.

في أعلى يمين الصفحات ذات الأرقام الزوجيّة، رُسِمت الأطوار المختلفة للقمر، فيما كانت في الطبعة الأولى موجودةً في أسفل الصفحات. ورغم أنّها كانت الرموز نفسها، إلّا أنّ هذا التغيير في مكانها بدا وكأنّه ينقلُ رسالةً من السماء.

أنا أيضاً، كنت أتطوّر. حتى وإن حاولتُ أن أبقى على ما أنا عليه.

كانت نوايا قلبي غير قابلةٍ للتغيير، ولا جدوى من جهودي لتغييرها...

* * *

«كلّ الآباء والأمّهات الذين يرغبون في أن يؤمن أبناؤهم بسانتا كلوز يحملون في قلوبهم سانتا كلوز حقيقيّاً. لهذا السبب، يشعر الكثير من الأطفال بأنّ سانتا كلوز الراكب زلّاجته ''موجودٌ'' بالفعل».

كنتُ أُعيدُ قراءة هذا الكتاب تحت أشعّة الشمس الشتوية، حين رنّ هاتفي. فتحتُ السمّاعة.

- مرحباً، أحدّثكِ من دار القيقب.

في الصيف الماضي، خلال المقابلة التي رتّبها كيرياما، طرح الناشرُ عليّ سؤالين.

كيف أعددتُ الكتاب مع ميزوي؟ كيف أُردتُ إنتاج الكتب من الآن فصاعداً؟ وقد أصغى الناشرُ باهتمامٍ شديد إلى إجاباتي الشغوفة، وهو يومئ برأسه مرّات عديدة.

كانت رغباتي المتولّدة في مجلّة **ميلا** وأفكاري الجديدة بعد انتقالي قد ساعدتني في حياتي اللاحقة. كما أن التجربة التي اكتسبتها في بانيوشا منحتني كلّ ما يلزم للعمل هنا. كما لو أنّه بات لكلّ ما عشته معنى. امتناني لدار بانيوشا وحقيقة أنني أثبتُ نفسي - أنا التي بذلت جهوداً كثيرة - صقلا الشخص الذي كنت عليه الآن.

ضغطتُ على زرّ وضعيّة الانتظار، جاعلةً محاوري ينتظر.

- إيماي، لديكِ مكالمة من أوريهاشي.

حوّلتُ المكالمة إلى زميلتي الجالسة قبالتي. كانت المكالمة من كاتبة تُدير أعمالها. كانت تجلس بجانبها على كرسيٍّ دائريٍّ ابنتُها ميهو البالغة من العمر سبع سنوات، وتقرأ كتاباً مصوراً، إذ كانت

مدرستها قد أغلقت أبوابها بدءاً من اليوم، من جرّاء انتشار وباء الإنفلونزا.

كانت محرّرة كتب الأطفال تُدعى كيشيكاوا. لمّا رأت ميهو، انحنت عليها وسألتها بلطف:

- ما رأيكِ؟ هل أعجبكِ؟

كان الكتاب عبارة عن الجزء الثاني من سلسلة صادرة عن منشورات القيقب، وهي قصّة أقزامٍ يتسلّلون إلى حفرٍ.

أجابت ميهو، وهي مفعمة بالحماسة:

- نعم، إنه مضحكٌ! أحببت البقعة البنية على ظهر الكلب، فهي تشبه شريحةَ اللحم!

- آه، حقّاً؟ لم أرَ ذلك من هذه الزاوية!

ابتسمت موظّفة مارّة من هناك حين رأت الطفلة.

يُعد الأطفال هنا قراءً، ويحظون باحترامٍ كبير. فكان يُسمح للموظفين والموظّفات المجيء إلى العمل مع أطفالهم. وإذا قامت موظّفة بزيارة زملائها مع طفلها الرضيع خلال إجازة الأمومة خاصّتها، فيجتمع الجميع حولهما، ويأخذُ ربّ العمل الرضيع بين ذراعيه. وقد أدهشني ذلك في البداية.

أحضرت لي كيشيكاوا ورقتين مصوّرتين ملوّنتين.

- هل يمكنكِ أن تسألي فوتابا عن رسمتها المفضّلة؟

كان هذا رسماً أولياً لمشروع كتابٍ مصوّر جديد للأطفال.

- نعم، بكلّ سرور.

- شكراً لمساعدتكِ، مرّة أخرى!

حتى الآن، لقد نُظرَ إلى الأمومة في تمسيرتي المهنية على أنّها عقبة في العمل. أما هنا، وعلى عكس ذلك تماماً، كانت الأمومة

مقبولة، بل مرحّب بها، فأراحني أن تكون أمومتي مفيدة، ومدّني ذلك بقويّة جديدة.

كان تغيير بيئة عملي قد أتى ثماره وجعلني أشعر بنفسي في مكاني. وكذلك الأمر على الكرة الأرضية، حيث يُتيحُ لنا تغيير البلد أو فصل السنة إدراك الأمر نفسه بطريقة معاكسة.

لدى مغادرة كيشيكاوا، عدتُ إلى كتابي من جديد.

«سانتا كلوز الذي يتحدّث عنه الوالدان ليس كذبة على الإطلاق، بل حقيقة أكبر حتى. هكذا تَقْبَل «العين الشمسيّة» و«العين القمريّة» العالمَ من خلال التعاون، دون أن تتجاهل إحداهما الأخرى».

كنتُ قد حفظت هذا الاقتباس من الطبعة الجديدة لكتاب **بوّابة القمر** عن ظهر قلب.

كنتُ قد سطرتُه، لكي أحفره في داخلي.

لدى دخولي إلى دار القيقب، أدركتُ أمراً مهمّاً.

حين نكتب أو نقرأ روايةً ما، فنحن نرى من خلال «العين القمريّة».

وحين نصمّمها ونقدّمها للجمهور، نحن نرى من خلال «العين الشمسيّة».

كلا العينان ضروريتان ولا يمكن الاستغناء عن أيٍّ منهما. يجب أن نفتحهما على وسعهما، فهما تتعاونان، دون أن تتجاهل إحداهما الأخرى.

أغلقتُ الكتاب، ثمّ وضعته على طاولة مكتبي.

أمسكتُ بكتابٍ آخر، رقيقٍ جدّاً. كان مقتطفاً من رواية اكتشفتها الشهر الماضي.

«تمّ الأمر، لقد وجدتها!»، قلتُ في نفسي. أردتُ من كلّ بدّ أن أعمل مع هذا الكاتب، وقد تواصلتُ مع كلّ شبكة علاقاتي لكي أحصل على عنوان بريده الإلكتروني.

أخذت نفساً عميقاً وجلستُ أمام حاسوبي.

«في المستقبل، أُريدُ أن أفتح باباً جديداً معكَ أنتَ».

كتبتُ رسالتي ببطءٍ وهدوء، مشربةً بهذه النيّة.

الأرض تدور.

مضاءة بالشمس، ومعجبة بالقمر.

سوف أتطوّر، راسخةَ القدمين في الأرض، ورافعةَ العينين نحو السماء.

في سبيل نقل **حقيقةٍ** أعظم إلى القارئ من الجانب الآخر للصفحة.

الفصل الرابع

هيرويا، 30 عاماً،
عاطل عن العمل

حينما كنتُ تلميذاً في المدرسة الابتدائية، كانوا دائماً ما يلعبون معي ويعلّمونني أشياءَ كثيرة. أحياناً، لم يكونوا بشراً ولم يكونوا من سكان الكرة الأرضية. كنّا في ماضٍ سحيقٍ أو مستقبلٍ بعيدٍ، أو حتى في بعدٍ آخر.

شعرتُ بنفسي أقرب إلى هؤلاء الأصدقاء العديدين من زملائي في المدرسة. لم يشيخوا، وظلّوا جميلين، ومرحين، وشجعان، وطيّبين إلى الأبد. كانت لديهم قوّة غامضة، وكانوا يقاتلون الشرّ ببسالة، ويسحرون أجملَ فتاةٍ في المدرسة، وفي كلّ مرّة التقيتهم، أصغوا إليّ.

لماذا إذاً؟ لماذا يمرّ الزمن فقط بالنسبة إليّ؟ في الثلاثين من عمري، أصبحتُ الآن أكبر سنّاً من أولئك الذين كانوا يكبرونني سنّاً طيلة حياتي. وذلك دون أن أصبح شيئاً.

قالت أمّي وهي تُخرج الخضروات من حقيبة التسوّق خاصّتها وتضعها على الطاولة:

- فجلهم الأبيض ضخمٌ! فجلٌ أبيض ضخمٌ من شبه جزيرة ميورا. نحن في شهر فبراير، في ذروة موسم الفجل. إنّه جميلٌ حقاً!

كانت قد اشترت بعض البطاطس، والجزر، والتفّاح. وكانت كلٌّ حبّة منها أكبر من الأخرى.

- أردتُ أن أشتري حبّة فجلٍ، ولكن حقيبتي أصبحت ثقيلةً جدّاً. فلم يكن بإمكاني جلب أيّ شيءٍ آخر.

أخرجت من الحقيبة قطعةً من الكرنب الصيني.

- وماذا لو عدتُ إلى السوق؟ لا، سوف أخجلُ من فعل ذلك، وعلاوة على ذلك، يجب أن أذهب إلى العمل.

بدت أمّي وكأنّها تتحدّث مع نفسها، ولكنني كنتُ أعلم أنّها تتحدّثُ إليّ، وأنا جالسٌ على الأريكة أشاهد التلفزيون.

كانت قد أخبرتني أنّ هناك مركزاً اجتماعيّاً يتبع للمدرسة الابتدائية المجاورة. لم أكن قد ذهبتُ إليه أبداً منذ انتقالنا إلى هذه الشقّة، في فترة التحاقي بالمدرسة الإعدادية.

من بين مجموعةٍ من الدورات التدريبيّة والمؤتمرات المتاحة، كانت أمّي ترتاد من وقتٍ لآخر ورشةً لفنون **إيكيبانا** لتنسيق الزهور.

واليوم، مثل كلّ ثلاثة أشهر، أُقيم «سوق المركز الاجتماعي»، حيث يرسلُ منتجون الفاكهة والخضروات إلى المؤسّسة التي تتكفّل ببيعها.

- ألا تُريدُ أن تذهب إلى السوق بدلاً منّي، يا هيرويا؟

- بلى...

وجّهتُ جهاز التحكّم نحو التلفاز لإطفائه. بعد ظهيرة يوم الجمعة هذا، لم أكن قد خطّطت للقيام بشيءٍ. وعلى أيّة حال، لم أكن أشاهد برامج التسلية التي لا تنفكّ تكرّر نفس الموضوعات.

قالت، وقد ضيقت عينيها:

- شكراً لك!

شعرتُ بالذنب لكوني عاطلاً عن العمل ومتكاسلاً في البيت، وأنا في هذه السنّ. كان بإمكاني أن أشتري لها الفجل على الأُقلّ، حتى وإن علمتُ أنّها تتذرّع بذلك لكي تدفعني إلى الخروج من البيت.

حين نهضتُ، ناولتني سريعاً حقيبة التسوّق المطويّة.

- اجلِبْ لي حبةَ فجلٍ وبعض القلقاس. وبعض الموز أيضاً!

طالت قائمة طلباتها...

دسستُ الحقيبة المزهّرة ومحفظة النقود في جيبَيّ، وتوجّهتُ نحو الباب.

لدى وصولي إلى المدرسة الابتدائية، وجدتُ البوّابة مغلقة. بدا لي أنّ ثمة مدخلاً آخر إلى المركز الاجتماعي. من خلال تتبّعي اللوحات الإرشاديّة، التففتُ حول المدرسة ووصلتُ إلى مبنى أبيضَ.

دفعتُ الباب الزجاجي: وصلتُ إلى مكتب الاستقبال. خلف الطاولة، كانت هناك غرفة، خرج منها رجلٌ له شعرٌ أبيض رائعٌ.

- مرحباً! سجّل هنا اسمكَ وسبب مجيئكَ. وكذلك التوقيت.

على المنضدة الضيّقة، كانت ورقة تحمل عنوان «جدول الدخول» مثبّتة بدبّوسٍ على لوحةٍ صغيرة. كان العديد من الأشخاص قد سبقوني في التوقيع على الجدول، ومن بينهم أمي، وكان معظمهم قد كتبوا كلمة «سوق»، فكتبتُ الشيء نفسه. سجّلتُ اسمي: هيرويا سودا.

لم تكن الصالة كبيرة جدّاً، لكن البيع كان يجري على طاولات تم جمعها لهذه المناسبة. فاكهة، خضراوات، خبز. كان عدد الزبائن قليلاً. التقطتُ بشيءٍ من العشوائية الخضراوات والفاكهة التي طلبتها أمّي.

في إحدى الزوايا، كانت سيّدتان تثرثران، ترتدي إحداهما سترة تحمل اسم تعاونيّة زراعية، وتلفّ الأخرى منديلاً أحمر حول رأسها. وحملت لوحةٌ بيضاء كلمة «الصندوق»، فذهبتُ إليه حاملاً الفجل والقلقاس والموز.

بعد أن وضعتُ مشترياتي بصخبٍ، كنتُ أُخرج محفظتي من جيبي حين صرختُ:

- مونغر!

نظرت إليّ السيّدتان.

كانت لعبة قماشية بارتفاع خمسة سنتيمترات موضوعةً بجانب صحنٍ ورقيٍّ، مع عبارة «صباح الخير!» مكتوبة بخط اليد.

كان مونغر شخصيّةً لمانغا بعنوان **21 إيمون** من تأليف فوجيكو فوجيو[1]. كان له جسمٌ مكتنزٌ ولولبٌ صغيرٌ في قمّة رأسه المدبب مثل حبّة الكستناء.

قالت السيّدة ذات المنديل، وأنا أمدُّ أمدّ يدي نحو اللعبة القماشية:

- أعتذِر، هذه ليست للبيع. لقد صنعتها سايوري بالتلبيد بالإبرة. لقد أهدتني إياها عندما ذهبتُ لأستعير كتاباً من المكتبة.

---

(1) مانغا هو اللفظ الذي يطلقه اليابانيون على القصص المصوّرة، وفوجيكو فوجيو هو اسم مُشترَك لثنائي من كُتّاب المانغا - المترجم.

- سايوري؟

- سايوري كوماتشي، أمينة المكتبة.

لقد شكّل **دورايمون** العمل الأشهر لفوجيكو فوجيو. لكن من بين عدد من المانغا الشهيرة، لم يحظى كتاب **21 إيمون** بالكثير من الاهتمام. في هذا الكتاب من الخيال العلمي، نتابع إيمون، الشخصية الرئيسية والوارث للفندق العائلي الذي يعاني من مشاكل ماليّة. وبحسب رأيي، كان هذا أفضل مانغا لفوجيكو فوجيو.

وإذ شعرتُ بالإعجاب، أردتُ أن أعرف أيّ نوعٍ من النساء تكون سايوري كوماتشي هذه. لم يكن هناك داعٍ للتحدث إليها، بل أردتُ أن أرى وجهها فحسب.

جمعتُ مشترياتي - عدا الفجل، الذي كان كبيراً جدّاً ولا تسعه الحقيبة، فدسسته تحت إبطي - ثمّ توجّهتُ نحو المكتبة، متّبعاً توجيهات السيّدة.

وجدتُها في الحال، في نهاية الرواق.

من عتبة الباب، لمحتُ عند مكتب الاستقبال فتاةً شعرها مربوطٌ إلى الخلف على شكل ذيل حصان. كانت تنقر على أزرار الحاسوب وتدخل الرموز الشريطية لكومةٍ من الكتب، برقةٍ وعنايةٍ.

إنها هي!

كانت سايوري أصغر سنّاً ممّا تخيّلتها. كان عمرها أقلّ من عشرين سنة.

بقوامها الصغير وعينيها المدوّرتين والسوداوين، بدت وكأنّها سنجابٌ. بدت لطيفة للغاية، كما بدا اسمها مناسباً لها تماماً، بحيث افتتنتُ بها.

تردّدتُ في التقدّم نحوها. ولكن كانت هذه مكتبةً عامّة، ما يعني أن الدخول إليها يُفترض أن يكون حرّاً ومجانيّاً...

انحنيتُ بحذرٍ، حين نظرت إليّ سايوري. انشلّت ساقاي من الدهشة في الحال.

حيّتني بنبرة دافئة:

- مرحباً!

أجبتها، فاقداً كلّ رباطة جأشٍ:

- أوه... مرحباً!

ثمّ دخلتُ.

في الداخل، بدا وكأن الزمن قد توقف، على عكس مكتبة بيع الكتب، حيث نجد الإصدارات الجديدة. كانت الصالة أصغر من صالة المكتبة العامّة للحي. استولى عليّ الحنين إلى أن أكون محاطاً برفوف الكتب.

تفحّصتُ المكان، ثم استجمعتُ شجاعتي، واقتربتُ من سايوري.

- أوه، هل لديكم كتب المانغا؟

قالت، والابتسامة على شفتيها:

- نعم، لدينا بعضٌ منها.

لم أكن قد تحدّثتُ إلى فتاةٍ منذ دهرٍ من الزمن. كانت سايوري لطيفة جدّاً، بحيث تجرّأتُ على مواصلة الحديث.

- هل تحبّين قصّة **21 إيمون**؟

- **21 إيمون**؟

- لفوجيكو فوجيو.

ضحكت، مُحرَجةً، وقالت:

- أنا أعرف **دورايمون**، هذا كلّ شيء...

متفاجئاً وحزيناً بردّة فعلها العاديّة هذه، أجبتُ بلهفةٍ:

- ولكنّ سيّدة تعمل في السوق أكّدت لي أنّكِ أهديتِها لعبة مونغر قماشية من صنع بيديكِ!

- آه! السيّدة موروي متعلقة بها كثيراً. السيّدة كوماتشي، أمينة المكتبة، هي منْ صنعتها. سوف تجدها في آخر الصالة، في ركن الاستشارات. أظنُّ أنّها ستستطيع أن تعرض عليك المانغا أيضاً.

استعدتُ الأمل. كانت هناك امرأةٌ أخرى إذاً! كانت الفتاة ذات الشعر المربوط على شكل ذيل الحصان والمتوارية خلف كومةٍ من الكتبِ، تحمل حول رقبتها شارة باسم «نوزومي مورياغا».

توجهتُ، واثقاً، نحو ركن الاستشارات وراء ستارٍ يُستخدمُ أيضاً كلوحةٍ للإعلانات.

ألقيتُ نظرةً واحدة خلف الستار وكاد قلبي يقفز من صدري.

كبتُّ صرخة فزعٍ، وعدتُ على أعقابي على الفور.

كانت الفتاة سايوري كوماتشي غائبة، وجلست ماكنها امرأة عملاقة ذات وجهٍ مخيفٍ، غائصةً في كرسيّ مكتبها.

عدتُ إلى مكتب الاستقبال.

- لقد رأيتُ شخصاً يشبه جينما ساوتومي على شكل باندا...

- مَنْ يكون هذا؟

- إنّه شخصية في مانغا **رانما 2/ 1**[1]. لدى ملامسته الماء الباردة، يتحوّل جينما إلى باندا...

---

(1) **رانما 2/ 1**: **ينبوع الأحلام** بالعربية، هو سلسلة مانغا يابانية من كتابة وتأليف روميكو تاكاهاشي - المترجم.

- كائنٌ بشريٌّ يتحوّل إلى باندا؟ أوه، هذا جميلٌ جداً!

كلا، كان ذلك الباندا ضخماً جدّاً، فظّاً ومخيفاً. ولكي أوفّر على نفسي المزيد من التوضيحات، سألتها:

- تلك الامرأة هناك هي السيّدة كوماتشي؟ السيّدة التي صنعت اللعبة القماشية؟

- نعم. إنّها بارعة جداً في الأعمال اليدوية!

آه...

وقعتُ في حيرةٍ لأنّني تصوّرتها شابّة، ولكن فكرة أن يستطيع جينما ساوتومي صنعَ لعبة مونغر قماشية ولّدت في داخلي اهتماماً مختلفاً تماماً. فعلى الرغم من المظاهر، قد تكون لدينا مادّةٌ للمناقشة.

- يمكنك أن تترك لي مشترياتك، إذا شئت.

مدّت نوزومي يدها. تأثّرتُ بابتسامتها، فأودعتُ لديها حقيبة مشترياتي وحبة الفجل.

عدتُ بعد ذلك إلى ركن الاستشارات. ولدى التدقيق فيها أكثر، لاحظتُ أنّ السيّدة تحمل شارة باسم سايوري كوماتشي. كانت تحرّك يدها، مركِّزة على مهمّتها. اقتربتُ منها ورأيتها تصنعُ لعبة صغيرة. كانت تغرز دون توقّفٍ إبرةً رفيعةً في كُريّةٍ من الصوف مدوّرة تماماً، ويداها على قطعةٍ مربّعة من القماش الإسفنجيّ. هل تُصنَعُ هذه على هذا النحو حقّاً؟

أوقفت حركتها ورفعت رأسها. أُصبتُ بالذهول حين التقت نظرتي بنظرتها.

- عمَّ تبحث؟

لقد تكلّمتْ.

لم يكن هناك من شيء خارق في هذا الأمر، ولكن بما أنّ جينما ساوتومي كان يظلّ صامتاً حالما يتحوّل إلى باندا، لم أتوقّع ذلك.

عمَّ كنتُ أبحثُ؟ وأنا أُسألُ بهذا الصوت الرزين والعميق، زعزعني الجواب الذي خطر على بالي. وإذ أُخذت على حين غِرَّةٍ، اغرورقت عيناي بالدموع.

ما كنتُ أبحثُ عنه... نعم، كنتُ أعرف ما الذي أبحثُ عنه.

«تبّاً لي، لماذا أبكي؟»، قلتُ في نفسي وأنا أمسحُ خدّي.

ودون أن تبدي أيّ ردّة فعلٍ، خفضت كوماتشي عينيها نحو يديها واستأنفت إعمال الإبرة.

- روميكو تاكاهاشي موهوبة، أليس كذلك؟

- ماذا؟

كانت هذه رسّامةَ مانغا **رانما 1/2**. اعتقدتُ أنني قلتُ ذلك همساً، لكن من الواضح أنّها سمعتني. ولا بدّ أنها استاءت من لقب «جينما ساوتومي».

- أنا أحبّ مسلسل **أوروسي ياتسورا**، و**منزل إكوكو** كذلك. ولكن مسلسلي المفضّل هو **ملحمة حورية البحر**.

- أنا أيضاً! أنا أيضاً!

تحدّثنا عن قصص المانغا المفضّلة لدينا لبعض الوقت. **غرفة الصف المنجرفة** لكازو أوميزو، و**ماستر كيتون** لناوكي أوراساوا، و**إمبراطور أرض الشمس المشرقة** لريوكو ياماجيشي... وأخرى.

كانت كوماتشي تعرف كلّ عنوان ذكرتُه. لم تكن ثرثارة، إلا أن

ملاحظاتها كانت دائماً في محلها، في حين ظلّت أصابعها مشغولة بالإبرة. كنتُ في قمة السرور.

فتحت علبة برتقالية اللون كانت في متناول يدها. الجميع يعرف الشكل السداسي والأزهار البيضاء لكعك هاني دوم من مصنع كوريميادو للبسكويت. كان هذا الكعك الطريّ هديّةً شائعة في الاجتماعات العائليّة. أذكر أنّه فيما مضى، كانت جدّتي تقول فيه كلاماً طيّباً، لكثرة ما كان لذيذاً وسهل التناول.

تخيّلتُ أنّني سأتلقّى قطعةً من هذا الكعك، لكنّ كوماتشي كانت تستخدم العلبة لتضع فيها عدّة الخياطة خاصّتها. غرزت الإبرة في مَدْبَسةٍ، وأغلقت غطاء العلبة، ثمّ نظرت إليّ.

- رغم أنّك ما زلت شاباً، إلا أنّك تعرف الكثير عن المانغا القديمة!

- كان خالي يُدير مقهى لقراءة المانغا، قضيتُ فيه الكثير من الوقت عندما كنتُ تلميذاً في المدرسة الابتدائية.

لا علاقة لذلك المكان بمقاهي الإنترنت التي نعرفها اليوم. فكما يدلّ اسمُه، كان هذا المقهى يضع كتب المانغا في متناول روّاده. وكانت هناك آنذاك مقاهٍ أخرى لقراءة المانغا. لم تكون لديها مقصورات خاصّة، بل كان الزبون يتناول مشروباً على طاولته ويقرأ قدر ما يشاء من الكتب.

بدأت أمّي بالعمل عندما كنتُ في السابعة من عمري. فكنت أذهب بعد المدرسة إلى مقهى كيتامي للمانغا الذي يديره شقيقُها وزوجته، وكان الذهاب يستغرق عشرين دقيقة على دراجتي الهوائية. لم أكن أدفع شيئاً (رغم أنني أعتقد أنّ أمّي دفعت لهما فيما بعد)، وكانا يقدّمان لي عصير الفاكهة ويدعاني حرّاً في ممارسة اهتماماتي.

فكنتُ أقضي كلّ وقتي هناك إلى أن تعود أمّي، مستغرقاً في قراءة قصص المانغا التي تملأ الرفوف.

وهناك التقيتُ بهم. «أصدقائي» الخارجون من قصص المانغا.

كنتُ أُعيدُ رسم الرسوم، وبدأتُ شيئاً فشيئاً أعشقُ هذه الهواية. ولذلك دخلتُ إلى مدرسةٍ للفنون بعد حصولي على الشهادة الثانوية.

ولكنني لم أعثر على عملٍ بعد التخرّج. لم توظّفني أي وكالة كمصمِّم للرسومات، وهي مهنة أحلامي، ولم أعرف كيف أختارُ مؤسّسة في قطاعٍ آخر. كنتُ أرسمُ قليلاً، لكن بما أنه لم تكن لديّ كفاءات أخرى، إذا كان من غير الممكن جعل تصميم الرسومات مهنتي، فقد بدت أيّ مهنة أخرى بعيدة المنال تماماً.

انتهت رحلة بحثي عن وظيفةٍ على نحوٍ سيّئ، وتلتها سلسلةٌ من الأعمال الصغيرة قصيرة المدى، وكنتُ اليوم عاطلاً عن العمل.

- إنّ رسّامي المانغا أقوياء حقاً. لقد التحقتُ بمدرسة متخصّصة لأنني شغوفٌ بالرسم، ولكنني أدركتُ أنّ العمل في هذا الوسط غير ممكن بالنسبة إليّ.

كان هذا التبرير ضعيفاً جدّاً لتفسير عدم نشاطي. أمالت كوماتشي رأسها وطقطقت رقبتها.

- لماذا تعتقد ذلك؟

- لأنّ حفنة من الأشخاص فقط ي يعيشون من هذه المهنة. ولا يقتصر هذا على الرسم فحسب، بل أراهن أنّ أقلّ من شخصٍ من أصلِ مئة شخصٍ يعيش من المهنة التي يحبّها.

أدارت رأسها، وسبّابتها مرفوعة.

- تمرينٌ خفيفٌ في الرياضيات.

- ماذا؟

- شخصٌ من أصل مئة، هذا واحد في المئة.

- نعم.

- ولكن بما أنّ المرء يُمارسُ مهنة أحلامه بنفسه، فهذا واحدٌ من أصل واحدٍ، وبالتالي، مئة في المئة.

- ماذا؟

- احتمالية نجاحك هي مئة في المئة.

- أوه...

كانت حساباتها هراءً فحسب. وإذ حافظتْ على تعابيرها الرتيبة، لم يبدُ عليها أنّها تمزح.

- حسناً!

عدلت كوماتشي جلستها واستدارت نحو حاسوبها.

وفجأةً، شرعت بالنقر على لوحة أزرارها بأقصى سرعة. تكتكتككتكتكت! ولمّا رأيتها تفعل ذلك، قلتُ على الفور:

- هل أنتِ كينشيرو[1] أم ماذا؟

ذكّرني نقرها بهجوم القبضات المئة في مانغا **قبضة نجم الشمال**، وهي قوّة فائقة تُتيحُ لكينشيرو أن يضرب بسرعة هائلة نقاط الضغط عند أعدائه. التزمت كوماتشي الصمت إلى أن انتهت من عملها، ثمّ ناولتني صفحةً مطبوعة، ثم غمغمت بنبرة متوعّدة:

- أنت لا تعرف ذلك بعد، ولكنّك على قيد الحياة.

جعلتني جدّيتها الظاهرة أشعر بالخوف بعض الشيء. ولكنني كنتُ أعلم أنّها تحاكي التعليق المفضّل لدى كينشيرو: «أنت لا تعرف ذلك بعد، ولكنّك ميّت».

---

(1) كينشيرو: الشخصية الرئيسية من سلسلة المانغا اليابانية **قبضة نجم الشمال** التي تُرجِمَت إلى العربية تحت عنوان **سيف النار** - المترجم.

كانت الورقة المطبوعة تحتوي على سطرٍ واحدٍ فقط مع عنوان كتابٍ، واسم مؤلفه، ورقم الرفّ.

التطوّر: النظريّة بالصور.

- ما هذه المانغا؟

- ليست لديّ أي مانغا أنصحكَ بها، إذ لا واحدة منها تفوق الكنوز التي قرأتَها في طفولتكَ.

فتحت درجاً في طاولة مكتبها، وأخرجت شيئاً من الدرج الرابع ووضعته في يدي. كان شيئاً ناعماً جدّاً، هل يمكن أن يكون مونغر؟

كنتُ أتمنى ذلك، ولكن لا. كان مجسّم طائرة صغيرة جدّاً رماديّة اللون، جناحاها باللون الأبيض ولها ذيلٌ جميلٌ أخضر اللون.

- تفضّل، هذه هديّة إضافية صغيرة مع الكتاب. إنّها لك.

تحدّثت دون أن تبدي أدنى عاطفة. وقفتُ حائراً، ولكنها فتحت علبة الهاني دوم. وإذ بدا عليها العبوس، استأنفت صنع اللعبة القماشية. أدركتُ من مزاجها أنّها إذا كانت قد أصغت إليّ قبل قليل، فإنّ الستارة المعدنية قد أُسدِلَت الآن.

انصرفتُ مرغَماً، ممسكاً بورقتي المطبوعة، وذهبتُ أبحثُ بين رفوف الكتب. وجدتُ الكتاب على أحد رفوف كتب العلوم الطبيعية، قريباً جدّاً من ركن الاستشارات. كان ضخماً وثقيلاً مثل موسوعةٍ.

على غلافٍ أسود بالكامل، رُسِمت صورة طائرٍ فضّي الريش. كان الرسم تكبيراً لصورة جانبية للطائر. بدا منقاره، المعقوف برأسٍ حادّ، صلباً، وعلت رموشٌ سميكة عينه الواسعة. لم أعرف جنس الطير، إلا أن رأسه استحضر الوجه المهيب لعارضة أزياء قادمة من

بلادٍ بعيدة. ذكّرني بـ **فينيكس، طائر النار**، وهو مانغا لأوسامو تيزوكا.

كان العنوان مكتوباً بأحرف بيضاء، مع عنوانٍ فرعي: **العالم بعيون داروين وأقرانه**. «أقرانه»؟

قرفصتُ في المكان وفتحتُ الكتاب. كان ثقيلاً جداً، بحيث لم أستطع أن أقرأه وأنا واقفٌ.

كان النصف الأوّل منه يضمّ نصوصاً طويلة، بينما يتكوّن النصف الآخر من ألبومٍ رائعٍ للصور. صورٌ لطيورٍ، وزواحف، ونباتاتٍ، وحشراتٍ... كانت كلّ صورةٍ، بتركيبتها الرائعة وألوانها المشرقة، تشكّل تحفةً فنّية بحد ذاتها. كما علقت أحياناً على الصور جملةٌ أو فقرةٌ.

لماذا نصحتني كوماتشي بهذا الكتاب؟ كان هذا لغزاً، ولكنّ الصور كانت رائعة حقاً: ملوّنة، ومقلقة، وغريبة، وقد سحرتني. بدت وكأنها من عالمٍ خياليٍّ حتى وإن كانت الكائنات المصورة موجودة في الواقع.

مرّت نازومي بالقرب منّي لكي ترتّب بعض الكتب.

- هل ترغب في الحصول على بطاقة قارئ؟ يمكنك أن تستعير الكتب إذا كنت من سكّان الحي.

- أوه، كلّا... الكتابُ ثقيلٌ جدّاً. وخاصّة اليوم، حيثُ أحمل حبة الفجل والمشتريات الأخرى.

انبثق خلفي صوتُ كوماتشي التي سمعت اعتراضي.

- وماذا لو قرأته هنا؟

استدرتُ نحوها، فرأيتُها تنظرُ إليّ.

- سوف أضعه جانباً مع ملصقٍ صغيرٍ للإشارة إلى أنّه مُعارٌ، ويمكنك أن تأتي لقراءته وقتما تشاء.

ظللتُ مقرفصاً في مكاني، أحدقُ في كوماتشي. لم أكن قادراً على التفوه بكلمة واحدة، وكنت على وشك البكاء من جديد.

اجتاحتني فرحةٌ وراحةٌ لا توصفان. كان لدي الحقّ في أن أكون هنا.

قالت وهي تنفجر ضاحكة:

- سوف تستغرق قراءة الكتاب بعض الوقت!

أومأتُ برأسي، مُبدياً الطاعة.

في اليوم التالي، يوم السبت، ركبتُ القطار، وهو أمر لم أقم به منذ زمنٍ طويلٍ.

ذهبتُ لحضور اجتماع الطلّاب القدامى الذين درسوا معي في العام الدراسيّ الأخير من المرحلة الثانوية. لم أكن أحضر هكذا مناسبات عادةً، ولكن كان لديّ سببٌ وجيهٌ للذهاب إلى الاجتماع هذه المرّة.

يوم تسليم الشهادات المدرسية، كنّا قد دفنّا كبسولة زمنية في زاويةٍ من باحة المدرسة الثانوية. على قطعة من الورق بحجم بطاقةٍ بريديّة، كتبَ كلٌّ منّا أمنيته. وكان علينا أن نفتح الكبسولة أثناء اجتماعٍ، عند بلوغنا سن الثلاثين.

«في حال التغيب، سوف يرسِل إليك المنظّمُ رسالتكَ في غضون بضعة أيام»، كنتُ قد قرأتُ على بطاقة الدعوة. سرت قشعريرةٌ في عمودي الفقري. كان عليّ أن أدسّ رسالتي في ظرفٍ مختومٍ.

والحال أنّنا، بحسب ما أتذكّر، ثنينا ببساطة الورقة على شكلٍ مربّع وكتبنا اسمنا على الجزء الخارجي منها.

كان لا بدّ من أن أستعيد رسالتي دون أن يقرأها أحد.

كان من المقرّر أن نتناول العشاء معاً في المطعم بعد فتح الكبسولة، لكني كنتُ قد ذكرتُ أنني لن أحضر العشاء.

في سنّ الثامنة عشرة، تصوّرنا أنّنا سوف ننجز أشياءَ عظيمة في سنّ الثلاثين. وأننا سنكون قد حلينا كلّ مشاكلنا.

في المدرسة الثانوية، كنتُ سعيداً لأنني سألتحق بمدرسةٍ للفنون، وسأقضي وقتي في الرسم، دون أن يكون هناك أيّ دروس لا في الرياضيات ولا في الرياضة، وهما مادّتان كان مستواي ضعيفاً فيهما. وكنتُ أوهم نفسي بأنّ مسيرةً طويلة ومثمرة من الرسم تنتظرني.

«سوف أصبح رسّاماً يُخلَّدُ اسمه في التاريخ».

تلك كانت رسالتي. أحبطتني هذه الذكرى.

حين كتبتُها، لم أكن أعدُّ نفسي موهوباً ولم آخذْ نفسي على محمل الجدّ. بل كان ذلك تحت تأثير حماسة الشباب، واندفاع اللحظة. كنتُ أتمنّى أن أحصل على عملٍ في بيئةٍ تسمح لي بأن أرسم، وليس لكي يخلّدني التاريخ.

لم أكن قد اجتزتُ بوابّة المدرسة الثانوية منذ حصولي على شهادتي قبل اثنتي عشرة سنة.

كان حشدٌ من الناس قد تجمّع تحت شجرة زانٍ يابانية ضخمة، في إحدى زوايا الباحة. وعند جذع الشجرة، وُضعت لوحةٌ إعلانية بلاستيكية، تشبه شاهد القبر، كُتب عليها: «اجتماع المدرسة الثانوية - الكبسولة الزمنية».

كان سيغومورا، منظّم الاجتماع وعميد القسم السابق، يمسكُ بيده مجرفة ضخمة، ويرتدي قميصاً أنيقاً تحت سترةٍ فاخرة.

حين اقتربتُ، رفع بعض الحاضرين وجوههم، وحيّوني بإيماءة من الرأس أو اليد. لا شيء أكثر من ذلك. ثم استعاد الجميع حديثهم مع جيرانهم. ربّما لم يتذكّروني.

كنتُ أنتظرُ تحت الشجرة، حينما نودي باسمي.

- هيرويا!

استدرتُ نحو رجلٍ نحيلٍ وقصير القامة. كان سيتارو. لم نكن صديقين، ولكن رغم شخصيتي قليلة الكلام، كنتُ أستطيعُ التحدّث إليه. كان هادئاً، أنفه في الكتب دائما، ولم يكن من النوع الذي يبادر إلى التواصل مع الآخرين. تبادلنا بعض بطاقات المعايدة بعد الانتهاء من المرحلة الثانوية، وبهذه الطريقة، علمتُ أنّه وجد عملاً في مصلحة المياه بعد التخرّج من الكليّة.

ابتسم لي بمودّة.

- تبدو في حالة جيّدة!

- وأنت أيضاً!

طأطأتُ رأسي. لم أرغب في أن يسألني عمّا أصبحتُ عليه.

انضمّ رجلان إلينا. يُدعى أحدهما نيشينو، والآخر، لا أتذكّر اسمه. كان الصبيّ الأكثر مشاكسة في الصفّ. لم نتحدّث مع بعضنا أبداً.

- إيه، هذا سيتارو!

تقدّم نيشينو نحونا وعلى شفتيه ابتسامةٌ مصطنعة. ألقى عليّ نظرة خاطفة، وبدا من الواضح أنّه لا ينوي إلقاء التحيّة عليّ. فأدرتُ رأسي.

صاح سوغيمورا:

- يبدو أنّ الجميع هنا، ولذلك سوف نبدأ!

تجمّعنا حوله.

راقبناه يرفع التراب ونحن نحبس أنفاسنا، إلى أن سمعنا صوت رنين معدنٍ. لقد لمس طرف المجرفة العلبة إذاً.

بيده الملبّسة بقفازٍ، أزال سوغيمورا عنها التراب. لمحتُ شيئاً بصبغةٍ فضّية دون لمعانٍ في كيسٍ بلاستيكي. تصاعدت الصرخات حالما خرج الكيس من بين التراب.

أخرج من الكيس علبةً للحلوى مختومة بشريطٍ لاصقٍ عريضٍ. خلال اثنتي عشرة سنة، كانت رسائلنا مدفونة تحت الأرض.

نزع الشريط اللاصق بعنايةٍ، ثمّ فتح الغطاء. كانت العلبة مليئة بأوراق مصفرّة، مطويّة بطرقٍ مختلفة.

ذَكر اسمَ كلٍّ منّا وهو يُعيد الرسائل إلى أصحابها. ولدى قراءة هذه الكلمة المقتضبة، كان البعض يضحكون، ويعرضونها أمام الآخرين، ويقرؤونها بصوتٍ عالٍ. ابتهج الجميع بذلك.

كانت الرسائل عبارة عن أحلام المستقبل، واعترافاتٍ بالحبّ، ونمائم ظلّت غير معلنة.

لقد ابتهجوا كثيراً، بحيث أنني رأيتُ إلى أيّ حدٍّ هم واثقون بأنفسهم. ثلاثون عاماً. كانت حياتهم مستقرّة، ولكلٍّ منهم عمله ومنزله. هم لم يعودوا طلبة في المدرسة الثانوية، بل رجالٌ بالغون خلعوا زيّهم المدرسي الموحّد وتطوّروا في اتّجاهات مختلفة.

وأخيراً، سمعتُ اسمي. تلقّيتُ الورقة من سوغيمورا، ودون أن أفتحها، وضعتها في جيب سترتي. وهكذا انتهيتُ من الأمر، وتنفّست الصُّعَداءَ.

نودي على سيتارو. فتح ورقته برقةٍ وعنايةٍ.

صاح نيشينو من خلف كتفه:

- وهكذا، كنت تعد نفسك مثقّفاً إذاً؟

وسط الورقة التي كان يمسك بها بين يديه، كان سيتارو قد كتب بخطٍّ جميلٍ: «سوف أصبحُ كاتباً».

سأل نيشينو، ساخراً:

- صحيحٌ أنّك كنت قد أرسلت نصّاً إلى مجلّةٍ أدبية آنذاك! أما زلت تكتب الكتب؟

أجاب سيتارو برباطة جأشٍ:

- نعم.

- آه، حقّاً؟ وهل نُشِرَت أعمالك؟

قال ذلك بنبرة تشي بأنّ هذا مستحيلٌ. اقترب منّا الرجل الآخر الذي نسيتُ اسمه.

- ماذا؟ أتنشرُ كتباً؟

أجاب سيتارو، مبتسماً:

- ليس بعد. ولكنني أواصلُ الكتابة.

ضحك نيشينو بصوتٍ عالٍ وبفرحٍ تامّ.

- عظيم! حتى وأنت في سنّك هذا، لا تتخلّى عن حلمك!

تملّكني الغضب، وألقيتُ نظرة حانقة على نيشينو.

«اخرس! لا يحقّ لك أن تسخر من سيتارو! اعتذر إليه! روايته في غاية الروعة! لقد أعجبتني كثيراً. أنت لا تعرف عنها شيئاً، أليس كذلك؟ من تحسب نفسك حتى تتحدّث إليه على هذا النحو؟ أنت رجلٌ حقيرٌ لكونك تسخر منه في حين يتشبّثُ هو بحلمه!».

هذه الكلمات، صرختُ بها في داخلي.

ودون أن يلاحظا حتى نظرتي الغاضبة، انضمّ نيشينو وصاحبه إلى ثلاث نساء بالقرب منّا وتحدّثا معهنّ بحرارة.

فيما مضى، كان سيتارو قد جعلني أقرأ كتابه. جاء ليجلس بجانبي وسط الرسوم، أثناء استراحةٍ. أثنى عليّ بصدق، ثمّ قدّم لي دفترَ ملاحظاتٍ، وهو يسألني: «هل ترغبُ في قراءة روايتي؟». في الحقيقة، لا أذكر القصة جيّدًاً، ولكن تلك المخطوطة أثّرت فيّ كثيراً.

- سوف أعود.

خطوتُ بضع خطواتٍ، حين لحق بي سيتارو سريعاً.

- انتظر، سوف أرافقك.

كان نحيلاً جدّاً، وكلّ شيء فيه رفيعاً، حتى رقبتُه، وأصابعه، وشعره.

- ألن تذهب إلى حفلة العشاء؟

هزّ رأسه بفوة، نافياً.

أضفتُ:

- ولا أنا.

تركنا خلفنا المجموعة التي كانت تثرثر، واجتزنا عتبة البوّابة. لم يعرنا أحدٌ أي انتباهٍ.

وصلنا إلى محطة القطار ونحن نتحدث في مواضيع تافهة. كانت شجرة الزان قد نمت كثيراً، وكان الشتاء لطيفاً. لدى مرورنا أمام متجر ميستر دونت، اقترح عليّ، بادي الحماسة:

- أَترغب في شرب كوبٍ من القهوة؟

أمام ضحكته المرتبكة، شعرتُ بدوري بالحرَج، فأجبت دون أن

أنظر إليه: «نعم»، فدخلنا وطلبنا المشروبات قبل حتى أن نجلس.

سألني سيتارو، وهو يجلس قبالتي:

- أتذكّر أنّك كنتَ موهوباً في الرسم. وانضممتَ إلى مدرسةٍ للفن، أليس كذلك؟

- نعم، ولكنني أخفقتُ في كلّ شيء. قيل لي إنّ رسومي ليست للجمهور الواسع، وإنّها مثيرة للفزع وتكشف عن نوعٍ من الهوس.

- آه، حقّاً؟ أمّا أنا، فقد ردّدوا على مسامعي أنّ روايتي تقليدية جدّاً، وأنّها مملّة وتفتقر إلى الإثارة والتشويق. لقد أرسلتها إلى عددٍ لا بأس به من الجوائز الأدبيّة الخاصّة بالمبتدئين، وهذا ما قيل لي في المرّات النادرة التي تلقّيتُ فيها ردّاً. مكتبة سُر مَن قرأ

ضحك بمرحٍ، ثمّ شرب كوبه من القهوة بالحليب. شعرتُ بالاحترام حياله.

- وأنت تواصلُ الكتابة طوال كلّ هذا الوقت. أجدُ هذا أمراً رائعاً.

- أخصّصُ وقتي في المساء وفي عطلة نهاية الأسبوع للكتابة، أمّا بقيّة أيام الأسبوع، فأنا أعمل.

كان على حقّ.

حتى وإن كانت وظيفته لا تتوافق مع مشروعه الأوّل، إلّا أنّه يعمل ويدفع الفواتير ويواصل بذل الجهود في سبيل تحقيق حلمه. أصبحتُ أكنُّ له تقديراً كبيراً، كبالغٍ نشيطٍ وكرجلٍ يبقي تركيزه على هدفه.

- إنّ مصلحة المياه وظيفة آمنة.

لم تكن ملاحظتي دقيقة في زمننا هذا. أمسك سيتارو كوبه بيديه الاثنتين.

- ولكن أيّ مهنة آمنة حقاً اليوم؟

- موظّف حكومي، مثلك، أو موظّف في شركة كبيرة.

هزّ رأسه نافياً.

- هذا غير صحيح. ليست هناك وظيفة آمنة حقّاً. جميع الوظائف تستند على توازنٍ هشّ.

رغم بشاشة وجهه، تحدّث بجدّية شديدة.

همس وهو يعضّ على شفته:

- ليس هناك ما هو مكتسب تماماً، كما ليس هناك ما هو مستحيل تماماً. لا أحد يعرف ما ستؤول إليه الأمور.

هذا هو سبب تمسّكه بحلمه.

تذكّرتُ كلمات نيشينو، وغضبتُ من جديد، فشدّدتُ على قبضتي يديّ.

- سيتارو، يجب أن تصبح كاتباً لكي تُثبِتَ لنيشينو خطأه.

ضحك ضحكة خفيفة، وهزّ رأسه مرّة أخرى.

- الناس الذين يسخرون منّي اليوم، سوف يسخرون غداً أيضاً، مهما حصل. هم يركّزون على التفاصيل فحسب. أنا لا أبالي برأي أولئك الذين لم يقرؤوا كتابي.

أفرغ فنجان قهوته، وحدّق فيّ.

- لا يهمّني أن أُثبت للآخرين أنّهم مخطئون، ولا أن أستغلّ إحباطي. ليس هذا ما يُحفّزني.

لمحتُ بريقاً في أعماق عينيه. كان سيتارو رجلاً هادئاً، ولكن حازماً أيضاً. حسدته بعض الشيء، هو الذي كان يمتلك، في هذا الجسد النحيل، قوّةً كبيرة تدفعه إلى الأمام.

- ألا تخشى أن تشيخ دون أن تلقى روايتك النجاح الذي تستحقه؟

استغرق في التفكير وهو ينظر إلى أعلى، ثمّ قال:

- امممم... بلى، لكن هاروكي موراكامي نشر روايتَه الأولى في سنّ الثلاثين. لقد عمل عليها بهمّة وإصرار مدّة عشر سنوات.

- آه، حقاً؟!

- ولكن بما أنني سأجتاز قريباً عتبة الثلاثين، سارعت إلى اكتشاف هذا الكاتب: جيرو أسادا، وقد بدأ في نشر أعماله في سنّ الأربعين.

- آه، هذا يُتيحُ لك مهلةً من عشر سنوات!

ضحك من كلّ قلبه.

- حتى إذا تجاوزته، فقد نُشِرَت أعمال كتّابٍ آخرين بعد هذا العمر. ليس هناك حدٌّ لسنّ النشر. فلكلٍّ توقيته الخاصّ.

احمرّت وجنتاه.

عرضَ عليّ أن نُبقي على تواصلنا، ولذلك حمّلتُ على هاتفي، لأوّل مرّة في حياتي، تطبيقاً للمراسلة الفورية.

في اليوم التالي، بناءً على اقتراح كوماتشي، ذهبتُ إلى المكتبة العامّة للمركز الاجتماعي.

وجدتُ القاعة خالية، يسودها الصمت الذي نادراً ما تقطعه زيارةٌ خاطفة لمتقاعدٍ.

دون أن تتفوّه بكلمة واحدة، وضعت كوماتشي كتاب **التطوّر: النظريّة بالصور** عند مكتب الاستقبال. لمحتُ ورقةً مضمومةٌ بشريطٍ مطّاطي تحمل كلمة: «مُعار». بات بوسعي أن أقرأه وقتما أشاء

فعلاً. بعد حركة شكرٍ خجولة من رأسي، أمسكتُ الكتاب، وذهبتُ لأجلس إلى طاولة المطالعة مقابل مكتب الاستقبال، ثمّ فتحتُ الكتاب.

على الصفحة الأولى من المقدّمة، لفتت كلمتا «اصطفاء طبيعي» انتباهي.

كنتُ قد تعلّمتُ في المدرسة هذه النظريّة القائلة بأنّ الكائنات التي تتكيّف مع بيئتها تبقى، أمّا التي لا تستطيع فعل ذلك فتزول على نحوٍ طبيعي... أربكتني جملةٌ على نحوٍ خاصّ:

«الطفرات النافعة تنتقل، والطفرات الضارّة تختفي».

نافعة، ضارّة1,..

لِمَنْ؟

واصلتُ القراءة مضطرباً ووقعتُ على اسمٍ كان مجهولاً بالنسبة إليّ: والاس. قلبتُ الصفحات، مقرّباً الكتاب من وجهي.

عندما نذكر نظريّة التطوّر، نفكّر في الحال في داروين. تشارلز داروين، مؤلّف كتاب **أصل الأنواع**. ولكن يقفُ في ظلّه رجلٌ آخر: ألفرد راسل والاس، وهو عالم طبيعة يصغرُ داروين بأربعة عشر عاماً.

كانا كلاهما باحثين متحمسين وشغوفين، يوليان اهتماماً كبيراً بالخنافس، لكنّ حياتيهما وشخصيتيهما كانت متناقضة تماماً.

كان داروين ثريّاً، ووالاس معوزاً. خلُص كلّ منهما، بطريقته، إلى نظريّة التطوّر عبر الاصطفاء الطبيعي.

ولكن كان الناس يؤمنون آنذاك بالرؤية التوراتية للخلق، وقد قُمِعَ المتمرّدون على هذه الرؤية بعنف.

كان داروين يخشى من نشر نظريته، في حين لم يتردّد والاس في الإقدام على ذلك. ولذلك ذُعِرَ داروين.

«رافضاً أن يسبقه أحدٌ في هذه النظرية التي أنضجها خلال سنوات عديدة، بات بديله الوحيد هو النشر. فاتّخذ داروين قراره».

سارع إلى نشر **أصل الأنواع**. ومنذ ذلك الحين، اشتهر هذا النصّ وكاتبه في العالم أجمع.

وسط استمرار ارتباكي، واصلتُ القراءة وهززتُ رأسي بشيءٍ من الاسياء عندما قرأتُ ما قاله والاس عن داروين: «كنّا صديقين مقربين».

هل تعتقدُ ذلك حقّاً، يا والاس؟

كان قد جازف بأن نشر عمله أوّلاً. ومع ذلك، وحده داروين حظي بالشهرة. كان هذا اجحافاً.

أنا أيضاً، حدث لي ذلك أحياناً في مدرسة الفنّ، حيث كان جاري في المقعد يقلّد شكل رسمتي أو تفصيلاً منها، بعد إلقاء نظرة سريعة عليها. وإذ كان يفوقني موهبةً بكثير، كان عمله يلقى الإعجاب. «لا تنسخ منّي، هذه فكرتي!»، كنتُ أقول في نفسي في كلّ مرّة. لكن رغم انزعاجي، لم أُجاهر بشيءٍ أبداً. ربّما كان سيردّ عليّ: «خطرت لي الفكرة نفسها، هذا كلّ ما في الأمر!». ففي نهاية المطاف، كان دائماً ما ينتصر مَن كان يحظى مسبقاً على إعجاب الآخرين.

تنهدتُ تنهيدةً عميقة، ثم قلبتُ الصفحة.

كانت صورةُ طائرٍ متحجّر تغطّي كامل الصفحة، ووصف التعليقُ المدوّن في أسفل الصفحة **طائر كونفوشيوس** الذي عاش في العصر الطباشيري. بدا نائماً، فارداً جناحيه، وفاتحاً منقاره. وفجأةً،

منحني الإعجاب بهذا الهيكل العظمي الكامل، المحفوظ على نحوٍ رائعٍ، الرغبة في أن أرسمه. لم أكن قد شعرتُ بهذه الرغبة منذ زمنٍ طويلٍ. احتجتُ إلى قلم رصاصٍ، وبسرعة.

تذكّرتُ الورقة التي سلّمتني إياها كوماتشي والتي دسستها بين صفحات الكتاب، ثمّ ذهبتُ إلى مكتب الاستقبال لكي أستعير قلمَ حبرٍ جافّ من نوزومي.

الجانب الخلفي من الورقة البيضاء، وقلم حبرٍ جافّ أسود.

كان هذا يكفيني. متأمّلاً هيكل طائر كونفوشيوس المتحجّر، رسمته بعناية.

استغرقتُ في مهمّتي. كان طائرٌ يولَدُ من رأس قلمي. قبل أن أُدرِكَ ذلك، سوف يعود إلى الحياة.

استسلمتُ لخيالي، متجاوزاً النسخ البسيط. كان الطائرُ يحيا، على شكلِ هيكلٍ عظميٍّ. يقتل الشرّ بفضل مناجل حادّة في طرف جناحيه. رغم منظره المرعب، كان يُقيمُ العدالة سرّاً. يأوي تجويفا عينيه أسماكاً صغيرة حمراء.

كنتُ غارقاً في رسمتي إلى درجة أنني لم أنتبه إلى وجود نوزومي إلى جانبي إلّا بعد أن انتهيتُ من الرسم. جفلت من صيحتها، التي عرفتُ من خلالها أنّها شعرت بالاشمئزاز.

لكن على العكس من ذلك تماماً، صرخت وقد لمعت عيناها:

- تعالي يا سيّدتي وانْظُري إلى الرسم الرائع الذي رسمه هيرويا!

تأرجح قلبي وقد امتلأ هذه المرّة بالمشاعر الإيجابيّة؛ لأنّها نادتني باسمي الأوّل - الذي لا بدّ وأنّها تذكّرته أثناء إعداد بطاقتي الخاصّة بالمكتبة - ولأنّها أُعجِبَت برسمي.

نهضت كوماتشي بهدوء وابتعدت عن مكتبها، مقتربةً من طاولتي بمشيةٍ متمايلة. وقفت بالقرب منّي، ثم تفوهت بغمغةً غريبةً، موافقة على رأي نوزومي:

- يا له من رسم رائع!

اقترحت نوزومي:

- يجب أن يُشارك هذا الرسم في مسابقةٍ، ألا تعتقد ذلك؟

- كلّا، فلا جدوى من ذلك.

كنتُ سأجعّد رسمي، حين أوقفتني نوزومي بلهفةٍ.

- انتظر! إذا كنتَ تنوي رميه، هل يمكنني الحصول عليه؟

- هل أنتِ جادّة؟ ولكنّه مخيف.

- أحببتُه كثيراً!

انتزعت منّي الورقة وضمّتها إلى صدرها، بيديها الاثنتين.

- إنّه فظيع، وهزليّ، وبطريقةٍ ما، مليءٌ بالحبّ.

شعرتُ بسعادةٍ غامرة بأن يفهمني أحدٌ، بحيث راح قلبي يخفق بقوّة. ولكن ما كان عليّ أن أسمح لكلماتها بأن تؤثر عليّ، فهي لم تكن سوى من باب المجاملة.

لكن أيّاً يكن الأمر، لقد نجا الهيكل العظمي للطائر، الذي كان في طريقه إلى حاوية القمامة، من الموت بفضل نوزومي. وإذ شعرتُ بأنّه مسموحٌ لي بأن أعود في اليوم التالي، أفرجتُ عن ابتسامةٍ خفيفة.

لدى وصولي إلى المكتبة في اليوم التالي، كانت السيّدة موروي، المرأة ذات المنديل، تقوم بأعمال تنظيف في الرواق، حيث تمسح الدرابزين بخرقةٍ قماشيّة. قالت لي:

- صباح الخير! السيّدة كوماتشي غائبة اليوم.
- حسناً.
تذكّرتُ أنني أزور هذه المكتبة بفضل هذه السيّدة.
تمتمتُ:
- لقد ناديتِها باسمها الأوّل، ولذلك اعتقدتُها شابّةً.
انفجرت السيّدة موروي ضاحكةً.
- مقارنةً بسنواتي الاثنتين والستين، هي امرأة شابّة! فهي في السابعة والأربعين من عمرها فحسب!
امرأة شابّة في السابعة والأربعين من عمرها. أمّا أنا، فكنتُ أشعرُ بأنّني عجوز وأنا في الثلاثين من عمري. بدا أنّ الشباب والشيخوخة مفهومان نسبيّان تماماً.
وجدتُ أنّ ليس لكوماتشي سنّ واضح. في الواقع، كانت امرأة عاديّة.
سألت:
- أتحبين مونغر؟
صاحت موروي فجأةً وهي تقلّده في حركاته:
- مونغر!
تراجعتُ إلى الوراء تحت تأثير المفاجأة، ما جعل السيّدة موروي تضحك.
- أنا أحبّ مونغر، الكائن المطلق، كثيراً!
كانت هذه الشخصية، تحت مظهرها اللامبالي، «كائناً مطلقاً» فعلاً، يتحمّل الحرارة والبرد الشديدين، ويلتهم أيّ شيء ليحوّله إلى طاقة. كما يحظى أيضاً بقدرة الانتقال الآني في الفضاء.
- ومع ذلك، هو يحرد إذا ما تُرِكَ لوحده ويبكي عندما يكون

حزيناً، رغم جسده فائق القوة الذي يتيح له البقاء على قيد الحياة في أيّ مكان وقدراته الخارقة. فما هي القوّة في هذه الحالة؟

جعلتني هذه الكلمات العميقة غير قادر على الكلام.

- قبل ثلاث سنوات، لدى وصول سايوري، أخبرتُها بأنني أحبّ مونغر. وعندما طلبتُ منها أن تنصحني بكتابِ طبخٍ، قدّمت لي دمية قماشية مصنوعة بطريقة التلبيد بالإبرة. تأثّرتُ كثيراً وقلتُ لها إنّ هذه هديّة إضافية صغيرة ممتازة، وهي العبارة التي اعتمدتْها منذ ذلك الحين.

إذاً، السيّدة موروي هي مخترعة عبارة «هديّة إضافية صغيرة»!

- تبدين على علاقةٍ طيبة بها.

أجابت وهي تُقرفصُ لكي تعصر الخرقةَ في السطل:

- نعم! ولكنني سأستقيل في نهاية شهر مارس.

رفعت عينيها نحوي، مع ابتسامةٍ يملؤها الفخر.

- سوف تضع ابنتي مولودها في شهر أبريل، وسوف أصبح جدّة! أرغب في مساعدتها على الاعتناء بالرضيع لبعض الوقت، فسأنتهز الفرصة لكي أتقاعد. وسوف يُعيَّن شخصٌ ليحلّ محلّي في العمل.

كان الموظّفون في هذه المنشأة يُعيَّنون لمدّة سنة مع عقدٍ قابلٍ للتمديد، في حال اتّفق الطرفان عليه.

أوضحت السيّدة موروي قبل أن تأخذ السطل وتنصرف:

- لم يتبقَّ لي سوى شهرٍ واحد!

لدى دخولي المكتبة، ابتسمت لي نوزومي.

وكما أخبرتني السيّدة موروي، لم تكن كوماتشي موجودة. كان

كتاب **التطوّر: النظريّة بالصور** ينتظرني على حافة طاولة مكتبها، مع الورقة المضمومة بالشريط المطّاطي. لقد وضعتُه هناك لكي آخذه بحريّة.

اليوم أيضاً، كانت المكتبة هادئة وعدد زوّارها قليلٌ جدّاً. وإذ وجدتُ طاولة القراءة شاغرة بالكامل ولي وحدي، فتحتُ الكتاب بهدوء.

تاريخٌ قديم، طيور، وحيوانات ذات دمٍ باردٍ. لمّا وصلتُ إلى منتصف الكتاب، كنتُ في الفصل الخاصّ بالنباتات. كنتُ أقرأ بذهولٍ عن حيويّة نبتة خنّاق الذباب، حين شعرتُ بأنّ هناك من ينظر إليّ. رفعتُ رأسي: كانت نوزومي تراقبني من مكتبها.

وإذ رأتني متفاجئاً، أفرجت عن ابتسامةٍ عريضةٍ. سارعتُ إلى التحدّث إليها لكي أُخفي ارتباكي.

- لا بدّ أنّكِ ترين أنّه من المحزن أن أكون بلا وظيفة وأن أستمتعُ بالنظر إلى نبتة خنّاق الذباب في المكتبة العامّة، وأنا في هذا السنّ!

أشارت إليّ بالنفي دون أن تُبارح البشاشة المرسومة على وجهها.

- الأمرُ ليس كذلك على الإطلاق! يذكّرني النظر إليك بالفترة التي كنتُ فيها في المدرسة، لأنني كنتُ أقضي وقتي في المستوصف. هناك اختلافٌ طفيف بين الحالتين، ولكنني أعتقدُ أنني أفهمكَ.

كانت تقضي وقتها في المستوصف؟

تابعت، إذ بدا عليّ عدم الفهم:

- قبل أن أعمل هنا، كانت السيّدة كوماتشي معلّمتي في

المدرسة، رغم كونها الممرّضةَ المدرسية. فأنا تلميذتها منذ ذلك الحين. لم يكن بوسعي حضور الدروس في القسم، ولذلك كنتُ أبقى في المستوصف.

صحيح أنها نادت كوماتشي بـ «سيّدتي»، مثلما نفعل مع معلّمة مدرسة. افترضتُ أنّ هذا يعود إلى كونها تعلّمها مهنة أمينة المكتبة، ولكن لم يكن الأمر كذلك.

سألتُ:

- لماذا لم تعودي تحضرين الدروس في القسم؟

أجابت، ضاحكةً:

- لنفس السبب الذي يجعل آخرين غير قادرين على فعل ذلك!

فهمتُ تماماً ما كانت تلمّح إليه.

اكتفيتُ بإيماءةٍ من رأسي، إذ لم أكن متأكداً إن كان من المناسب التحدث في هكذا موضوع على نحوٍ عفوي.

- كنتُ أخشى الأصوات القويّة. وفي المدرسة الابتدائية، يضحك ويصيح الأطفال من دون سبب. لم أكن أطيق أن يُعاقَب طفلٌ، كما لو أنني مسؤولةٌ عن ذلك، ولذلك كنتُ دائماً مذعورةً. كلّنا نتحسّس من هكذا تصرّفات، أليس كذلك؟ ولكنّهم اعتبروني غريبة الأطوار وغير اجتماعية. لم أكن ضحيّة للتنمر على نحوٍ مباشر، لكن لنقُل إنني كنتُ أشعرُ بالتجاهل وبأنني لم أكن في مكاني الصحيح.

شعرتُ من نبرة صوتها بحجم المعاناة التي كابدتها.

- عندما توقّفتُ عن الذهاب إلى المدرسة، سمحت لي أمّي ومعلّمتي، بعد نقاشات طويلة، بالبقاء في المستوصف. في اليوم الأوّل، معلّمتي... أقصد السيّدة كوماتشي، أوضحت لي أنّ مقالتي

حول قراءاتي الصيفيّة كانت رائعة. كانت قد قرأت العديد من النصوص المعلّقة في لوحة الرواق، وكانت صادقة في قولها: لقد ذكرت التفاصيل التي أحبّتها. أسعدني ذلك كثيراً وأصبحتُ كلّما أقرأُ كتاباً، أكتب رأيي فيه وأسلّمها نصّي.

جالت ببصرها على الرفوف المليئة بالكتب واستأنفت حديثها بهدوء.

- استغرق الأمرُ بعض الوقت حتى أعود تدريجيّاً إلى القسم. وعندما أصبحتُ في المرحلة الثانوية، كانت السيّدة كوماتشي قد توظّفت هنا بمنصب أمينة المكتبة، وعندما حصلتُ على شهادتي، طلبتُ منها المشورة، لأنني أردتُ ممارسة هذه المهنة، فعرضت عليّ أن أكون معاونتها.

- آه، حقّاً؟

- أخذتُ في البداية دروساً تؤهلني لهذه الوظيفة، وبعد سنتين من الخبرة، سوف أخضع لتدريب لكي أصبح أمينة مكتبة.

- سنتان من الخبرة!

- إذا كانت لديك شهادة الثانوية العامة. وهذا التدريب الأخير يستغرق ثلاثة أشهر، وتُضاف هذه المدّة إلى السنتين المخصّصتين لمنصب معاونة أمينة المكتبة. يمكن أيضاً الالتحاق بالجامعة واختيار المواد اللازمة ونيل الشهادة، ولكن هذا لم يكن ممكناً من الناحية الماليّة بالنسبة إلى أسرتي. هذا عدا عن أنني أردتُ أن أعمل بأسرع ما يمكن.

تبيّن لي أنّ هذا الطريق أطول مما اعتقدتُ. أن يصبح المرء أمين مكتبةٍ أمرٌ شاقّ حقاً.

عبّرتُ عن شعوري العميق بالإعجاب.

- من الرائع أن تعرفي مبكّراً جدّاً ما تُريدين فعله. أنتِ لم تضيّعي وقتك!

- ولا أنت! لقد ذهبت إلى مدرسة الفنون بعد الثانوية، أليس كذلك؟

- لم أكن في مكاني الصحيح. قيل لي إنّ رسومي شريرة، ومخيفة، ومظلمة.

أمالت رأسها جانباً في حركة شبيهة شيئاً ما بحركة كوماتشي.

- أوه...

استغرقت نوزومي في التفكير وهي تحرّك عينيها في كلّ الاتجاهات، ثم استدارت نحوي فجأةً، وصاحت:

- اللحم مع الصلصة الحلوة والحامضة!

- ماذا؟

- ما رأيكُ بالأناناس في هذا الطبق؟

عمّ كانت تحدّثني فجأةً؟

أمام نظرتي المتسائلة، سارعت نوزومي، المحمرّة مثل حبّة الطماطم، إلى شرح رأيها.

- الكثير من الناس يكرهون هذا الطبق. فبحسب رأيهم، هذا أمرٌ غير مقبول. فلماذا لا يزال موجوداً إذاً؟

- لا أدري.

- لأنّ أقليّةً من الناس يحبّون هذا الطبق. إنّها مسألة أذواق. حتى وإن كانت الأغلبية لا تقبل به، فإنّ وجوده محميٌّ بفضل هذه الأقليّة!

- ...

- أنا أعشقُ هذا الطبق، وأعشق رسمك أيضاً!

شعرتُ بالارتياح، وبالسعادة أيضاً. كانت نوزومي تشجّعني بأفضل ما لديها. «أعشقُ»، يا لها من كلمة مُنقذة! لقد منحتني الانطباع بأنّ رسمي وأنا أيضاً قد لقينا الاعتراف الذي نستحقّ. حتى وإن لم يكن ذلك سوى من باب المجاملة.

عدتُ إلى بيتي في مزاجٍ جيّدٍ ووجدتُ أمّي تتحدّث عبر الهاتف.

كانت تتحدّث بصوتٍ مرحٍ، وعرفتُ في الحال منْ هو محدّثها.

قالت بعد أن أغلقت السمّاعة:

- سيعود أخوك الأكبر إلى اليابان في شهر أبريل!

كان لوقع هذه الكلمات عليّ تأثيرُ لكمةٍ على وجهي.

- سوف يعود ليعمل في طوكيو، في المقرّ الرئيسي لشركته. لقد استُحدِثَ منصبٌ جديد وهو من اختير لكي يشغله.

هكذا إذاً.

لقد آن الأوان.

قلتُ «حسناً» لكي أخفي ارتباكي، وذهبتُ إلى الحمّام.

فتحتُ الصنبور، فسال الماء.

فركتُ يديّ بقوة، وغسلتُ وجهي. مع الكثير من الماء.

خطرت على بالي تلك الجملة من **التطوّر: النظريّة بالصور**.

«الطفرات النافعة تنتقل، والطفرات الضارّة تختفي».

لطالما كان أخي... متألقاً.

حينما كنتُ في المدرسة الابتدائية، انفصل والداي وعشنا نحن الثلاثة، مع أمّي.

أخي الذي كان ملتحقاً بالكليّة، راح يدرس بحماسة وجدّية. كان غاضباً على أبي ومنزعجاً من بيئتنا العائلية التي تغيّرت. وحين كنتُ أتحدّث إليه، كان يعبس، كما لو أنني أُزعجه.

ورغم أننا كنّا شقيقين، كنّا مختلفين تماماً. ونظراً لطبيعتي القلقة، كان خياري الوحيد هو أن أتوخّى الحذر معه قدر المستطاع. اعتقدتُ أنّه لا ينبغي أن أزعجه في منزلنا الصغير جدّاً. ولذلك، لدى خروجي من المدرسة، كنتُ ألوذ بمقهى خالي لقراءة المانغا.

لكن هذا توقّف بعد مرحلة المدرسة الابتدائية، إذ قرّرت أمّي مغادرة الأرياف والانتقال إلى طوكيو لكي تحصل على وظيفةٍ وتهتمّ بتربيتنا، أنا وأخي.

وإذ أُعفي على نحوٍ استثنائي من الرسوم الجامعية، حالما تخرّج من الكلية، حصل على وظيفةٍ في شركةٍ تجاريّة. وبفضله، تركت أمّي وظيفتها المنهِكة بدوامٍ كاملٍ وانتقلت إلى عملٍ بدوامٍ جزئيٍّ في مخبزها المفضّل.

وانتقل أخي منذ أربع سنوات إلى ألمانيا، وهو ما مثّل خلاصاً بالنسبة إليّ.

مقارنةً به، كنتُ خيبة أمل العائلة وفاشلها.

أنا أيضاً... أنا أيضاً، فعلتُ كلّ ما بوسعي لكي أعثر على عملٍ. ولكنني لم أفلح. بعد أن أنهيتُ دراستي، وجدتُ عملاً كمندوب مبيعات للكتب المدرسية لدى الأسر ومدارس الدروس الخصوصيّة. كنتُ أقوم بجولاتي في النهار، وأُجري مكالمات هاتفية من مقرّ الشركة في المساء. كنتُ متوتّراً جدّاً أثناء الحديث بحيثُ شكّلتُ عبئاً على الآخرين: كنتُ أشعرُ حقّاً بأنني نكرة. كان مسؤولي وزملائي في العمل يغضبون عليّ باستمرار بسبب عدم

قدرتي على تحقيق رقم المبيعات المطلوب مني، ويطلبون مني أن أُبدي استعداداً أكبر للعمل وينعتونني بالفاشل.

بعد انقضاء شهرٍ، رفض جسمي التحرّك، ولم أعد أبارح فراشي. وعندما كنت أنجح في أن أُجرجر قدميّ حتى مدخل البيت، كان دماغي يتجمّد لحظةَ انتعال حذائي، ويتصلّب كلّ جسمي وتسيل الدموع على خدّي. كلّما أرغمتُ نفسي أكثر على الخروج، قلّت استجابة جسدي.

تكفّلت أمّي بلطفٍ بكلّ الإجراءات الرسمية لاستقالتي من العمل. أصبحتُ في عجزٍ تامّ وكسلٍ عارمٍ، أكثر ممّا اعتقدتُ ذلك ممكناً.

في أعقاب استقالتي، ارتحتُ قليلاً، ولكنني كنتُ أعلمُ أنني بحاجة إلى عملٍ بسيطٍ. ولكن لم أكن قادراً على إنجاز بضع مهامٍ متزامنة بالسرعة المطلوبة، سواء في المتاجر الصغيرة أو مطاعم الوجبات السريعة، فارتكبتُ الكثير من الأخطاء، وأصبحتُ عبئاً ثقيلاً على أصحاب العمل بحيث لم أستمرُّ في أيّ عملٍ أكثر من أسبوعين. وبعد نهارٍ واحدٍ من العمل في شركةِ نقلٍ، تشنّج ظهري وتركتُ العمل في اليوم التالي.

كنتُ بطيء الإدراك، أخرق الكلام، ضعيف الجسد. لم تكن هناك أيّ وظيفة في متناول يدي.

كانت أمّي تشعّ فرحاً.

وأدركتُ سرّ ذلك، فابنها المبتهج والموهوب، الذي يمكنها الاعتماد عليه، سوف يعود ليكون بقربها.

قالتْ بحزم:

- سوف نذهب لإحضاره من المطار!

لا شكراً.

سوف يعود أخي من بلدٍ أجنبي على متن طائرة. أمّا أنا، فلم أكن قد صعدتُ إليها حتى.

مع وجود أخي ونجاحه المهني الباهر في البيت، سوف أصبح «غير النافع» من بين الاثنين.

تذكّرتُ طائرة كوماتشي.

فيما مضى، كان البشر يحسدون بالتأكيد الطيور الطائرة في السماء.

لكنهم كانوا يعلمون أنّ التطوّر لن يؤدّي أبداً إلى نمو أجنحة لهم، فابتكروا الطائرة.

أما أنا، فلم يكن بوسعي لا أن أصبح طائراً ولا أن أصنع طائرةً. لم يكن بوسعي أن أطير في السماء.

«عمَّ تبحث؟».

عند سؤال كوماتشي هذا، خطر على بالي في الحال «مكانٌ هادئ، مكانٌ واحدٌ لا أكثر، ألقى فيه القبول...».

كنتُ لا أزال أبحثُ عن ذلك المكان.

في اليوم التالي، كانت نوزومي بدورها في عطلةٍ.

شعرت بالارتباك عند رؤيتي كوماتشي في مكتب الاستقبال للمكتبة. كانت قد وضعت علبة الخياطة إلى جانبها وتشتغل على لعبة قماشية، كعادتها.

توجّهتُ إلى طاولتي.

غمغمتُ، وأنا أُلقي نظرة جانبية على كوماتشي:

- يا لها من حماسة!

قالت دون أن ترفع بصرها:

- فيما مضى، كانت فتاةٌ تأتي إلى المستوصف وتقوم بهذا العمل الدقيق. اعتقدتُ في البداية أنّها تحبّ الأنشطة اليدوية فحسب، ولكن من خلال مراقبتي لها، اكتشفتُ التركيز الذي يستدعيه غرز الإبرة في كريّة الصوف. وقد أدركتُ ذلك أكثر عندما حاولتُ أن أقوم بذلك بنفسي. يخفّف هذا الشغل القلق والكآبة شيئاً فشيئاً، وهكذا حققتْ هذه الفتاة بعض التوازن. وقد تعلّمتُ هذا الفنّ بفضلها هي.

عنى ذلك أنّ كوماتشي عرفت القلق والكآبة هي الأخرى. هي التي كانت تبدو رابطة الجأش.

جلستُ وفتحتُ كتاب **التطوّر: النظريّة بالصور**.

أراحت القراءة قلبي، المزعزَع منذ مساء الأمس. أراحني حضور كوماتشي، التي حرّكت أصابعها بالقرب منّي، دون أن تعيرني اهتماماً ولا أن تنبذني. تماماً مثلما سمحت لي بالقراءة هنا متى شئت.

ولكن كان هذا مؤقّتاً، إذ لم يكن بوسعي أن أمضي بقيّة حياتي في هذه المكتبة. لقد حصل التلاميذُ الذين لجأوا إلى المستوصف على شهاداتهم في نهاية المطاف، ولكن لن يحدث منعطفُ حياتي من باب المعجزة فحسب. ولن يُقرِّرَ أحدٌ نيابةً عنّي متى سيحدث ذلك.

الاصطفاء الطبيعي. الكائنات التي لا تتكيّف مع بيئتها تنقرض.

من الأفضل أن أختفي إذاً. لماذا العيش وسط الألم وأنا أعلم أنني لن أتكيّف، وأنّهم يعتبرونني طفرة غير نافعة؟

كان بإمكاني البقاء على قيد الحياة بكفاءاتي الهزيلة، لو أنني امتلكتُ الحدّ الأدنى من القدرات للتكيّف مع هذا العالم. ولكن كان ذلك يتطلّب منّي أن أتصرّف كجبانٍ.

توصّلتُ إلى هذه الخلاصة، ولكنني شعرتُ في جسدي بألم مَن ينتهي خاسراً بتصرّفه على هذا النحو. كيف استطاع والاس، الذي لم يحظَ قطّ بأي مجدٍ، أن يرى بصدقٍ في داروين «صديقاً مقرباً»؟

انهرتُ، متصالب الذراعين، على الكتاب المفتوح.

همست كوماتشي بصوتٍ رتيبٍ:

- ماذا حدث لك؟

- داروين رجلٌ قذر. مسكين والاس. كان قد نشر كتابه أوّلاً، ولكن لا أحد يتحدّث سوى عن داروين. لم أكن حتى قد سمعتُ باسم والاس قبل اكتشاف هذا الكتاب.

ساد صمتٌ. ظللتُ خاشعاً فوق الكتاب، بينما واصلت كوماتشي غرز الإبرة دون أن تقول شيئاً.

ثم استأنفت الكلام أخيراً:

- يجب أن نكون حذرين مع كتب السيرة الذاتية وكتب التاريخ.

رفعتُ رأسي. واصلت حديثها، وهي تحدّق في عينيّ:

- لا تنسَ أنّ الأمر مجرّد رأي. وحدهم الأشخاص المعنيون يعرفون الحقيقة. عندما يستند كلّ شيء على التقليد الشفوي، لكلّ شخصٍ رأيه الخاصّ. تولد حالاتُ اللّبس وسوء الفهم حتى في عصر الإنترنت السريع، وبالتالي بالنسبة إلى الأحداث القديمة، لن نعرف أبداً ما حدث فعلاً.

طقطقت رقبتها.

- ولكن على الأقلّ، أنت تعرف والاس الآن. تفكّر فيه. ألا يعني هذا أنّك خلقت له مكاناً لا يزال يعيش فيه؟

أيكون أنا من خلقتُ هذا المكان؟

هل يكفي التفكير في أحدٍ لنخلق له مساحةً للحياة؟

- علاوة على ذلك، والاس مشهورٌ جدّاً. وقد برز أيضاً بفضل «خط والاس»، وهو خطٌّ جغرافي فاصل بين منطقتين تعيش فيهما أنواعٌ مختلفة. أعتقد أنّ أعماله معترفٌ بها. ويسير على خطاه حشدٌ من الأشخاص المتميّزين الذين لم ينتقل اسمهم إلى الأجيال اللاحقة.

وضعت كوماتشي سبّابتها على جبينها.

- ولكن دعنا نعود إلى كتاب **أصل الأنواع**. لقد ذُهلتُ باكتشافي أنّ هذا النصّ نُشِرَ عام 1859.

- لماذا؟

- لم يمضِ على ذلك سوى مئة وستين عاماً! إنّه حديث جدّاً!

حديثٌ جدّاً... حقّاً؟ فكرتُ عابساً، حين جسّت كوماتشي مشبك شعرها.

- حين نقارب الخميس من العمر، يتبيّن لنا أنّ قرناً من الزمن هو وقتٌ قليل. أشعر بأنّه بقليلٍ من الجهد، يمكنني أن أعيش مئة وستين عاماً!

كانت على حقّ. إذا كان بوسع شخصٍ أن يفعل ذلك، فهي ستكون هذا الشخص.

استأنفت عملها بالإبرة، صامتةً.

عدتُ إلى كتابي، وأنا أفكّر في زملاء والاس المنسيّين.

بينما كنتُ أهم بالخروج من المركز الاجتماعي، رنّ هاتفي.

كان المتّصلُ سيتارو. تجمّدتُ في مكاني، مذعوراً. لم أتلقَّ اتّصالاً من صديق أبداً.

- هيرويا؟ أنا... أنا...

كان يجهشُ بالبكاء على الطرف الآخر من الخطّ. قلقتُ بشأنه.

- هل أنت بخير؟

- سوف يُنشَرُ كتابي...

- ماذا؟

- لم أُخبركَ بذلك، ولكن في نهاية السنة، تلقّيتُ رسالةً بالبريد الإلكتروني من السيّدة ساكيتاني، وهي محرّرة في دار القيقب. كنت قد سلّمتها مقتطفاً من روايتي خلال معرضٍ للكتاب في فصل الخريف. وقرأتْه! التقينا عدّة مرّات، وعدّلنا بعض المقاطع، وأُقرّ المشروع اليوم!

- هذا مذهل! أنا سعيدٌ جداً من أجلك!

ارتعشتُ لسماع هذا الخبر.

كان هذا مذهلاً حقاً. لقد حقّق سيتارو حلمه.

- أنت أكثر منْ رغبتُ في إخباره.

- آه، حقّاً؟

- كان الجميع يعتقدون أنني لن أصبح كاتباً. في المدرسة الثانوية، كنتَ الوحيدَ الذي وجدت روايتي مثيرة للاهتمام، وشجّعتني على أن أستمرّ في الكتابة. قد تكون نسيت تلك الكلمات، ولكنّها كانت حافزي، وتعويذتي الأكثر قوّةً.

بكى بحرقةٍ وأنا كذلك. لقد تذكّر كلماتي التافهة...

ولكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد لمثابرته على الكتابة

وعرض نصّه على دور النشر. السبب الحقيقي هو أنّه كان في أعماقه يثق بنفسه ويؤمن بقدراته.

قلتُ وأنا أشهق:

- من الآن فصاعداً، لم تعد موظّفاً في مصلحة المياه، بل كاتبٌ!

ردّ ضاحكاً:

- لا! لقد استطعتُ مواصلة الكتابة بفضل هذه الوظيفة. أنا لا أخطّط للاستقالة.

ردّدتُ كلماته في ذهني. لم أفهمما على المستوى المنطقي، ولكنني استوعبتها بالفطرة في مكانٍ ما.

قلتُ له:

- يجب أن نحتفل بهذا الخبر!

ثمّ أغلقتُ السمّاعة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

درتُ حول المبنى وأنا في غاية الحماسة. جلستُ على مقعدٍ خشبيٍّ صغيرٍ لشخصين، أمام سياجٍ معدنيٍّ.

كانت باحة المدرسة الابتدائية تقع على الجانب الآخر من السياج. لم يكن من الممكن الوصول إلى المركز الاجتماعي من هذا المكان، حتى وإن كانت المؤسستان متجاورتين. رأيتُ التلاميذ يلعبون، ويتسلّقون أعمدة الأقفاص. لا بدّ أنّ الدوام المدرسي قد انتهى.

في مطلع مساء هذا اليوم من أواخر شهر فبراير، كان النهار قد بات أطول.

دسستُ يديّ في جيبَي بلوزتي، مسترخياً.

في الجيب الأيسر؛ ورقة الكبسولة الزمنية، وفي الجيب الأيمن؛ اللعبة القماشية المهداة من كوماتشي.

أمسكتُ بالاثنتين بين أصابعي، وأخرجتهما ووضعتهما في راحة يديّ.

الطائرة، هذا المنتج العمليّ جدّاً للحضارة، المعروفة من الجميع. لم يعد أحدٌ يتفاجأ برؤيتها تعبر السماء، وعلى متنها عددٌ هائل من الناس والأمتعة.

«لم يمضِ على ذلك سوى مئة وستين عاماً...».

في ذلك الوقت في أوروبا، كان الاعتقاد السائد هو أنّ الكائنات الحيّة مخلوقاتٌ لم يطرأ عليها أيّ تطوّر، وليس لها لا حاضر ولا مستقبل.

كان الناس يعتقدون اعتقاداً جدّياً أنّ السمادل تولَدُ في النيران وأنّ طيور الجنّة رسلٌ حقيقيون من الفردوس.

ولهذا السبب تردّد داروين وأحجم عن النشر بدايةً. فنظراً لفكره غير المتكيّف مع بيئته، خشي أن يكون هو نفسه عرضةً للاصطفاء الطبيعي.

أما الآن، فأصبحت نظريّته عن التطور بديهيّة. لقد تحوّل مفهومٌ اعتُبِرعبثياً إلى معيارٍ. لقد آمن داروين ووالاس وجميع الباحثين في تلك الفترة بأنفسهم واستمرّوا في أبحاثهم وإصداراتهم...

لقد غيّروا البيئة المحيطة بهم.

أُعجبتُ بالطائرة الموجودة في يدي اليمنى.

لو حكينا عن هذه الطائرة للبشر الذين عاشوا قبل مئة وستين سنة، لما صدّق أحدٌ ذلك.

كانوا سيعترضون قائلين إنّ المعدن لا يطير، وإنّ هذا ضربٌ من الخيال.

كنتُ في حالة الإنكار نفسها بشأن وضعي المهني.

لم تكن لديّ أي موهبة في الرسم، وكنتُ غير قادرٍ على إيجاد عملٍ عاديٍّ.

ولكن إلى أيّ مدى قيّدت هذه الأفكارُ قدراتي؟

كانت راحة يدي اليسرى تضمّ «أناي» من المدرسة الثانوية، والتي حُفظت في التراب. أمسكتُ طرف الورقة المثنيّة على شكلٍ مربّعٍ، وفتحتُ أخيراً الكبسولة الزمنية.

أذهلتني رسالتي.

«سوف أرسم رسوماً ستبقى محفورةً في قلوب الناس».

كانت هذه الكلمات مكتوبةً بخطّ يدي فعلاً.

عاودتني ذكرى كتابتها بهدوء.

كانت هذه الذكرى قد انحرفت على مدى السنين، بحيث طبعت جملةً خاطئة في ذهني. كنتُ متيقناً بأنني كتبتُ يومذاك «سوف يخلّدها التاريخ». اعتقدتُ أنّ أحلامي الكبيرة قد حُطِّمَت، وزعمتُ بأنني الضحيّة، مُجرِّماً عالماً لا يتقبّلني ومجتمعاً يعجُّ بالشركات التي تستغلّ الموظّفين والعمّال. لكن في الأصل، لم تكن هذه رغبتي.

تذكّرتُ يدَي نوزومي وهما تنقذان الرسم الذي أردتُ رميه. وتذكّرتُ صوتها عندما قالت إنّها عشقته. رفضتُ سماع مديحها.

فبالنسبة إليّ، كان ذلك من باب المجاملة فقط. لأنني لم أكن أثقُ لا بنفسي ولا بالآخرين.

عفواً، هيرويا في سنّ الثامنة عشرة.

لم يفت الأوان بعد. بدل الرغبة في أن أترك اسمي في التاريخ، وهو هدفٌ بعيد المنال... ماذا لو رسمتُ رسماً واحداً فقط يبقى خالداً في قلبِ شخصٍ ما؟

ألم يكن هذا هو المكان الحقيقي الذي سيحتفي بي؟

ذهبتُ في اليوم التالي إلى المركز الاجتماعي مع دفتري للرسم وكلّ أنواع الأقلام.

كان كتاب **التطوّر: النظريّة بالصور** يضمّ عدداً من الصور التي أيقظت إبداعي، على غرار طائر كونفوشيوس. فسواء شاركتُ في مسابقةٍ أو لم أشارك، أردتُ أن أرسم بشكلٍ صحيحٍ.

عند مكتب الاستقبال، كان الرجل الأشيب يتناقش مع كوماتشي. مررتُ بجانبهما لكي أذهب إلى المكتبة.

أخذتُ الكتاب وحالما جلست، رحت أبحث عن صورةٍ لكي أرسمها. شعرتُ بغبطةٍ لم يسبق لي أبداً أن شعرتُ بها. ماذا لو رسمتُ خنفساءً طويلة القرنين؟ مع جناحَي خفّاشٍ على سبيل المثال. لماذا لا أرسم صورة والاس، بقلمٍ خشبيٍّ ذي رصاصٍ صلب؟

بينما كنتُ أتصفّح الكتاب وأنا في غاية الإثارة والحماسة، ظهرت كوماتشي. خاطبت نوزومي، الواقفة خلف منضدة مكتب الاستقبال:

- لن تعود السيّدة موروي إلى العمل لفترة.

رفعتُ رأسي نحوهما.

- لقد ولدت ابنتها في وقتٍ أبكر ممّا كان متوقّعاً. أعتذِرُ يا نوزومي، ولكن هل يمكنكِ أن تساعدي في المكتب حتى نهاية شهر مارس؟

هزّت نوزومي رأسها، بادية الامتعاض.

لم أتحمّل ذلك.

انتصبتُ على ساقيّ، إذ سبق ردُّ فعل جسدي تفكيري.

- المعذرة...

استدارت كوماتشي.

- أيمكنني أن أقوم بهذه المهمّة؟

لمعت حبّات العرق على جبيني. ماذا كنتُ أفعل؟

كان من غير المعقول أن تترك نوزومي المكتبة. فقد بذلت الكثير من الجهود لكي تصبح أمينة مكتبة.

كنتُ أجهل مضمون العمل، ولكن كان لديّ وقتٌ لا أعرف ماذا أفعل به.

حدّقت كوماتشي فيّ دون أن يرفّ لها جفن، ثمّ أفرجت عن ابتسامةٍ خفيفة.

كان الذهاب إلى المركز الاجتماعي منذ الساعة الثامنة والنصف صباحاً، أربع مرّاتٍ في الأسبوع، عملاً شاقّاً. ولكن في الحقيقة، كنتُ قد اعتدتُ على السهر حتى الفجر ومن ثمّ النوم حتى منتصف الظهيرة دون ضبط المنبّه. لكن ما إن تغلّبت على كسلي الصباحي واستنشقت نفحة من الهواء العليل من الخارج، حتى شعرت بالنشاط. كان جسدي الخامل يعدُّ من المتعب القيام بأعمال الترتيب والتنظيف في المركز الاجتماعي، ولكن بعد انقضاء بضعة أيام،

تلاشى الثقل الذي كنتُ أعانيه كلّ يوم. سيما وأنّه لم أكن قد تقاضيتُ أجراً عن عملٍ منذ زمنٍ طويلٍ، الأمر الذي جعل ذلك يبدو جديداً إلى حدٍّ ما بالنسبة إليّ. وقد عرفتُ منذ البداية ماذا سأفعل بهذه النقود.

كانت مهمّاتي هي الاستقبال، والتنظيف، وإدخال البيانات الحاسوبية، وتقديم المعلومات حول الدورات، ودعم المشاركين فيها. في الطابق الأوّل، حيث لم أذهب أبداً من قبل، كانت هناك مساحة واسعة مخصّصة لدورات الرقص والمؤتمرات. اكتشفتُ أنني قادرٌ على القيام بمهمّات مختلفة، مثل التنظيف وصيانة الأجهزة والمعدّات.

ردّدت كوماتشي على مسامع جميع الموظّفين بأنني أرسم، فطُلِبَت منّي رسومٌ لجريدة المركز الاجتماعي وللإعلانات. وعند تلقّي كلّ مجاملة وكلّما أبدى الناس إعجابهم برسمي، كنتُ أرفعُ في داخلي قبضتي يديّ إلى السماء. والغريب في الأمر هو أنّ الأطفال أيضاً أُعجِبوا برسومي.

سارت هذه الفترة في المركز الاجتماعي بهدوءٍ وسلام. كان هذا العمل مختلفاً تماماً عن كلّ أعمالي السابقة. لم أكن فاشلاً، وإنّما أخطأتُ فقط المكان الذي كان يجعل مني شخصاً مفيداً. وقد كنتُ كذلك في هذا المكان، ولو قليلاً. وقد مدّني ذلك بهدوء وسكينة كبيرين. كان وجودي هنا مرحباً به.

كان الناسُ من جميع الفئات يرتادون المركز الاجتماعي، ومن بينهم المعلّمون والتلاميذ الذين أتوا لحضور الدروس. كانت الأنشطة متنوّعة، من قبيل ورشات العلاج بالألوان والأشغال اليدوية.

كان الهدف العامّ من هذا المبنى هو توفير مكان يؤخَذ فيه كلّ سكان الحي في الاعتبار ويتمّ قبولهم وحثّهم على التفكير. وذلك لكي يُتاح لهم الاستخدام الأمثل لوقت فراغهم، والحصول على معارف جديدة وهوايات جديدة، والمجيء إلى مكان يوفّر لهم الهدوء.

كما أنني اكتشفتُ قدرتي على التواصل الاجتماعي، من خلال التحدث مع الزائرين، واللعب مع الأطفال.

في الأيام التي لم أكن أعمل خلالها في المكتب، كنتُ أقرأُ في المكتبة أو أرسم. وعلى نحوٍ غريبٍ، كانت الأفكار تتدفّق في ذهني دون انقطاع، كما لو أنني نزعتُ عنه النسيج الذي كان يغطّيه. في الماضي، عندما لم يكن لديّ أيّ عمل، لم يكن يراود ذهني أيّ شيء. ولم تكن لديّ حتى الرغبة في أن أرسم.

تناقشتُ مع زملائي بانتظام. كان الرجل الأشيب في مكتب الاستقبال، السيّد يوشيدا، مدير المركز الاجتماعي وموظّف في جمعية مؤسّسات المنطقة. وكانت هذه الجمعيّة مكلّفة بإدارة وصيانة البنى والهياكل التي أسّستها بلدية طوكيو.

خلال بحثي عن وظيفة، لم أركز سوى على المشاريع والمؤسسات التجارية، متجاهلاً وجود وظائف قريبة جدّاً منّي. ولو أنني وسّعتُ دائرة بحثي، لوجدتُ مكاناً يناسبني تماماً.

أصبحتُ ممتنّاً لأشياءٍ كثيرة: السماح لي بالعمل هنا، وجسدي الذي بات يطيعني، وابتسامات الزائرين.

وأصبحتُ ممتنّاً لأمّي على نحوٍ خاصٍّ.

هي التي لم تلمني على أيّ شيء أبداً، حتى في لحظة استقالتي من العمل.

هي التي حثّتني على الخروج من المنزل دون أن تضغط عليّ، بينما كنتُ غارقاً في الكسل.

لا بدّ أنّ الناس قد أعدّوني طفلاً مدلّلاً.

أثناء الاجتماعات العائلية، حينما كانوا يسألونني عن مهنتي دون أن يعرفوا شيئاً عن حياتي، عانيتُ القلق والتوتّر مرّات عديدة. لم تكن لِمَن طرحوا هذا السؤال أيّ نيّة سيّئة، وهذا ما كان يحزنني، إذ كان يُفترض بشابٍّ بالغٍ أن يعمل بعد تخرّجه من الجامعة.

لم تبالِ أمّي بنظرات الآخرين ولم تضغط عليّ.

عند عودة أخي، لن يتغيّر شيء. كنتُ جباناً فحسب. كيف استطعتُ أن أعتقد أنّها تفضّله عليّ؟

سوف أذهب لاستقباله في المطار كما ينبغي. وسوف نتمنّى له، أنا وأمّي، عودةً سعيدة.

قبضتُ راتبي الأوّل، وسلّمتُ المغلّف وفي داخله كامل المبلغ لأمّي، مرفقاً بباقة زهور.

عفواً، يا أمّي، وشكراً. لطالما أظهرتِ أنّكِ سعيدة بوجودي، ولكن في الواقع، لا بدّ أنّكِ كنتِ قلقة بشأني طيلة هذا الوقت.

رفضتِ استلام المغلّف دون أن تتفوّه بكلمة واحدة، دافعةً إياه نحوي. ثمّ ألصقت وجهها بباقة الزهور، وهي تذرف الدموع.

أبريل.

مرّت السيّدة موروي بالمركز الاجتماعي، مع ابنتها التي تحمل طفلها الرضيع.

- شكراً جزيلاً، يا هيرويا. لقد قدّمتَ لي مساعدةً كبيرة! أتعلم، الجميع يحبّونك هنا!

لم تكفّ عن الكلام. كان الطفل الرضيع يحدّق فيّ من خلفها، رزيناً بين ذراعي أمّه. وفي قمّة رأسه الذي لم يستطع رفعه بعد، كانت هناك شعيرات تتلوّى مثل لولبٍ. كان يشبه مونغر.

قالت السيّدة موروي:

- إنّه لطيفٌ، أليس كذلك؟ إنّه أجمل الأطفال! بالنسبة إليّ، لا أحد يضاهي جماله!

بعدما انتهى عقدُ عملي، واصلت العمل أربعة أيامٍ في الأسبوع.

لقد عُيّن موظّفٌ جديد، ولكنّ السيّد يوشيدا وظّفني أيضاً بكلّ لطف.

شرح قائلاً:

- لم أكن أبحثُ عن شخصٍ واحدٍ فقط، بل عن عدّة أشخاص. وإذ رأيتُك تعمل، أردتُ أن تبقى معنا.

كنتُ أجهل بأنّه بوسع المرء أن يحصل على وظيفةٍ من خلال إثبات نفسه وإظهار كفاءاته، وليس فقط من خلال النجاح في مرحلتَي السيرة الذاتية ومقابلة التوظيف.

كان لديّ عقدُ عملٍ بدوامٍ جزئيٍّ لمدّة عام، براتب ألف ومئة ين مقابل كلّ ساعة عمل. كان هذا يرضيني تماماً. سوف أظلُّ أعمل هنا، وأرسم... بحثاً عن طريقي، خطوة بخطوة.

في لحظة مغادرتها، قالت السيّدة موروي:

- آه، كنتُ سأنسى! لقد أحضرتُ علبة من كعك هاني دوم وسلّمتها لسايوري، خذ حصّتك منها!

- أشكركِ. يبدو أنّ السيّدة كوماتشي تحبّ هذا الكعك كثيراً!

ضحكت وهي تنظر بطرف عينها.

- لقد روت لي بأنّها التقت زوجها بفضل هذا الكعك! كانا قد مّدا يديهما نحو علبةٍ في نفس اللحظة في متجرٍ! وكان مشبك شعرها المفضّل هو هديّته لها بدل خاتم الخطوبة، حين طلب يدها للزواج!

- آه، حقّاً؟!

استولى عليّ شعورٌ لطيفٌ بالسعادة.

لكلٍّ حكايته الخاصّة...

خلال استراحة الغداء، ذهبتُ إلى المكتبة، حيث كانت نوزومي تضعُ كتاباً على أحد الرفوف.

قالت لي:

- لقد وصل الكتاب الذي حجزته!

كنتُ قد طلبتُ دليلاً عن أسماك أعماق البحار لكي أشارك في مسابقةٍ للرسم تجريها مجلّة فنّية. أردتُ أن أدفع إلى أقصاه عالمي الهوسي، المرعب، الفكاهي والمليء بالحبّ.

وأنا جالس إلى طاولتي أتأمل الصور الفوتوغرافية، سمعتُ صوت نقر أصابع كوماتشي على لوحة أزرار الحاسوب. تكتكتكتكتكتكتك. خلف الستار في قاع الغرفة، لمحتُ رجلاً تتدلّى حقيبة على كتفه. لا بدّ أنّها كانت تنصحه.

انفجرتُ بالضحك رغماً عنّي. كانت تشبه كينشيرو بكل تأكيد. لكنّ ما علّمتني إياه كوماتشي كان نقيض هجوم القبضات المئة.

كان شيئاً بسيطاً تماماً. في التطوّر الطويل للتاريخ...

في اللحظة الراهنة، كنتُ على قيد الحياة.

الفصل الخامس

ماساو، 65 عاماً، متقاعد

كان آخر يوم من شهر سبتمبر، وهو تاريخ عيد ميلادي الخامس والستين، آخرَ يومٍ في حياتي كموظّف أيضاً.

لم أحقّق إنجازات ومآثر مهنيّة تُذكر، ولكنني شغلتُ وظيفتي دون أي عقوبات على مدى اثنين وأربعين عاماً، وعُرِفتُ بجدّيتي في العمل.

أحسنت عملاً، سيّدي رئيس القسم.

شكراً على كلِّ شيء، سيّدي رئيس القسم.

اعتنِ بنفسك، سيّدي رئيس القسم.

تحت وابلٍ من التصفيق، أخذتُ باقة الزهور، وتركتُ الشركة خلفي، مشرقَ الوجه. انتابني شعورٌ بالوحدة بعض الشيء، لكنني ارتحتُ وشعرتُ بأنني قد أدّيتُ واجبي على أكمل وجه.

كنت قد واجهتُ الكثير من الأمور، على طريقتي الخاصّة. كنتُ أستقلُّ القطار في ساعة محدّدة كلّ يوم، وأجلسُ إلى مكتبي، وأركّز على المهمّات الأكثر إلحاحاً. اليوم، بلغت هذه الحياة المهنية

نهايتها. وما إن أصبحتُ خارج الشركة، ألقيتُ نظرة أخيرة عليها، وانحنيتُ باحترام، ثمّ أدرتُ ظهري وغادرت.

حسنٌ...

والآن؟

ماذا سأفعل في حياتي، بدءاً من يوم غدٍ؟

كان موسم أشجار الكرز المزهرة على وشك الانتهاء. سوف أذهب غداً للاستمتاع بها في الحديقة المجاورة.

لكن ما إن اتّخذتُ هذا القرار حتى غيّرت رأيي سريعاً، فقد سبق لي أن تأمّلتها بما فيه الكفاية.

كنتُ أُسارع كلّ عام إلى الخروج في أوّل عطلة نهاية أسبوع قبل أن تسقط البتلات، بعكس هذه السنة، إذ كنت قد رأيتها كلّ يوم، من طور البراعم حتى بلوغها الإزهار الكامل، وكلّما رغبت في ذلك، ضهراً ومساءً.

حينما كانت ابنتي تشيه صغيرة، كنتُ مشغولاً جدّاً في عطل نهاية الأسبوع بحيث لم يكن لديّ متّسعٌ من الوقت لأخصّصه لها، فيمضي فصل الربيع دون أن نستمتع معاً بمشاهدة أشجار الكرز المزهرة.

الآن وقد أصبحتُ حراً في قضاء وقتي كما يحلو لي، كانت ابنتي تسكن وحدها، إذ كانت قد استقلّت عنّا منذ بضع سنوات. ولكن حتى لو كانت تسكن معي، لما رغبت على الأرجح في الخروج للاستمتاع بأشجار الكرز المزهرة مع والدها العجوز.

منذ أن حصلتُ على تقاعدي قبل ستّة أشهر، أدركتُ ثلاثة أمور.

الأمر الأوّل هو أنّني في سنّ الخامسة والستين كنتُ أكثر شباباً ممّا توقّعت.

لقد أدهشني ذلك. لم أكن الجدّ الذي تخيّلته في طفولتي. لم أعد الشابّ الذي كنته سابقاً طبعاً، لكني لم أشعر بأنني عجوز على الأقل. لنقل إنني كنتُ لا أزال في سنّ النضج.

الأمر الثاني، والمؤلم، هو أنّه لم تكن لديّ أي اهتمامات خاصّة.

كنتُ أحبُّ أو أنتظرُ بعض الأشياء بفارغ الصبر. جعّة العشاء وسلسلتي التلفزيونية التاريخية يوم الأحد، على سبيل المثال. لكن كانت هذه عبارة عن لحظات يوميّة عابرة، وليست هوايات. لم تكن لديّ أي هواية، سواء كانت صناعة أشياء أو موضوعٌ يمكنه أن يُثير شغفي.

والأمر الأخير...

هو أنّه منذ تقاعدي، كنت قد أُقصيتُ من المجتمع.

عملتُ لزمنٍ طويلٍ في القسم التجاري، حيث اشتملت وظيفتي على التواصل مع الآخرين. ولهذا السبب، اعتقدتُ، خطأً بلا شكّ، أنني محاطٌ بالناس.

لقد فوجئتُ بأنني لم أتلقَّ لا هديّة رأس السنة ولا بطاقة معايدة، وبأنّه لم يكن لديّ صديقٌ واحد أذهب معه إلى المقهى. كانت علاقاتي كلّها علاقات مهنية محضة. وخلال الأشهر الستّة الأخيرة هذه، أُزيلَ وجودي من ذاكرة زملائي تماماً، رغم أنني قضيتُ اثنين وأربعين عاماً من حياتي في تلك الشركة.

كنتُ أشاهدُ التلفزيون شارد الذهن، حين عادت زوجتي يوريكو

من العمل. جالت ببصرها على الغرفة ثمّ تمتمت متوجّهةً نحو الشرفة.

- ماساو! كنتُ قد طلبتُ منك أن تلمّ الغسيل من الشرفة!

بئساً، لقد نسيت!

لم تكن يوريكو غاضبة.

قالت بنبرة واعظة:

- يا لك من غبي!

ثمّ فتحت باب الشرفة وانتعلت قبقابها.

- آسف.

سحبتْ الألبسة من منشر التجفيف. التقطتُها من يدها وأعدتُها إلى الداخل. كانت الألبسة المنشورة تحت أشعّة الشمس قد جفّت تماماً وفاحت منها رائحةٌ زكيّة.

وإذ لم أكن أشارك أبداً في الأعمال المنزلية، كنتُ أنسى غالباً طلبات زوجتي. ولو أنني واصلتُ التكاسل في البيت، لذاب جسدي ودماغي بكلّ تأكيد، وفقدتُ ذاكرتي على نحوٍ متزايدٍ. وقد اختارت زوجتي، الكريمة جداً، أن تسخر من الأمر، بعد أن فقدت الأمل وأيقنت أنّ غضبها لن ينفع في شيء.

لملمتُ بصعوبة قطع الغسيل الصغيرة من المنشر. لم أكن أعرف شيئاً عن طي الملابس الداخلية ولذلك بحثتُ عن مناشف الحمام لكي أبدأ بما هو أكثر سهولةً.

- آه، بالمناسبة!

أخرجت يوريكو من حقيبة يدها ورقةً مطبوعة، مروّسة بأحرف كبيرة بعبارة «دورة لعبة الغو».

- لقد سبق وحدّثتكَ عن أحد تلاميذي، السيّد ياكيتا. لقد

أخبرني بأنّه بدأ بتعليم لعبة الغو في المركز الاجتماعي منذ بداية شهر أبريل. ظننتُ أنّ الأمر قدْ يهمّك.

- ياكيتا؟ أهو الرجل الذي أنشأ موقعاً إلكترونياً عن الأزهار البرّية؟

- تماماً. ويقول إنّه إذا ما تسجّلتَ في الدورة، لن تدفع سوى ثمن جلستين لأنّنا في منتصف الشهر.

كانت يوريكو أستاذة معلوميات.

حتى سنّ الأربعين، عملت كمهندسة نُظم في شركة متخصّصة في مجال تقنيات المعلومات، ثمّ بدأت العمل على نحوٍ مستقلّ، فأصبحت عضواً في مؤسّسة كلّفتها بإعطاء الدروس وعقد الندوات. وكانت كلّ يوم أربعاء تُدرّسُ في المركز الاجتماعي. لم أكن أعرف شيئاً عن المعلوماتية، ولكن في المستقبل، سوف تكون المهارات في هذا المجال ميزة كبيرة. علاوة على ذلك، لم يكن لمهنتها عمرٌ محدّد.

- يبعد المركز الاجتماعي مسافة عشر دقائق سيراً على الأقدام فقط. هل تعلم أين تقع مدرسة هاتوري الابتدائية؟ المركز الاجتماعي ملحقٌ بها.

- دروس في لعبة الغو... لم يسبق لي أن لعبتُ هذه اللعبة.

صاحت من المطبخ، وهي تلفّ مريولها حول خصرها:

- هذا سببٌ إضافي لتنضمّ إلى الدورة! تعلّمُ لعبة جديدة أمرٌ مسلٍّ.

كانت في السادسة والخمسين من عمرها. وبسبب فارق السن بيننا الذي يبلغ تسع سنوات، سماها بعد زواجنا المقرّبون منّا «زوجتي الشابّة». وقد اختفى هذا اللقب مع مرور السنين، لكنّ

يوريكو كانت لا تزال تميل إلى اعتبار نفسها «زوجتي الشابّة». وفي الواقع، بسبب استمرارها في العمل، كانت تفيض بالحماسة والشباب. ففي الآونة الأخيرة، تألق الكثير من النساء في عملهنّ بعد سنّ الخمسين، مسلحات بثقتهن بأنفسهن.

لعبة الغو...

استغرقتُ في التفكير، والمنشور في يدي.

لماذا لا أجعل من هذه اللعبة هوايتي؟ إنّها تقليديّة، ولكن لا بأس بها، وسيعملُ هذا على تنشيط دماغي.

كان الدرس المقبل سيقام يوم الاثنين عند الساعة الحادية عشرة صباحاً. ألقيتُ نظرةً على التقويم المليء تماماً، حيث كانت كلّ المواعيد تخصّ يوريكو، ولم يكن هناك موعد واحد لي.

صباح يوم الاثنين، ذهبتُ إلى المركز الاجتماعي.

كنتُ أعرفُ موقع مدرسة هاتوري الابتدائية، ولكنني وجدتُ البوّابة مغلقة، فاستحال عليّ الدخول. ضغطتُ على زرّ الهاتف الداخلي، فردّت امرأة.

- نعم؟

- صباحُ الخير، لقد جئتُ من أجل درس لعبة الغو.

- عفواً؟

- درس الغو. في المركز الاجتماعي.

- آه!

كانت تعمل في المدرسة. تبيّن لي أنّ المدخل مستقلٌ ولذلك توجّب عليّ أن ألتفّ حول السور الخارجي وأتّبع العلامات الإرشادية حتى أصل إلى الباب الخلفي.

في الواقع، لم يكن المبنيان متّصلين، بل متجاوران. ومن خلال السير على الرصيف على طول جدار السور، وجدت لوحة إعلانية تعلن: «المركز الاجتماعي من هنا».

فسلكتُ زقاقاً، ووصلتُ إلى مبنى أبيض منفصلٍ عن باحة المدرسة بسياجٍ معدني.

فتحتُ البابَ. على يمين الباب مباشرة، كان مكتبَ الاستقبال، وفي نهاية الممرّ، غرفة. كان صبيٌّ يرتدي قميصاً أخضر يجلس خلف حاسوبٍ.

لمّا لاحظ حضوري، خرج رجلٌ ذو شعرٍ أبيض كثيفٍ من المكتب.

- تفضّل واِمْلَأْ هذه الوثيقة.

كان عليّ أن أسجّل اسمي، وسبب مجيئي إلى المركز، والتوقيت في الاستمارة الموضوعة على المنضدة. أمسكتُ بالقلم الجاف.

- لقد تُهتُ في الطريق! أخبرتني زوجتي أنّ المركز الاجتماعي ملحقٌ بالمدرسة، فاعتقدتُ أنّه يقع ضمن السور.

راح الرجلُ يضحك.

- هذا لأنّه في الماضي كان هذا المبنى جزءاً من المدرسة. أما اليوم، فممنوع الانتقال من مكان إلى آخر لأسباب أمنية.

- آه، حقّاً؟

- لقد أُنشئ هذا المبنى أساساً لتعزيز التواصل بين التلاميذ وسكّان الحي. ولكن في أيامنا هذه، كَثُرَت الجرائم، ويجب حماية الأطفال قبل كلّ شيء، فتم إقفال البوّابة الرئيسية للمدرسة. والكثير منهم لا يأتون إلى هنا إلّا بعد نيل شهادتهم.

علّقتُ وأنا أملأُ الاستمارة:

- فهمتُ.

«ماساو غونو».

كانت فُرَص المناداة باسمي قد تضاءلت بشكلٍ كبيرٍ. وتعود آخر مرّة نودي فيها عليّ باسمي إلى الشهر الماضي في عيادة طبيب الأسنان.

جرت دورة لعبة الغو في قاعة مؤثّثة على الطراز الياباني. خلعتُ حذائي، ووضعتُ قدمَي على الحصير الياباني تاتامي.

كان عدة لاعبين يتواجهون بالفعل، وكان رجل مسنّ، بوجهٍ ذي تقاطيع حادة، يجلسُ وحيداً.

وما إن رآني، حتى سألني:

- السيّد غونو؟

لا بدّ أنّه السيّد ياكيتا. رغم سنوات عمره الخمس والسبعين، كانت بشرته مشرقة ومليئة بالحيويّة.

- صباح الخير! لقد حدّثتني زوجتك عنك على الهاتف.

- أشكركَ على أنّك سمحت لي بحضور درسك.

- على الرحب والسعة.

ذكّرني هذا التهذيب في التخاطب بعالم العمل. لم أتحدّث بهذه الطريقة منذ زمنٍ طويلٍ.

وضع أمامي لوحة **غوبان** ثمّ شرح لي موضع أحجار اللعبة. أين يجب وضعها، وبأيّ ترتيبٍ، وكيف يُحدّدُ اللاعب الذي يلعب أوّلاً. أي القواعد الأساسية للعبة.

أصغيتُ إليه وأنا أومئ برأسي، حين فاجأني بالقول:

- زوجتك رائعة.

- عفواً؟

رفعتُ رأسي، ورأيته يحكّ ذقنه.

- نعم، السيّدة غونو. أنا أحسدكَ. إنها تعمل، وهي سريعة البديهة، وعلاوة على ذلك، مهذّبة وتراعي شعور الآخرين. ولكن بما يخص الزواج، لقد سبق وكانت لي تجربة مريرة معه.

باختصار، كان مطلّقاً ويعيش وحيداً. ولأنني لم أعرف بماذا أردّ عليه، اكتفيتُ بكلمة «حسناً» لامبالية وأنا أنظر إلى أحجار اللعبة، حين راح يثرثر.

- كان ما يُسمّى «طلاقاً رماديّاً». عندما كنتُ أعمل، حتى وإن تشاجرنا في الصباح، كنتُ أذهب إلى المكتب، ولدى عودتي في المساء، كان الوضع يبقى غالباً معلّقاً، أو نتصالح سريعاً. ولكن منذ أن بدأتُ أمضي أيامي في البيت، كنا نرى بعضنا لوقتٍ أطول، فلم تكن لدينا الفرصة لتصفير المشكلات بيننا. ولكن لا بأس، لقد عشتُ معها عقوداً من الزمن، وكانت نصفي الآخر.

- فهمت...

- بدءاً من عمرٍ معيّن، وبين ليلةٍ وضحاها، لا تعود النساء يتساهلن مع ما كنّ يتحمّلنه سابقاً. فعند نهاية حياتنا المشتركة، لم تعد تتحمّل حتى اختياري لجواربي! كانت تصرخ في وجهي: «ما هذه الفظاعة؟».

يا له من ثرثار. لا بدّ أنّ الإصغاء إليه وهو يتحدّثُ عن حياته كان ممرّاً إجباريّاً لكلِّ مبتدئٍ في هذه الدورة. ألقيتُ نظرة إلى جواربه وكانت تحمل رسومَ حراشف السمك، ولكنني تأسّفتُ لكونهما انفصلا لسببٍ تافهٍ كهذا، وضحكتُ بارتباكٍ.

- لقد ذُهلت تماماً يومَ قدّمت إليّ استمارة طلب الطلاق. لكن لحسن الحظّ، كنتُ شغوفاً بلعبة الغو مذ كنتُ في العاشرة من عمري، وكانت لديّ مشاريع أخرى مثل البستنة واكتشاف الأزهار البرّية. كان لديّ ما أستمتعُ به في الحياة. أصبح كلانا أعزبين من جديد، فقرّرتُ أن أستمتع بحياتي الجديدة كرجل يعيش وحيداً. وفي النهاية، حصلتُ على شيءٍ إيجابي من هذه التجربة.

أثارت كلماته فضولي. الشيخوخة والإحالة على التقاعد والطلاق والبقاء عازباً، كلّ هذا لا يحول دون العيش بسعادة وبصحّة جيّدة إذا ما مارس المرء هواياته. علاوة على ذلك، كان يعلِّم لعبة الغو، وينضمّ إلى جمعية بالتأكيد، ولديه حديقة. كما أنّ موقعه على الإنترنت، الذي أنشأه بفضل دروس يوريكو، يجذب عدداً من الزائرين.

- بعد ستّة أشهر من إحالتي على التقاعد، تغيّر سلوك زوجتي. عليك أن تكون حذراً، أنت أيضاً، همس لي كما لو أنّه ينقلُ إليّ معلومة أكثر أهمية من قواعد لعبة الغو.

حان وقت انتهاء الدرس.

كانت هذه اللعبة أكثرُ تعقيداً بكثير ممّا تصوّرت. شرح لي ياكيتا كلّ شيء شفويّاً دون أن يدعني أسجّل الملاحظات، فلم أتذكّر شيئاً بعد انتهاء الدرس.

شعرتُ بالضجر، ولكنني كنتُ قد دفعتُ مسبقاً أجرة درسَي شهر أبريل. كان عليّ أن أعود مرّة أخرى لكي لا أرمي نقودي هباءً.

حين غادرتُ القاعة، مرّ صبيٌّ أمامي، وهو الصبيُّ ذو القميص الأخضر الذي كان جالساً أمام الحاسوب لحظة دخولي. تابعته

بنظري، ولمحتُ لافتة «المكتبة» تعلو الباب في نهاية الرواق. دخل الصالة.

هناك مكتبة أيضاً في هذا المركز الاجتماعي!

سوف أجدُ فيها بكلّ تأكيد دليلاً لتعلّم لعبة الغو، يمكنني الاطلاع عليه في الحال.

تعقبتُ خطوات الصبيّ ذي القميص الأخضر، وتوجهتُ نحو المكتبة.

كانت ذات حجمٍ متواضعٍ، وجدرانها مغطّاة برفوفٍ مكتظة بالكتب. وعدا عن الصبيّ ذي القميص الأخضر وفتاةٍ ترتدي مريولاً أزرق داكناً، واللذين ألقيا التحيّة على بعضهما، لم يكن هناك أحدٌ في الصالة.

أين يمكنني العثور على كتابٍ حول لعبة الغو؟ كنتُ أنظر إلى الرفوف من حولي، حين تجاوزتني الفتاة وبين ذراعيها كومة من الكتب. بحسب شارتها التعريفية، كان اسمها نوزومي مورياغا.

- عفواً، أنا أبحثُ عن كتابٍ عن لعبة الغو...

ابتسمت ابتسامةً رائعة، وأشارت بإصبعها إلى الطرف الآخر من المكتبة:

- ستجده هناك!

كان رفّ الهوايات يضمّ عدداً من الكتب حول لعبة الغو ولعبة الشطرنج الياباني **شوغي**، ما فاجأني حقاً، إذ اعتقدت أنّه لن يكون هناك الكثير حول الموضوع.

- هناك العديد من الكتب حول هذه اللعبة!

ردت نوزومي وهي تجول معي أمام الرفّ:

- من الصعب اختيار دليلٍ حول موضوع لا نفقه فيه.

كانت نوزومي تضع نفسها في مكان القرّاء، وتؤدّي بذلك عملها على نحوٍ ممتاز.

- لم يسبق لي أن لعبتُ لعبة الغو، ولكن أمينة المكتبة موجودة هناك ويمكنها أن تنصحك.

لم يكن الأمر يتطلّب هكذا مساعدة، لكن بما أن الفتاة عرضت عليّ ذلك، لمَ لا؟

توجّهت نحو لافتة «الاستشارات» وألقيتُ نظرةً خلف الستار المُستخدَم كلوحةِ إعلانات.

توقّفت ساقاي فجأةً عن الحركة.

كانت هناك امرأة ضخمة، جسمها البدين يضغطُ على قميصها الأبيض بشدّة بحيث بدت أزراره على وشك أن تتطاير. كان مشبكٌ مزيّنٌ بزهورٍ بيضاء مغروزاً في كعكة شعرها. وإذ كانت بيضاء من قمّة رأسها إلى أَخْمَصِ قدمها، بما في ذلك بشرتها، ذكّرتني بنموذجٍ ضخمٍ من قطعة حلوى **كاغامي موتشي** اليابانية، تلك الحلوى المكوّنة من زوجٍ مكوّمٍ من كعك الموتشي المستدير والتي تزيّن معابد الشنتو في فترة رأس السنة.

دون أن تنتبه لحضوري، كانت تحرّك يديها، مطأطئة رأسها. نظرتُ إليها بمزيدٍ من التركيز، ورأيتُ أنّها تغرز إبرةً في كرةٍ من الصوف. لم تشجّعني هيئتُها العابسة على الاقتراب منها.

لم يكن هناك شيء يُرغمني على أن أسألها. ولذلك قرّرتُ أن أختار كتاباً بنفسي.

وقعت عيناي فجأةً على علبة الكعك التي كانت في متناول يدها. كان لونها البرتقالي الغامق مألوفاً بالنسبة إليّ.

كانت العلبة مفتوحةً وغطاؤها موضوع جانباً. لم تكن تحتوي

على كعكٍ، بل على إبَرٍ وزوجٍ من المقصّات. كانت أمينة المكتبة قد حوّلتها إلى علبة لعدّة الخياطة.

بشكلها السداسي على هيئة خليّة نحل، وفي وسطها أزهار بيضاء، كانت علبةً لكعك هاني دوم، من إنتاج شركة كوريميادو... الشركة التي عملتُ فيها عقوداً من الزمن.

بدافع الفضول، انحنيتُ إلى الأمام لأتفحّص داخل العلبة.

وفجأةً، رفعت أمينة المكتبة رأسها.

- عمَّ تبحث؟

«عمّ تبحث؟».

تردّد صدى هذا الصوت الناعم والبارد للغاية في آنٍ واحدٍ في أعماق كياني.

ما كنتُ أبحثُ عنه... ما الذي سأفعله بما تبقّى من حياتي؟

حدّقت فيّ. لمحتُ في نظرتها الحادة الشَّفَقة الصامتة لبوداسف غوانيين[1].

أجبتُ بحذرٍ:

- كتابٌ عن لعبة الغو فحسب. لقد لعبتُها اليوم لأوّل مرّة، ولكنّها كانت صعبة حقاً.

أمالت رأسها، وطقطقت رقبتها. نظرتُ إلى شارتها التعريفية: كان اسمها سايوري كوماتشي. وضعت الإبرة وكرة الصوف في العلبة وشرحت لي وهي تُغلق غطاء العلبة:

---

(1) آلهة العطف والشفقة في الديانة البوذية اليابانية - المترجم.

- الغو لعبة عميقة. الأمر لا يتعلّق بالاستيلاء على مواقع الخصم فحسب، بل هي تجعلنا نفكّر في الحياة والموت أيضاً. كلّ لعبة هي مغامرة بحدّ ذاتها.

- لم أكن أعلم أنّها لعبةٌ جدّية إلى هذا الحد.

في نهاية المطاف، لم تكن لعبةً حقاً، لأنّ اللعبة، كما الهواية، من المفترض أن تجلب الفرح والمتعة.

قلتُ وأنا أحكّ رأسي، قاصداً تغيير الموضوع:

- هذه اللعبة ليست لي إذاً. هل تحبّين هذه؟

- ماذا؟ سألت كوماتشي مستغربةً وهي ترمقني بنظرةٍ.

أشرتُ بإصبعي إلى علبة الكعك.

- كعك هاني دوم من إنتاج معمل كوريميادو. في الحقيقة، لقد عملتُ هناك لغاية السنة الماضية.

وسِعت عينا كوماتشي الضيّقتان فجأةً، ثمّ أخذت نفساً عميقاً، وابتسمت كما لو أنّ الروح عادت إليها، ثم راحت تغني ونظرها شارد في الفراغ.

«دو دو دو دو
كم هي ممتلئة
دو دو دو دو
كعك هاني دوم
كعك هاني دووووم
من كوريميادووو!».

كانت هذه دعايةً تُبثُّ باستمرار منذ ما يقارب الثلاثين عاماً.

وكي لا يسمعها أحدٌ خلف الستار، دندنت كوماتشي بصوتٍ منخفضٍ جدّاً، بصوتٍ رقيق لا يمكن التصوّر أنّه صادر عن سيّدة

بهذه البدانة. وقد أطالت غناء نوتة «هاني دوم» الأخيرة وحوّلتها إلى «دووووم»، مبتهجةً مثل طفلةٍ.

جعلتني هذه الأغنية غير المتوقعة أجفل أولاً، ثمّ شعرتُ براحة كبيرة، بحيث كدتُ أذرف دمعةً.

استعادت كوماتشي هيئتها الرزينة، كما لو أنّها عادت إلى طبيعتها.

- إن تكرار صوت «دو» يُحيلُ إلى العديد من الكلمات، أليس كذلك؟ «دوم»، و«دو»، من كلمة «كوريميادو»، وربّما أيضاً نوتة دو الموسيقية.

- أنتِ محقةٌ تماماً.

كانت هذه اللازمة مشهورة، ولكن كانت الأغنية أطول بكثير في الحقيقة، حتى أن خاتمتها ضمّت بعض الكلمات بالإنجليزية. كان الهدف من ذلك إرضاء الجميع، أيّاً كان العمر، والجنس، والجنسية.

حنت كوماتشي رأسها باحترام.

- أشكرك على هذا الكعك الممتاز.

- لم أكن أنا من يصنعه، قلت بمرارة.

هذا صحيح، لكني كنتُ أنصحُ الناسَ به كما لو أنّه من صنع يدي، فقط لأنني كنتُ أعمل لدى كوريميادو. وفي الماضي كما اليوم، كنتُ أشعر بالسعادة كلّما تحدّث عنه أحدٌ بعباراتِ ثناءٍ.

أما الآن...

- أما الآن، فلم أعد أعمل هناك...

انقبض صدري. نظرتْ إليّ كوماتشي. بدت هادئة ورائقة، وذات قلبٍ كبير.

لطالما أردتُ أن يُصغى إلى حكايتي. أردتُ أن أفتح قلبي لكوماتشي طويلة القامة والبيضاء هذه، الجالسة أمامي ، والتي على نحوٍ ما - وقد يكون من غير اللائق وصفها على هذا النحو- آتية من مكانٍ آخر.

- بالنسبة إلى أمثالي من موظّفي الشركات، الخروج إلى التقاعد يعني أن يُقصى المرء عن المجتمع. عندما كنتُ أعمل، كنتُ أرغب في وقتٍ للراحة، أما الآن وقد بات الوقتُ متوفّراً، فلا أدري ماذا أفعل به. لا تنفعني بقية حياتي في شيء.

سألتني ببرود:

- ماذا تقصد بالبقية؟

فكّرتُ في سؤالها.

- الفائض. ما هو أكثر من اللازم.

تفوّهتُ بهذه الكلمات مع لمسةٍ من انتقاص الذات. أمالت كوماتشي رأسها إلى الجانب الآخر، وطقطقت رقبتها.

- لنفترض أنني أكلتُ عشر كعكات هاني دوم من علبة تحتوي على اثنتي عشرة كعكة.

- أوه... ماذا إذاً؟

- هل ستكون الكعكتان الأخيرتان «الفائض»؟

- . . .

ظلّت شفتاي مطبقتين. أثار هذا السؤال جذور المشكلة، ولكنني لم أجد الكلمات المناسبة للردّ عليه.

استقامت في جلستها وأنا لا أزال صامتاً، وأخذت مكانها أمام حاسوبها. وضعت يديها على لوحة المفاتيح، مثل عازفة بيانو. وبعدها. . .

تكتكتكتكتكتكتكتكتك! نقرت على أزرار لوحة مفاتيح حاسوبها بسرعة مذهلة. كيف أمكنها تحريك أصابعها السمينة بهذه السرعة الهائلة ؟ وأنا أراقبها، مذهولاً، انتهت إلى الضغط على زرٍّ بقوة: انطلقت الطابعة، وخرجت منها ورقة.

سلّمتني إياها كوماتشي. كان عليها جدولٌ يضم قائمةً من الكتب، وأسماء مؤلّفيها، ورقم الرفّ الذي يحتويها.

أساسيّات لعبة الغو، الهجوم والدفاع؛ الغو للمبتدئين؛ ممارسة لعبة الغو، المستوى 1.

وفي الأسفل: **نبات الكاحل والضفادع.**

وإلى جانب هذا العنوان الأخير، كانت هناك بين قوسين **أشعارٌ للأطفال، المجلّد 20** واسم الكاتب، شينبي كوسانو.

شِعرٍ؟ شينبي كوسانو كان شاعراً فعلاً.

لماذا هذا الكتاب؟ ما علاقته بلعبة الغو؟ كنتُ أحدّقُ في الورقة حين مدت كوماتشي يديها إلى أدراج مكتبها الخشبية، وفتحت الدرج السفلي وأخرجت منه شيئاً.

- تفضّل، هذا لك.

مدّت لي قبضة يدها المضمومة ووضعت في يدي شيئاً من الصوف الأحمر: جسمٌ مربّع مع ملقطين صغيرين.

- سرطانٌ؟

- إنها هدية إضافية صغيرة.

- هدية إضافية صغيرة؟

- نعم، مع الكتاب.

- آه، حسناً...

لم أفهم. حدّثتها عن لعبة الغو، وخرجتُ مع قصةٍ عن ضفادعٍ وسرطانٍ.

تفحّصتُ المفاصل الدقيقة لقوائم السرطان.

شرحت لي كوماتشي:

- يُدعى هذا الفنُّ التلبيد بالإبرة. يمكننا أن نصنع من خلاله أشياء من كلّ الأشكال والأحجام، دون حدود.

التلبيد بالإبرة. حسدتُها لامتلاكها ولو هواية واحدة.

- وهو عملٌ أيضاً. عملٌ يدويٌّ.

- حقّاً؟

رفعتُ رأسي، إذ شعرتُ بأنها أرادت لكلماتها أن تحملُ معنىً ما، ولكن أزالت كوماتشي غطاء علبة هاني دوم، وأخرجت منها الإبرة وكرة الصوف، واستأنفت نشاطها بتركيزٍ.

فهمتُ من ذلك أنّها لم تعد ترغب في التواصل، كما لو أنّها أقامت حاجزاً مانعاً لكلّ اقتراب. وإذ لم يعد أمامي أيّ خيار، دسستُ السرطان في حقيبتي الصغيرة المثبّتة إلى خصري، وتقدّمتُ ممسكاً بالورقة نحو رفوف الكتب.

استعرتُ الكتب التي نصحتني بها كوماتشي، وبعد تناول العشاء، أخذتها إلى الغرفة التي كانت غرفة ابنتي سابقاً، والتي تُستخدَم اليوم مستودعاً لأغراض العائلة.

في سنّ الخامسة والثلاثين، اشتريتُ شقّةً جديدة تحتوي على ثلاث غرفٍ، ولكنّها تهالكت بعض الشيء الآن. فقلّما كنّا نتلقّى الزيارات، ما جعلنا نترك الأضرار الصغيرة على حالها، بما في ذلك

البقع على الجدران، والثقوب في فواصل **فوسوما** الورقية، والأبواب التي تصدر صريراً.

اتّخذنا الغرفة المؤثّثة على الطراز الياباني غرفةَ نومٍ، واستخدمنا الغرفة الأخيرة كقاعة للمعلوماتية. كانت هذه حصنَ يوريكو المنيع، الذي لم أجرؤ على دخوله.

جلستُ إلى مكتب ابنتي تشيه التي استخدمته وهي تلميذة مدرسة، ووضعتُ كتبي.

تصفّحتُ الكتب المتخصّصة بلعبة الغو، إلا أنّ الموضوع لم يعد يستهويني حقاً، على الرغم من أنني طلبتُ هذه الكتب بنفسي. صَعُب عليّ تصديق أنّها تحمل في طياتها مغامرةً تجعل المرء يفكّر في الحياة والموت.

وكان هناك ذلك الكتاب الذي تزيّن لوحةٌ ريفيّة غلافَه، والذي بدا وكأنني استعرته خطأً.

نبات الكاحل والضفادع.

حملت لوحةُ الغلاف صورةَ ثلاثةِ ضفادع ، ونهرٍ يجري في الوسط، وبقعٍ ورديّة على ضفّته، أرادها الفنان على الأرجح أن تجسِّد أشجار كرز مزهرة. ولا بدّ أن هذه اللوحة المبهجة المرسومة بأقلام الباستيل جعلت الأطفالَ يرغبون في أن يمسكوها بأياديهم.

فتحتُ الكتاب وقلبتُ صفحاته، وقرأتُ عنوان المقدّمة: «لقاءٌ مع قصيدة».

كان الناشرُ تاكاشي ساوا هو من كتبها، وليس الكاتب. ولأنّها كانت طبعةً خاصة لصغار السنّ، كان النصُّ بسيطاً، ولكنّه نقل شغفَ الناشر بالشِعر وبالشاعر شينبي كوسانو.

أوصانا ساوا، عند قراءتنا قصيدة جيّدة، بنسخها بالكامل أو

الجزء الذي أعجبنا فقط، لكي ننشئ ديواننا الشعري الخاصّ.

«نحن نتأثر أكثر عندما نلامس قلبَ الشاعر وحياتَه، وكأننا نشعر معه، ونعيش معه».

نعيش مع الشاعر؟ كانت هذه مبالغة. راودتني الشكوك.

عند قراءة الجملة التالية، «أنتم أيضاً، إذا شعرتم بالرغبة في كتابة قصيدة، لا تتردّدوا»، انفجرتُ ضاحكاً، وصحتُ:

- لا، شكراً!

في المقابل، لم أكن ضدّ فكرة نسخ قصيدةٍ، خاصّة إذا كان نسخُ مقتطفٍ كافياً. كما أن مصطلح «ديوان» أعجبني. بدا هذا أسهل من تعلّم لعبة الغو، وبما أنني كنتُ صاحب مزاجٍ أدبي، كان هذا يناسبني تماماً.

هل لديّ دفترٌ؟ فتحتُ درج المكتب ونبشتُ في داخله، ووجدتُ دفتراً يحمل على أوّل صفحتين بضع جملٍ باللغة الإنجليزية مكتوبة بخطّ يدي.

كانت تلك الكتابة تعود إلى حوالي عشرين سنة، عندما حاولتُ أن أتعلّم اللغة الإنجليزية من خلال دورة عبر أثير هيئة الإذاعة اليابانية. فأنا أيضاً، كنتُ متعطّشاً للتعلّم، كما اعتقدتُ أنني سأستفيد من اللغة الإنجليزية في عملي، وقد أجعل منها هوايتي حتى. لكنني تخلّيتُ عن الفكرة سريعاً، معتبراً أن لا جدوى منها وقد تخطيتُ الأربعين من عمري. ومع ذلك، لو أنني درستُ كلّ يومٍ ولو صفحةٍ واحدة، لكنتُ أتحدّثُ اللغة الإنجليزية بطلاقة الآن.

لن أعود إلى هذه الدورة التعليمية مرّة أخرى. مزّقتُ تينك الصفحتين ورميتُهما بعيداً.

قلبتُ دفتري البكر أفقيّاً لكي أكتب عموديّاً.

وبعد قراءة ثلاث قصائد، نسختُ القصيدة الأولى بقلمٍ أخذته من علبة الأقلام. كان عنوان القصيدة **نشيدٌ للربيع**.

«أوه، كم هذا مبهر.
أوه، يا لها من سعادة.

مياهٌ مالسة.
ونسيمٌ لطيف.
كيلولون كوك.
آه، يا لها من رائحة طيّبة»(*).

استمرّت القصيدة، ولكنني وضعتُ القلم من يدي.

عبارة «كيلولون كوك»، المكرّرة أربع مرّات، لا بدّ أنّها غناء الضفدع. وكان هذا إبداعاً جميلاً اً يمثل إيقاعاً متناغماً.

استغرقتُ في قراءة هذا الديوان لبرهةٍ.

اعتقدتُ أنّه لا يضمّ سوى نصوص تفاؤلية، على غرار **نشيدٌ للربيع**، ولكن كانت هناك نصوصٌ أخرى، كئيبة وحزينة.

وبعد بضع صفحات، وصلتُ إلى قصيدةٍ عنوانها **كاجيكا**.

كان هذا النصّ الآسر ينفتحُ على محاكاةٍ صوتية: «كيكيكيكيكيكيكي كييلو كييلو كييلو كييلو». دوّنتها، نظراً لأنّها بدت لي غامضة وملغزة.

(*) تروي هذه القصيدة أحاسيس ضفدعٍ في الربيع، بعد يقظته من السُبات الشتوي. من وجهة نظر أسلوبية، عُرِفَ شينبي كوسانو بإنهاء أبياته بنقطة (ملاحظة من مترجمة النسخة اليابانية الأصلية).

ما الذي يترجمُه هذا الصوت؟ **الكاجيكا** هي سمكة من نوع قُدّ الأنهار.

وإذ لم أعثر على أيّ إشارةٍ في النص، لم أحصل على جوابٍ لسؤالي. علاوة على ذلك، لم أستطع تكوين معنى في مخيلتي لعبارات مثل «الليلُ عالقٌ على الحدود» أو «وميض الخياشيم».

أعدتُ نسخ النصّ حتى «كيكيكيكيكيكيكي» ثمّ توقّفت عن ذلك.

فبعد الغوص في الأمر، لم يكن الشعرُ بسيطاً هو الآخر. بل ربّما هو أصعب من تعلّم قواعد لعبة الغو. أغلقتُ دفتري.

بعد ظهيرة اليوم التالي، ذهبنا أنا ويوريكو إلى مركز إيدن التجاري، الذي لم أكن سمعت عنه من قبل.

كانت إحدى تلميذاتها في دورة المعلوماتية، وهي موظّفة في قسم الألبسة النسائية الجاهزة، قد حدّثتها عن هذا المركز مؤخّراً. كانت لدى يوريكو رخصة قيادة، ولكنّها قلّما كانت تقود السيارة، فطلبت مني أن أستقيلها إلى هناك، إذ كان المتجر بعيداً بحيث لا يمكننا الذهاب إليه سيراً على الأقدام. لم يكن لديّ أيّ سبب لرفض طلبها.

توجّهنا نحو مرآب السيارات في عمارتنا.

- أوه، سيّد إيبيغاوا!

نادت يوريكو على الحارس المنهمك في اقتلاع الأعشاب الضارّة المحيطة بالسياج. التفت نحونا. كان هذا الرجل ذو الوجه البيضوي، الذي تجاوز منتصف العمر، قد وظِّف ليحلّ محلّ الحارس الذي سبقه. حيّته يوريكو بلطفٍ.

- شكراً لنصيحتك. لقد نظّفتُ مكابح درّاجتي بحسب إرشاداتك، وهي الآن سليمة تماماً!

عندما أخبرتْه يوريكو الأسبوع الماضي في موقف الدرّاجات الهوائيّة أنّ مكابح درّاجتها لا تعمل على نحوٍ جيد، نصحها بأن تنظّف زلّاجاتها بمادةٍ منظفة معينة.

قال ضاحكاً:

- العفو! أنا سعيد أن المشكلة قد حُلّت. كنتُ أُديرُ متجراً للدرّاجات الهوائيّة فيما مضى.

ثمّ واصل اقتلاع الأعشاب الضارّة. كان مرحاً، ولكنّه ليس ثرثاراً.

وما إن عبرنا الباب، حتى باحت لي يوريكو:

- حينما يكون في الخارج، يبدو السيّد إيبيغاوا شخصاً مختلفاً تماماً. ربما لأنّه يعتمرُ تلك القبّعته الصوفيّة الجميلة خارج أوقات العمل.

- شخصٌ مختلفٌ تماماً؟

- نعم. كيف أقول ذلك... يبدو لي وكأنّه ناسكٌ. يبدو معتزلاً عن العالم. ولكن خلف كوّة غرفته، بلباس العمل الرسمي، يبدو وكأنّه حارسٌ عجوزٌ عاديٌّ تماماً.

وصلنا إلى مركز إيدن التجاري، وبعدما ركنّا السيّارة، قادتني يوريكو مباشرةً إلى قسم الألبسة الجاهزة في الطابق الأوّل.

- توموكا!

ارتسمت الابتسامة على شفتَي الموظّفة.

- سيّدة غونو! لقد جئتِ بالفعل! مرحباً!

- نعم! وهذا زوجي، ماساو.

حيّتني توموكا باحترام، وقد ضمّت يديها إلى بطنها.

- أنا سعيدةٌ بالتعرّف إليك، يا سيّدي. زوجتك معلّمة ممتازة!

- أنا الذي أشكركِ على حضورِ دروسها.

بعد ياكيتا، ها أنذا أتحدّث بلباقة وكياسة من جديد.

اتّصالاتي الوحيدة مع المجتمع تتم بوساطة زوجتي الآن.

بدأت تختار الألبسة. ولأنه لم يكن لديّ ما أفعله، رحتُ أنظر إلى البلوزات والتنانير من حولي.

لا بدّ أنّ توموكا كانت في أول العشرينات من عمرها. كانت مفعمةً بالطاقة والحيوية وحسنة المظهر. شعرتُ بكلّ حسن النيّة التي أبدتها في عملها.

تردّدت يوريكو، ممسكةً فستانٍ بين يديها:

- ما رأيكِ في أن أجرّب هذا؟

أجابت توموكا وهي تزيح ستارة غرفة قياس الملابس:

- بالطبع!

وإذ ظلّت وحدها معي، انخرطت الفتاة في الحديث بشكلٍ طبيعي.

- من الجميل التسوّق كزوجين! لا بدّ أنّكما منسجمان!

- في الحقيقة، أنا أمضي وقتي في البيت، وأنا عبءٌ عليها، فأنا لا أُجيد الاهتمام بالأعمال المنزلية، ولا حتى بالطبخ...

بدت شاردة الذهن، ثمّ أفرجت عن ابتسامةٍ عريضة.

- وما رأيك في أن تحضّر لها **الأونيغيري**؟

- هل تعتقدين ذلك؟

- ستكون مسرورة. كرات الأرزّ التي يصنعها الرجال لذيذة لأنّ الأرزّ يكون مضغوطاً جيّداً، وهذا يرجع من دون شكٍّ لقبضتهم القويّة

وأياديهم الأكبر حجماً! أنا متأكّدة من أنّ السيّدة غونو سوف تكون في غاية السعادة!

سألتُ، ضاحكاً:

- ألهذه الدرجة؟ أراهنُ أنّ صديقكِ قد أعدّها لكِ!

احمرّت خجلاً، ولكنّها لم تنكر.

اختارت يوريكو الفستان وقميصاً قصير الكمّ عليه صورة قطّة، ثمّ جرّتني حتى وصلنا إلى قسم الأغذية.

- سوف نشتري بعض الأطباق لنتناولها مع الأرزّ في وجبة العشاء.

استسلمت لرغبتها في **الساشيمي**، فتوجهتْ إلى المسمكة.

إلى جانب ثلّاجة زجاجية تكدّست فيها شرائحُ من السمك والمحار، كانت هناك قاعدة لمحتُ فيها حركةً. اقتربتُ منها فإذا بي أرى حوضاً بلاستيكيّاً شفّافاً فيه سلاطيع المياه العذبة.

تذكّرت سرطان كوماتشي، ودقّقتُ فيها عن كثب.

كان الحوض يحتوي على خمسين إلى ستين سلطعوناً. ولأنّها كانت منقوعة في كميّة قليلة من الماء، كانت متراصة بعضها إلى بعض. حرّك أحدها مخالبه الموصولة بجسمه المسطّح، كما لو أنّه يرسُل إليّ إشارةً.

رفعتُ عينَي وقرأتُ مندهشاً عبارةَ: «سلطعون المياه العذبة» مكتوبة بحروفٍ حمراء كبيرة على قطعةٍ من لوح البوليستيرين. وقرأتُ أيضاً تحتها بحروفٍ سوداء صغيرة عبارة: «للقلي أو كحيوانٍ أليف!».

كحيوانٍ أليف؟

كنّا في قسم الأغذية، ما يعني أنه حتماً طعام. ولكن بسبب ذكر استعمالٍ بديلٍ، لم أعد أعرف ماذا يُفترض بي أن أفكّر.

إمّا أن نأكلها، وإمّا أن نحبّها...

كان طريقان معاكسان ينتظران هذه السلاطيع.

شعرتُ بغصّةٍ في حلقي حينما فكّرتُ في مصير السلاطيع التي يعجّ بها الحوض.

ما المصير الذي قدّمتْه لي الشركةُ التي عملت لديها؟ طالما كنتُ في الحوض، كنتُ أُكرّمُ بلقب «السيّد رئيس القسم» ولكن في نهاية المطاف، لقد تمّ التهامي.

يوريكو، المنهمكة في تفحّص **الساشيمي**، التفتت فجأةً.

- ماذا تفضّل، سمك الإسقمري أو **السانما**؟ ... أه، أنت ترغب في السلطعون؟

نظرت إلى داخل الحوض باهتمامٍ.

أجبتُ بصوتٍ مخنوقٍ:

- لا! لا! إنّها لا تزال حيّة! فهي لا تؤكَل!

قالت ممازحةً:

- أَتُريدُ أن تتبنّاها؟

كنتُ متردّداً في الحقيقة.

تُرى هل كانت السلاطيع سعيدةً بهذه الحياة المملّة، وهي مكدّسة في إناءٍ؟ ألم تكن لتفضّل المشاركة في دوّامة السلسلة الغذائية؟ كلّا، هذا تفكيرٌ يعكس منظوراً بشرياً ضيقاً.

بينما ظللتُ صامتاً، تلقّت يوريكو مكالمة هاتفيّة.

- آه، إنّها تشيه.

فتحتِ السمّاعة، وثرثرت بفرح، ثمّ لخّصت لي فحوى المحادثة.

– لقد وصل الكتابُ الذي طلبتُه. لن نشتري شيئاً من هنا، بل سنذهب للقائها مباشرةً. وإذا كان دوامها صباحياً وينتهي عند الساعة الرابعة عصراً، فسوف نتناول العشاء معاً نحن الثلاثة.

أنا الذي بدأتُ أشعرُ بأنّه سيُغمى عليّ، أنعشني هذا الخبر. لكن قبل أن أغادر، ألقيتُ نظرةً أخيرة إلى السلاطيع، متمنياً لها السعادة. حتى وإن كنتُ أجهلُ فيما تكمن سعادتها.

كانت تشيه، ابنتنا الوحيدة، تعمل بالقرب من المحطة، في سلسلة مكتبات مايشين. كانت في السابعة والعشرين من عمرها ولا تزال عزباء. لقد وُظّفَت في هذه المؤسسة كمتعاقدة بعد نيلها شهادتها الجامعية، واستغلت ذلك لكي تستأجر شقّةً.

كانت دائماً ما تجد يوريكو سبباً لكي تمرّ بالمكتبة، أمّا أنا، فلم أذهب إليها إلّا ما ندر. كنتُ أتضايقُ، كأب، من زيارة مكان عمل ابنتي.

في المكتبة، كانت تشيه منهمكةً في حديثٍ حماسيٍّ مع زبونةٍ أمام رفّ كتبِ الجيب. يبدو أنّ السيّدة العجوز قد طلبت منها النصيحة. راقبناهما أنا ويوريكو من بعيدٍ لبعض الوقت. بدت تعابير وجه ابنتي غريبةً لي. ارتسمت على شفتيها ابتسامةً لطيفة، ولكن متوتّرة أيضاً.

وافقت السيّدة بإيماءةٍ من رأسها، ، ثمّ حيّتها ممسكةً الكتاب بين يديها وتوجّهت نحو صندوق المحاسبة. رافقتها تشيه بحفاوة قبل أن تنتبه إلى حضورنا.

كانت ترتدي مريولاً أخضر داكناً فوق قميصٍ أبيضٍ، وهو لباس العمل الرسميّ، الذي لاءم شعرها القصير تماماً.

حينما اقتربنا منها، أشارت إلى رفٍّ بإصبعها.

- أنا منْ كتبت هذه المراجعة!

إلى جانب الكتب المعروضة بأغلفتها الظاهرة، كانت بطاقةٌ بحجم البطاقة البريدية معلّقةً على الرفّ، وعليها عنوان الكتاب مع وصفٍ موجز لنقاط قوّته.

مكتبة
t.me/soramnqraa

أثنت يوريكو عليها:

- أنتِ موهوبة، يا حبيبتي!

بدت تشيه فخورة بنفسها.

- المراجعات أساسية. إنّها تؤثّر في حجم المبيعات، إذ يكتشف بعض الزبائن الكتب ويهتمون بها بفضلها.

هذا ممكنٌ جدّاً. تذكّرتُ سلاطيع المتجر. فمن دون لوحة البوليستيرين، لما اهتممتُ بأمرها على الأرجح.

اقترحت عليها يوريكو:

- متى ينتهي دوامكِ؟ يمكننا أن نتناول العشاء معاً، إن كان دوامكِ صباحيّاً، ما رأيك؟

هزّت تشيه رأسها نافيةً:

- دوامي اليوم مسائيّ. وعلاوة على ذلك، نحن نحضّر لحدثٍ.

كان العمل في مكتبةٍ شاقّاً من الناحية الجسدية، إذ يبقى الموظّف واقفاً على قدميه طوال الوقت، ويحملُ أكداساً ثقيلة من الكتب، ويتعرّض للأسئلة طوال النهار. حتى أنّ تشيه أخبرتنا بأنّ

أحد زملائها نُقِلَ إلى المستشفى بسببِ آلامٍ في الظهر. ولذلك كنتُ قلقاً بشأنها.

- سوف تجهدين نفسكِ. لا تبالغي في العمل.

أجابت مبتهجةً:

- لا تقلق، غداً أنا في عطلةٍ.

في عطلةٍ...

كنت قد أدركتُ شيئاً آخر منذ تقاعدي.

أن لا تعمل يعني أن لا تكون لديك العطل. فنحن نأخذ عطلاً بالتحديد لأننا نعمل. لم تعد تتسنى لي الفرصة لأشعر بالتحرّر بعد يومٍ من العمل في المكتب.

أدارت تشيه رأسها نحو يوريكو.

- جئتِ لتقتني كتاباً، أليس كذلك؟

- نعم، ومجلّة. انتظري، سوف أذهب وأحضرها.

أسرعت نحو قسم الصحف والمجلّات. تردّدتُ في شراء كتابٍ لي، ولكنني لم أكن في حاجةٍ إلى شيء. ثمّ سألتُ ابنتي:

- أين يوجد قسم الشعر؟

فتحت تشيه عينيها على وسعهما اندهاشاً.

- قسم الشعر؟ هل تبحثُ عن شاعرٍ معين؟

- شينبي كوسانو.

- آه، أنا أيضاً أحبّه كثيراً. قرأتُ شعره في المدرسة، بما في ذلك نصّ «كيلولون كوك».

- **نشيدٌ للربيع**.

- نعم، هذا هو، أحسنت، يا بابا!

سرتُ فرِحاً في أعقاب تشيه.

قادتني إلى قسم كتب الأطفال، وعند رؤية **نبات الكاحل والضفادع**، أمسكتُ بالكتاب وتصفّحته.

سألتها:

- هل تعرفين ما معنى **كاجيكا**؟

- إنّه ضفدعٌ. الضفدع **كاجيكا**.

أمرٌ لا يُصدَّق. لقد حُلّ اللغز في طرفة عين. وتعلّق الأمر بضفدعٍ مرّةً أخرى!

- جعلتنا معلّمتنا في المدرسة نقرأ العديد من قصائد هذا الشاعر. وهكذا علمتُ بوجود هذا الضفدع. ونبات الكاحل المذكور في عنوان الديوان الشعري يُشير إلى كاحل الصين بالتحديد.

- آه، حقّاً؟ بيد أنّ نصوصَه غير مفهومة أحياناً...

- في الشعر، ليس من الضروري أن نفهم، بل يكفي أن نحسّ بجوّ القصيدة، دون التفكير فيها بالضرورة. فنحن نتخيّل ما نريد.

عادت يوريكو مع مجلّة نسائية سميكة. وضعتُ الكتاب من يدي.

- هذا ما كنت أبحث عنه! الحقيبة هي هديّة إضافية صغيرة مع المجلّة!

أدركتُ على نحوٍ أفضل سبب سماكة المجلّة. ففتحتُ حقيبة خصري متذكّراً «الهديّة الإضافية الصغيرة» التي قدّمتها لي كوماتشي. داخل الحقيبة، كان السرطان الأحمر يُبرزُ رأسه.

صاحت تشيه مبتهجةً:

- أوه، سرطانٌ!

لا أعلم السبب، ولكن احمر وجهي خجلاً فجأةً.

- أتريدينه؟

- نعم!

قدَّمته لها. وضعته مبتهجةً في راحة يدها، فغمرتني العاطفة. كانت لا تزال طفلةً تفرح لأشياء صغيرة كهذه.

في النهاية، ذهبنا أنا ويوريكو لتناول العشاء في المطعم، ثمّ عدنا إلى البيت، حيث عدتُ إلى الغرفة لكي أقرأ **نبات الكاحل والضفادع**.

معرفتي أنّ **كاجيكا** هو ضفدعٌ أجّجت اهتمامي بالكتاب.

إذاً، كانت سلسلة المحاكاة الصوتية في هذه القصيدة عبارة عن نقيق الضفادع.

وجدتُ أنّه أمرٌ لافتٌ وعميقٌ ألا يتعلّق الأمر بأغانٍ مرحة عن حلول الربيع، مثل «كيلولون كوك».

ظللتُ لا أفهم معنى «الحدود» ولا معنى «وميض الخياشيم»، ولكنني شعرتُ بصوتِ الماء في عتمة الليل. شيءٌ ما... الكون ربّما... كان يُضيء وينطفئ باستمرار. ويتردّد فيه صدى النقيق الغامض والأليم والخافت لضفدعٍ.

أوه...

أهذا ما يُسمى بتذوّقِ الشعر؟ أعجبني ذلك. ربّما كنتُ أنا أيضاً على شيءٍ من الموهبة في هذا المجال.

واصلتُ القراءة، مقلباً الصفحات بحسب وتيرتي، حين توقّفتُ عند **النافذة**، وهو نصٌّ أطول من النصوص الأخرى بكثيرٍ.

«الأمواج تقترب.
الأمواج تبتعد.
الأمواج تلثمُ الجدار الحجريّ القديم.

في هذا الخليج حيثُ لا تشرق الشمس.
الأمواج تقترب.
الأمواج تبتعد.
غيتا[1] وأعوادُ القش.
رواسب زيتية».

غيتا، أعوادُ القش، زيت... في هذا الخليج حيثُ لا تشرق الشمس، تراكمت نفايات البشر.

كانت السلسلة تحتوي على تكرارٍ لـ «الأمواج تقترب. الأمواج تبتعد». وكنتُ بذلك أشعرُ بحركة الأمواج.

كانت تقترب وتبتعد من أعالي البحر، من بعيد، حتى تصل إلى الخليج المجاور. تركتُ ذهني يشردُ في ذلك البحر المهيب. الأمواج تقترب. الأمواج تبتعد.

ولكن...

لماذا هذا العنوان، **النافذة؟**

كان وحده مشهد الأمواج موصوفاً، دون ذكر أيّ نافذة.

استمرّت القصيدة. لم يتعلّق النصف الثاني بالأمواج فقط، إذ كانت هناك أبيات من قبيل: «حبٌّ، كراهيةٌ، خلودٌ».

قرأتُ بتركيزٍ وانتباهٍ كلّ كلمةٍ حتى النهاية. ثمّ نسختُ الصفحات الثلاث كاملةً وأعدتُ قراءتها مراراً وتكراراً.

---

(1) غيتا هو قبقاب ياباني تقليدي ذو قاعدة من الخشب السميك - المترجم.

يوم الاثنين التالي.

لم تكن لديّ أيّ رغبة في حضور درس لعبة الغو، ولكنني أبيتُ أن تذهب النقود التي دفعتها سدىً. أعددتُ نفسي للذهاب، متأكّداً من أنّها ستكون المرةَ الأخيرة.

كانت يوريكو قد أُعجِبَت بطاقيّة إيبيغاوا، فكان عليّ أن أرتدي شيئاً أنيقاً أنا أيضاً. أردتُ أن أسأل زوجتي عن مكان قبّعتي، ولكنّها كانت قد غادرت إلى المصبغة.

وجدتُ قبّعة البيسبول السوداء خاصتي في صندوقٍ في قاع إحدى الخزائن. كنتُ قد تلقيّتُها كهديّة مع غرضٍ اشتريته قبل بضع سنوات. اعتمرتها وانتعلتُ حذائي، وخرجتُ من البيت.

وصلتُ إلى مدرسة هاتوري. كنتُ أسيرُ بمحاذاة المدخل الرئيس، ومن ثمّ جدار السور، عندما سمعتُ الصيحات الفرِحة للأطفال في الباحة.

توقّفتُ ونظرتُ إليهم، فبدا لي أنّهم في خضم درس التربية البدنية. كانوا في سنّ التاسعة أو العاشرة، يرتدون بدلات رياضية مكوّنة من سروال قصير وقميصٍ، ويمارسون تمارين الإحماء كلّهم معاً.

كانوا رائعين. كانت تشيه أيضاً قد مرّت في هذه المرحلة.

ذات يوم كان مسموحاً فيه للوالدين أن يحضروا الدروس، تلقّت تشيه تنبيهاً من معلّمتها لأنّها همست «بابا!» بعد أن لمحتني في آخر قاعة الدرس. أمّا أنا، فكنتُ سعيداً.

انفجرت ضاحكاً. الأطفال يكبرون سريعاً جدّاً.

فجأةً، شعرتُ بأنّني مُراقبٌ. أدرتُ رأسي: كان شرطيٌّ شابٌّ

يحدّق فيّ. أشحتُ ببصري عنه على نحوٍ تلقائي وهممت بالمغادرة، حين ناداني.

- أنت هناك!

لم يكن هناك ما ألوم نفسي عليه، إلا أنني شعرت بالذعر رغم ذلك. تجاهلته، وأسرعتُ خطاي.

- انتظر!

عند صياح الشرطيّ، راح جسدي يرتعش. كانت هذه المرّةَ الأولى التي يُعطيني فيها رجلٌ شابّ أمراً بهذه الفظاظة، فاختلطت المشاعر في داخلي.

توقّفتُ في الحال، متشنجاً تماماً. توجه الشرطيُّ نحوي، بوجهٍ حادّ.

- أيّها الجدّ، هل نلعب دور الفارّ؟

الجدّ...

صُدمتُ بهذا اللقب. لقد عدّني عجوزاً. لمعت نظرته الثاقبة.

- لدي بعض الأسئلة لأطرحها عليك. ما اسمك؟

- ماساو... غونو...

- المهنة؟

التزمتُ الصمت. كنتُ عاطلاً عن العمل، وهو جوابٌ سيّئٌ جداً. وأنا عابس ومطأطئ الرأس، بادرني الشرطيّ بنبرة توبيخيّة:

- أرني بطاقة هويّتك الشخصيّة.

دسستُ يدي في حقيبة خصري، وهنا أدركتُ أنّ رخصة القيادة وبطاقة التأمين الصحي كانتا في محفظتي. وبما أنني لم أكن قد ابتعدتُ عن منزلي إلا قليلاً، لم أحمل معي سوى محفظة النقود.

كنت منهاراً، وأمام نظرتي الفارغة، قال الشرطي:

- ماذا يحدثُ لك؟

تقدّم خطوةً أخرى نحوي.

ولأنني كنتُ أحمل هاتفي، اتّصلتُ بيوريكو لكي تأتي لمساعدتي. ولحسن الحظّ، ذهبتْ إلى المنزل وأحضرتْ لي رخصة القيادة وأبلت بلاءً حسناً في الدفاع عنّي بحيثُ أُطلِق سراحي سريعاً.

لم تعد لديّ الرغبة في الذهاب إلى درسي الذي كان قد بدأ.

في طريق العودة، احتجّت يوريكو:

- كم كان فظّاً هذا الشرطي! ولكنّك تصرفت بخراقة كالعادة. لماذا كنت قلقاً ومتوتّراً إلى هذا الحد؟

- هذا... لأنني صُدِمتُ بأن أُعامَل كمجرم. كنتُ أنظرُ إلى الأطفال فحسب، إذ وجدتهم لطفاء.

غمغمت، مقطبةً حاجبيها:

- امممم. كان لا بدّ أن يحدث ذلك. رجلٌ بهذه الهيئة يراقب أطفالاً وقتَ الظهيرة وفي منتصف الأسبوع، هو أمرٌ مثيرٌ للشبهة.

- ماذا تقصدين بـ «هذه الهيئة»؟

شعرت بالحيرة. كانت ملابسي مرتّبة تماماً. وعلاوة على ذلك، أردتُ أن أبدو أنيقاً بقبّعتي، إلا أن المذهل في الأمر أن يوريكو أشارت إلى رأسي.

- لنبدأ بقبّعتك. لقد اعتمرتها منخفضةً بحيث تخفي عينيك. هذا مثيرٌ للشبهة.

- آه، حقّاً؟

- كما أنك ترتدي قميصاً مهترئاً مع سروالٍ رياضيٍّ، وهي ثياب تُلبَس في البيت وليس في الخارج!

ثمّ همست كما لو أنّها تحدّث نفسها.

- ولماذا تنتعل حذاءً من الجلد مع سروالٍ رياضيٍّ؟

لأنني شعرتُ بالراحة في حذائي القديم الذي كنتُ أنتعله في العمل أكثر من حذائي الرياضي الجديد. كان بإمكاني أن أخلعه بسهولة قبل أن أضع قدميّ على حصيرة **تاتامي** في غرفة مؤثّثة على الطراز الياباني. هل الهيئة المشبوهة تستند إلى المظهر الخارجي فقط؟ هل كنت سأُترك لحالي لو أنني ارتديت بدلة رسمية؟

سألتُ باستحياء:

- هل ارتداء سروالٍ رياضيّ مع حذاءٍ من الجلد أمرٌ غريبٌ إلى هذه الدرجة؟

- يحتاج الأمر إلى الكثير من الذوق لكي يتم تنسيقهما بأناقة.

خضعتُ للأمر الواقع. لم تكن يوريكو تحبّ نمط لباسي. فأحياناً، كان القميص الذي أُخرجه من خزانة الملابس يُستبدَل خلسةً بقميصٍ آخر، وقد سألتني مرّات عديدة بطريقة غير مباشرة إن كنتُ أحبُّ حقيبة خصري. لم تقل لي أبداً إنني خائب في تنسيق الملابس، وقد يكون الكيل قد طفح بها.

تذكّرتُ كلمات ياكيتا حول الطلاق الرمادي. وقوله أنّ بين ليلةٍ وضحاها، لم تعد زوجته تتسامح مع ما كانت قد تساهلت بشأنه حتى الآن...

- على أيّة حال، أن تفرّ لدى رؤيتك الشرطي كانت أسوأ فكرة على الإطلاق.

- أنا لم أفرّ! بل هو مَنْ فسّر ردّ فعلي على هذا النحو!

تذكرت أنني نُعتُّ بالجدّ، وأوشكتُ على أن أُصاب بالإحباط.

امتنعتُ عن الحديث عن ذلك ليوريكو، ونظرتُ إلى حذائي الجلدي، مثقَل القلب.

بعد بضعة أيامٍ من تلك الحادثة، تلقّينا صندوقاً من اليوسفي من أحد أفراد عائلتها، يعمل موظّفاً في قطاع الزراعة في محافظة إهيمه.

- أوه، هذا كثير! فلنتقاسمها مع السيّد إيبيغاوا. سوف تكون هديّةً ممتازة لكي أشكره على النصيحة التي أسداها لي.

انتقت حبّات يوسفي جميلة ودسّتها في كيسٍ بلاستيكيّ.

- هيا، خذ له هذه.

- أنا؟

- أنت أيضاً تستخدم درّاجتنا الهوائيّة، أليس كذلك؟

- نعم، ولكن....

لم تُضف شيئاً، ولكن فكرت من دون أدنى شك: «ليس لديك شيء آخر لتفعله، على أيّة حال».

ممسكاً بالكيس، توجّهتُ نحو مكتب الحارس.

كانت نافذة الحارس الواقعة قرب المدخل مفتوحةً على حجرةٍ صغيرةٍ. كان الزجاج السحّاب يظلّ مغلقاً، إلى أن يفتحه الحارس عند الحاجة.

كان إيبيغاوا جالساً خلف الزجاج، متّكئاً على جنبه ويحدّق في الفراغ شارد الذهن.

لمّا رآني، رفع رأسه. لوّحتُ له بيدي من خلف زجاج النافذة.

نهض من مكانه واقفاً وفتح الباب، فناولتُه الكيس من العتبة.

- لقد تلقّينا كميّة كبيرة من اليوسفي من أحد أقاربنا الذي يعيش في محافظة إهيمه. تفضّل، هذه الحبات لك.

- أشكرك.

كانت شاشةٌ خلفه تبثّ صور كاميرات المراقبة. هذا ما كان ينظر إليه إذاً.

- هل أنت وزوجتك تحبّان حلوى معجون الفاصولياء الحمراء **يوكان؟**

- نعم.

- لقد قُدِّمَت لي كهدية أوّل أمس، لكنني لا أحبّها كثيراً في الحقيقة. سيسعدني أن تأخذها! انتظرني هنا.

بدا واضحاً أنّه يتلقّى الكثير من الهدايا. ،ماذا لو كان لا يحب اليوسفي أيضاً؟

كنتُ واقفاً هناك أنتظره، فألقيتُ نظرةً على مكتبه لأول مرّة.

كان أوسعَ مما اعتقدت، إذ يبدو من الخارج أنّه لا يتّسع سوى لكرسيّ إيبيغاوا، ولكن كانت هناك مغسلة ورفّ أيضاً، كما كان هناك رفٌّ آخر مليئ بالملفات، وجبل من الأوراق فوق الطاولة، ولوحةٌ بيضاء معلّقة على الجدار. كان مكتباً بكل معنى الكلمة.

وكانت أمامي مباشرةً النافذة الواسعة المطلة على غرفة الحارس.

قلت لنفسي:

- نافذة...

عاد إيبيغاوا حاملاً كيساً ورقيّاً لأحد محلات الحلويات اليابانية. ولكي أُحسنَ التصرّف، واصلتُ الحديث معه.

- علامَ تشتمل مهنة حارس البناية؟ منذ إحالتي على التقاعد، أشعرُ بالملل، ولذلك أبحثُ عن وظيفةٍ.

كانت كلماتٌ خرقاء لم أعنِ منها شيئاً، ولكن ما إن لُفِظَت، لم تبدُ لي على أنّها تُرّهات. كنتُ في صحّة جيّدة، ولديّ متّسعٌ من الوقت، وأعاني من قلّة نشاطي، ولذلك كان من الأفضل لي أن أعمل. أدركتُ ذلك جيّداً.

ولكن كنت قد أمضيتُ حياتي في نفس الشركة، ولن تقوم أي شركة أخرى بتوظيف رجلٍ في سنّي. ولهذا السبب أرجأت خروجي إلى التقاعد حتى بلغتُ سنّ الخامسة والستّين، وهو الحدّ القانوني الأقصى، وليس في سنّ الستين.

بصوتٍ خفيضٍ، دعاني إيبيغاوا إلى الدخول.

- يُحظَر على سكّان البناية دخول هذه الغرفة. فإذا سُئلتَ، قل إنّنا كنّا نناقش التحسينات المحتملة لجمعية اتّحاد المالكين.

شرح لي عمله لبعض الوقت، وأوضح لي مهامه وراتبه، والوحدات السكنية التي كانت بحاجة إلى توظيف حارس. علمتُ أنّه يكبرني بسنة واحدة.

كان الناس خلف النافذة يتحرّكون يميناً ويساراً.

سكّانٌ، وزوّارٌ، وعمّال توصيل الطلبات.

أطفالٌ، وبالغون، ومسنّون.

من خلال مراقبتي لهم، عادت قصيدة **النافذة** إلى ذاكرتي.

«الأمواج تقترب. الأمواج تبتعد».

وهكذا، كان إيبيغاوا يستمتعُ بالأمواج البشرية كلّ يوم، وقد جعل من حيوات الناس مهنته، دون كللٍ أو مللٍ.

سألتُه:

- أتصوّر أنّك ترى جميع أنواع الناس يمرّون أمامك، أليس كذلك؟

قال، ضاحكاً:

- نعم. أجد من الغريب رؤية عالمين مختلفين تماماً، هنا وعلى الجانب الآخر، في حين لا يفصل بينهما سوى نافذة. هذا أشبه بتأمل أسماكٍ في حوضٍ للسمك. ولكن بالنسبة إلى الناس في الجانب الآخر، فهذا المكتب هو ما يشبه حوض السمك!

كان محقّاً بكلّ تأكيد، فهذه النافذة غير العضوية تُقيمُ قطيعة واضحة بين الكائنات الحيّة.

قبل قليلٍ، كان زوجان شابّان قد تشاجرا في المدخل. لا بدّ أنّهما لم ينتبها إلى وجود الجانب الآخر من النافذة. فما إن رأياني مقبلاً حتى هدآ، لكنّ إيبيغاوا كان قد سمع كلّ شيء على الأرجح.

توجّهت سيّدةٌ عجوز ظهرها منحنٍ نحو الباب ببطءٍ. حيّتنا بإيماءة من رأسها. رددنا أنا وإيبيغاوا تحيّتها.

عرفتُ وجهها، ولكنني لم أعرف الطابق الذي تقيم فيه.

قال إيبيغاوا:

- رائع، إنها تبدو في صحّة جيّدة اليوم. هي تخرجُ كلّ يومٍ في نفس التوقيت تقريباً. ولأنّها تعيشُ وحيدةً، أنا أقلقُ بشأنها. لقد مارستُ مهنة العلاج الطبيعي اليدوي سابقاً، ولذلك أعرف من خلال مشية الشخص إن كان بصحّة جيّدة أم لا.

سألتهُ، متفاجئاً:

- كنتَ معالِجاً طبيعيّاً، علاوة على أنك قمت بإدارة متجرٍ للدرّاجات الهوائيّة؟

قال بمرحٍ:

- لقد غيّرتُ عملي عدة مرات. فكلما لفتت اهتمامي وفضولي مهنةٌ ما، لم يعد بإمكاني الثبات في مكاني وانتقلت إليها.

- فهمت... هذا رائع لأنّك قمت بتطوير مهارات ستفيدك طوال الحياة.

ردّ إبيغاوا بنبرة لامبالية على إعجابي.

- لم أفكر في خياراتي قط، بل انطلقت فحسب كلّما أملى عليّ قلبي ذلك.

وأنا، هل سبق لي أن شعرتُ بذلك؟

استأنف كلامه:

- أتساءلُ كم من مرّة غيّرتُ مهنتي. في مرحلةٍ ما، كنتُ موظّفاً في شركة، ولكن هناك أيضاً، جرّبتُ عدة مؤسّسات: معمل لصناعة الورق، وشركة مختصة في تنظيف المنازل، وشركة تأمين، ومتجر درّاجات هوائيّة، ومطعم لشعرية الرامين. آه، لقد عملت في متجرٍ للتحف القديمة أيضاً.

- متجرٍ للتحف القديمة؟

عبس للحظة، ثم واصل حديثه بنبرة مرِحة:

- إنها وظيفةٌ ممتعة، ولكنّها الأقلّ ربحاً من بين المهن التي عرفتها، إذ تراكمت الديون عليّ، واضطررت إلى إغلاق المتجر في النهاية. وفي حين أنني غادرتُ للعمل لصالح شخصٍ تربطني به قرابةٌ بعيدة، اعتقد شخصٌ كان قد أقرضني مالاً أنني هربت، فراحت الشرطة تبحثُ عنّي في كلّ مكان! عملتُ وسدّدتُ له ما بذمّتي من ديون، ولكن لا يزال زبائني يعتقدون أنني فررت. تدسّ الشرطة أنفها في كلّ شيء، ولكن ما إن تسوّى المسألة، لا تُخبر الناس بنتيجة التحقيقات.

هززتُ رأسي موافقاً، متذكّراً استجوابي من قبل الشرطيّ الشابّ.

ولكن بدا إيبيغاوا متصالحاً مع الأمر.

- لقد قامت الشرطة بعملها. كان هذا خطئي أنا، إذ كان عليّ أن أتّصل بالشخص المعني وأشرح له الوضع بنفسي.

توقّفتُ عن الإيماءة برأسي. كان الشرطيّ الشابّ قد أدّى عمله فعلاً، فهو كان يحمي الأطفال. وهو موقفٌ جديرٌ بالثناء.

- وهل زال سوء الفهم اليوم؟

قال والابتسامة على شفتيه:

- نعم. كان أحد زبائني، والذي يعمل في شركةٍ للتأمين، يعرف ربّ عملي. التقينا بالصدف، وأخبرني بأنّ أحد تلاميذ المدرسة الثانويّة الذي كان يرتاد متجري يستعدُّ لفتح متجره الخاصّ بالتُحَف القديمة. كان في العشرين من عمره آنذاك، وهو في الخامسة والثلاثين اليوم. لم تسر أموري على ما يُرام في ذلك المتجر، ولكن إذا استطعتُ أن أمنحَ أحدهم الرغبة في فتح محلٍّ تجاريٍّ مماثل، فهذا من دواعي سروري.

نظرتُ إلى وجهه؛ تجاعيد عميقة، وبشرة جافة.

بدا أنّه يأخذ الحياة بالفلسفة، وبدت عليه هيئة الناسك فعلاً، كما قالت يوريكو.

وبفضل مهنه وخبراته العديدة، نجح في تغيير حياةِ شخصٍ على نحوٍ إيجابي، ومن المؤكّد أنّه أضاء حياة أشخاصٍ آخرين أيضاً.

قلتُ له، وأنا أشعر بالتواضع أمامه:

- أحييّك، فحتى الآن، اكتفيتُ أنا بإطاعة الأوامر في شركتي،

ولم تؤثّر حياتي على أحدٍ. وعند خروجي إلى التقاعد، أصبحتُ بلا فائدة للمجتمع.

ضحك ضحكة خفيفة.

- بالنسبة إليك، ما هو المجتمع؟ الشركة؟

وضعتُ يدي على صدري كما لو أنني تلقّيتُ سهماً في قلبي. أشار إيبيغاوا إلى زجاج النافذة بذقنه.

- الانتماء إلى مجموعةٍ هو مفهومٌ غامض. ففي نفس المكان، يُقيمُ لوحٌ شفّافٌ بسيطٌ مثل هذا حاجزاً مع الجانب الآخر. ولكن قم بسحب اللوح، وسوف تجد أننا جزءٌ من كلٍّ. أن تَنظُر وأن يُنظَر إليك، كلاهما الشيء نفسه.

حدّق فيّ.

- سيّد غونو، أعتقد أنّ شخصين تربطهما علاقةٌ ما يشكّلان مجتمعاً. بفضل نقطة تماسٍ، في الماضي أو في المستقبل.

«نقطة تماسٍ، في الماضي أو في المستقبل...».

كانت كلمات الناسك معقّدة جدّاً بحيث لم أفهمها جيداً.

نعم، بالنسبة إليّ، المجتمع هو الشركة. ولذلك أصبحتُ الآن أعدّه في الجانب الآخر من اللوح الزجاجي، في عالمٍ يمكنني مشاهدته فقط عبر نافذةٍ، عالم مرئيّ، ولكن لا يمكن الاحتكاك به.

وبصورة مماثلة، في حين أنني كنتُ أمرُّ عادةً خلف الكوّة في هذا المبنى، في هذه اللحظة بالتحديد، كنتُ أتناقشُ مع إيبيغاوا.

إذا فكّرتُ بطريقته، بما أنّه لدينا نقطة تماس في هذه اللحظة، فنحن الاثنان نشكّلُ... مجتمعاً؟

«الأمواج تقترب. الأمواج تبتعد. الأمواج تلثمُ الجدار الحجريّ القديم».

لا يمكننا تجنّب الأمواج العاتية التي تجتاح المجتمع.

وأتساءلُ الآن عن النافذة التي راقب منها شينبي كوسانو البحرَ.

لماذا جلس عند نافذةٍ وليس على الشاطئ؟

كان مدركاً على الأرجح لجمال المحيط وطبيعته المخيفة. ربّما أراد أن يراقب هذا العالم كمشاهدٍ فحسب، منفصلٍ عنه بحاجزٍ زجاجيٍّ.

لم تكن هذه سوى افتراضات طبعاً.

ولكن لوقتٍ وجيز، وقتٍ وجيز جدّاً... شعرتُ بأنني أتقاسم لحظةً من الحياة معه.

في منتصف ظهيرة اليوم التالي، ذهبتُ وحدي إلى مكتبة مايشين. لم أقل شيئاً عن ذلك لزوجتي، ولكن لأنني حملتُ معي حبّتي يوسفي، لا بدّ أنّها خمّنت.

كانت تشيه ترتّب رفّ كتبِ الجيب. ناديتها.

قالت، ضاحكةً:

- أصبحتَ تُكثِرُ من المجيء في الفترة الأخيرة!

على كومةٍ من الكتب، كانت هناك بطاقة مراجعة ورديّة اللون، رُسمت عليها الأوراق، وكتب عنوان رواية **شجرة الدُّلْب الورديّة** بالأبعاد الثلاثية.

- هل أنتِ من كتبتِ هذه أيضاً؟

- نعم. سوف يحوّل كتاب ميزوي كاناتا إلى فيلمٍ سينمائيّ.

رأيتُ صورة ممثّلتين مشهورتين على الغلاف. من المؤكّد أنّهما ستؤدّيان الدورين الرئيسيين في الفيلم.

قالت تشيه بحماسةٍ وابتهاج:

- إنّها رواية رائعة! الحوارات فيها مؤثّرة، وليس فقط للقارئات، فقد أخبرني رجل في عمرك بأنّه تأثّر بالرواية إلى حد البكاء. أحب فكرة أنّها نُشِرَت في كتابٍ بعدما تم نشرها في حلقات مسلسلة. سيتيح لها ذلك الوصول إلى جمهورٍ أوسع.

قلتُ وأنا أنظرُ إلى تشيه الشغوفة بالكتب وبعملها:

- أفهم ذلك.

- أجئتَ لتشتري كتاباً؟

- لا... لديّ سؤالٌ لأطرحه عليكِ.

تفحصت الأرجاء من حولها ثم همست:

- استراحة الغداء قريبة، أتريد أن تنتظرني؟ سوف نذهب لتناول الغداء معاً.

مدة الاستراحة خمس وأربعون دقيقة. نزعت مريولها، ثمّ ذهبنا إلى طابق المطاعم، في نفس المبنى الذي كنّا فيه.

طلبنا طبقاً من شعرية **السوبا** وجلسنا وجهاً لوجه.

شربت تشيه جرعةً من شاي **هوجيشا** الأخضر، وأطلقت تنهيدةً. سألتُ:

- هل تعانين من ضغط العمل؟

- ليس كثيراً، اليوم.

نظرتُ إلى أصابعها الممسكة بكوب الشاي ولاحظتُ أظافرها المقصوصة قصيرةً. في فترة دراستها في الجامعة، كانت تصبغ أظافرها الطويلة بطلاءٍ متعدّد الألوان.

قالت بمرارة:

- طالبتُ بعقد عملٍ غير محدّد المدّة، ولكنّهم رفضوه طبعاً.

كنتُ أعلم أنّها تعمل هنا منذ خمس سنوات، ولكنني لم أكن أعلم أنّه من الصعب جدّاً الانتقال من وضع موظّفة متعاقدة إلى موظّفة دائمة. بدا مجال المكتبات قاسياً.

- أوه، هذا مؤسف.

- ولكن لديّ وظيفتي على الأقلّ.

قُدِّمت لنا أطباقنا. كانت تشيه قد طلبت شعرية **السوبا** مع طبقٍ من **التامبورا**، أما أنا فطلبتُ طبقاً من شعرية **الأودون**، مع شريحة من التوفو المقلي.

قلتُ وأنا أغمس شريحةً من التوفو في المرق:

- عدد المكتبات يتناقص لأنّ الكتب لم تعد تُباع كما في السابق.

ردّت غاضبةً:

- لا تقل ذلك. هذا ما سيحدث إذا ما ردّد الناسُ هذه الترّهات دون أن يعرفوا شيئاً! فدائماً ما سيكون هناك أشخاصٌ يعتبرون الكتب ضرورية في حياتهم، كما سيلتقي الكِتابُ بقارئه في المكتبات دائماً. أنا أرفض أن تختفي هذه اللقاءات.

امتصّت الشعرية.

على الرغم من تحسّرها على وضعها كموظّفة متعاقدة، كانت أفكارها إيجابيةً جدّاً.

ربّما هذا ما يعنيه أن يكون المرءُ شغوفاً بشيءٍ ما. بدا واضحاً أنّها تعشق الكتب مثلما تعشق عملها.

توقفت عن استخدام عيدان الطعام، وقلتُ لها:

- اعذريني. أنا أعلمُ أنّكِ تعطين هذا العمل كلَّ ما لديك. لقد تفوّقتِ على والدكِ، وبكثير.

هزّت ابنتي رأسها.

- أنا معجبة بكَ لكونك عملت كلّ حياتك في نفس الشركة. ما فعلتَه تُرفع له القبعة. وعلاوة على ذلك، الجميع يحبّ كعك هاني دوم.

- ولكن لم أكن أنا من يصنعه.

لدى تذكّري نفس هذا الحديث مع كوماتشي، أمسكتُ بعيدان الطعام من جديد. قطبت تشيه حاجبيها.

- وما العيب في ذلك؟ أنا أيضاً أبيعُ كتباً لم أؤلفها! ولكن يسرّني أن أبيع كتاباً أحبّه. هذا ما يحفّزني على أن أكتب مراجعات للكتب التي أثرت فيّ. فمن الناحية العاطفية، أشعرُ بالعناوين التي أوصي بها وكأنّها لي، ولو قليلاً.

عضّت قطعةً من التامبورا.

- من دون حشود الموظّفين الذين يُديرون الإعلام والمبيعات، لن يذهب صُنّاع الكتب أو الكعك بعيداً. في رأيك، كم شخصاً تتطلّب سلسلةُ العمل بين لحظة تأليف الكتاب واللحظة التي يمسك به القارئُ بين يديه؟ أنا جزءٌ من هذه العملية أيضاً، وأنا فخورة بذلك.

نظرتُ إليها. لم يسبق لها أن تحدّثت عن عملها بهذه الثقة والقناعة. كانت قد كبرت... دون أن ألاحظ ذلك.

لم أكن أعدّ كعك هاني دوم، ولكني دائماً ما عملتُ بحماسةٍ مثل تشيه وشعرتُ بالفخر من جودتها الرفيعة. نعم، ربّما كنتُ جزءاً من العملية التي سمحت لأحدهم بأن يأكلها مبتسماً. كانت هذه الفكرة بمثابة مكافأتي على السنوات الاثنتين والأربعين التي قضيتها في حياتي المهنية.

- آه، بالمناسبة.

بعدما انتهت من تناول طبقها من **السوبا**، مدّت تشيه يدها إلى حقيبتها وأخرجت منها كتاب **نبات الكاحل والضفادع**، وقالت وهي تتصفّحه:

- أسعدتني كثيراً معرفة أنّك تقرأ هذا الديوان لشينبي كوسانو، بحيث أنني اشتريته. أحببت كثيراً قصيدة **النافذة**. لا علاقة لها مع القصائد الأخرى في الديوان.

سألتُها وقد أسعدني أنّنا أُعجبنا، أنا وابنتي، بنفس النصّ:

- أَلم يحيّركِ العنوان؟

فكّرت، مستغرقةً في الكتاب:

- امممم... عندما تنام في الفندق، تتأثّر باكتشاف البحر لدى فتحك النافذة، أليس كذلك؟ لم تكن ترى سوى داخل غرفتك، وفجأةً، تكتشف أنّ العالم واسعٌ في الخارج. فتُقارن حياتك باتّساع البحر، مستنشقاً الهواء البحري....

ضمّت الكتاب المفتوح إلى صدرها، مستسلمةً لخيالها. لم أتوقّع ذلك. رغم قراءتنا نفس القصيدة، تصوّرنا مشهدين مختلفين تماماً.

بدا شينبي الذي يعيش داخل تشيه فرِحاً وإيجابيّاً.

فكّرتُ من أعماق قلبي أنّ الشعر فنٌّ رائع.

وحدُه الكاتب يعرف حقيقةَ ما كتبه. لكنّ كلّ قارئ يفسّر النصّ بطريقته الخاصّة، وهنا تكمن أهمّية العمل. أغلقت تشيه الكتاب وهي تداعبُ بلطفٍ الضفادع المرسومة على الغلاف.

- حين أشتري كتاباً كقارئة، أكون جزءاً من العملية أيضاً. فليس الموظّفون وحدهم من يُديرون عجلة قطاع النشر، إذ يأتي

القرّاء في المصاف الأوّل. فالكتاب ملكٌ لم يصنعونه، ومن يبيعونه، ومن يقرؤونه. هذا هو المجتمع.

المجتمع...

أدركتُ أنّ العالم لا يدور بفضل العاملين فقط...

أعادت تشيه الكتاب إلى حقيبتها، التي كانت قد ثبّتت عليها السرطان الذي أهديتها إياه.

أشرتُ إليه بإصبعي، وقلت:

- أوه، هذا!

قالت ببراءة طفلةٍ صغيرة:

- آه، هذا؟ إنّه ظريف جدّاً بحيثُ ثبّتُّ عليه دبّوساً لأجعله مشبكاً. إنه جميلٌ، أليس كذلك؟

وجدتُ ذلك رائعاً. سوف يعيشُ هذا السرطان حياةً أجمل بكثير ممّا لو بقي معي.

نظرت إليه تشيه مبتسمةً.

- هل تذكر سباقات السرطان للآباء والأطفال في المدرسة؟

- سباقات ماذا؟

قالت، ضاحكةً:

- أنسيت؟ في يوم الرياضة، عندما كنتُ في الصفّ الثالث، أجرينا سباقاً ظهراً لظهرٍ، ونحن نمشي مشية السرطان. حللنا في المركز الأخير، ولكن كان ذلك ممتعاً!

- هذا صحيح.

- شرحت لي آنذاك أنّه من المسلّي أن نمشي مشية السرطان. وأنّ المشهد ينكشف لنا جانبيّاً، فتكون لدينا بالتالي رؤيةٌ موسّعة للعالم.

لا بدّ أنّني قلتُ ذلك دون تفكيرٍ. لكنّ ذاكرة تشيه لم تخنْها بالتأكيد. حنت رأسها، باديةً الإحراج.

- منذ أن أصبحتُ راشدة، أتذكّر كلماتك من حينٍ إلى آخر. فإذا اكتفيتُ بالنظر أمامي بخطٍّ مستقيم، يضيقُ حقل رؤيتي. ولذلك، حين تثقلني الهموم، أفكّر في تغيير زاوية رؤيتي، والمشي مشية السرطان، مرخيةً كتفيّ.

أثّرت فيّ كلماتها تأثيراً عميقاً.

حاولتُ أن أتمالك دموعي، بكلّ قواي.

لطالما قلقت بشأنكِ.

إلى أن كبرتِ، كنتُ منهمكاً جدّاً في عملي بحيثُ تركتُ ليوريكو مهمة الاهتمام بك.

اعتقدتُ أنّنا نتقاسم القليل من الذكريات، وأنني لم أعلّم ابنتي شيئاً على الأرجح.

« إنّ شخصين تربطهما علاقةٌ يشكّلان مجتمعاً. بفضل نقطة تماسٍ، في الماضي أو في المستقبل».

وأخيراً فهمتُ معنى كلمات إيبيغاوا.

لم تكن هناك الشركة فقط. كان «المجتمع» ينمو بين الآباء والأطفال أيضاً. فالكلمات التي لفظتُها من دون تفكيرٍ حين كانت تشيه صغيرة، كانت قد فسّرتها بعناية وتعمل بها. أمّا أنا، فقد كنت فخوراً بالشخص الذي أصبحت عليه عندما كبرت.

كان السرطان المثبّت على حقيبتها ينظر إليّ بإمعانٍ، متأهّباً للفرار.

حتى هذا اليوم، كنتُ دائماً ما أمشي متقدّماً إلى الأمام، معتقداً أنّ الحياة تتحقّق أمامي.

لكن ما هو المشهد الذي سوف أراه اليوم إذا نظرتُ إلى الجانبين؟

ماذا سيكون تأثير ذلك على ابنتي وزوجتي، وعلى حياتي اليومية؟

لوّحت تشيه بيدها باتّجاه النادل ليملأ كوبها بالشاي، ثمّ نظرت إليّ، كما لو أنّها تذكّرت شيئاً ما.

- بالمناسبة، ماذا كنتَ تُريدُ أن تسألني؟

بعد مضي بضعة أيام، وفي بداية فترة ما بعد الظهيرة، ذهبتُ لأُعيدَ كتبي إلى المكتبة.

كان الرجل ذو القميص الأخضر يُلصِقُ إعلاناً على الستار الفاصل.

كانت نوزومي، الواقفة على مسافة قريبة منه، تُعطيه التوجيهات:

- هيرويا، ارفعه قليلاً من جهة اليمين، من فضلك.

صحّح هيرويا موضع الإعلان، وثبّته بدبّوس.

كان الإعلان يُشيرُ إلى تنظيم حدث: «يومٌ في حياة أمينة مكتبة»، ويحمل صورة خروفٍ يمسكُ كتاباً مفتوحاً. كان قرناه الحلزونيان يبدوان ككائنين حيّين تماماً. كان لهذا الرسم سحرٌ غريبٌ، يُلفِتُ النظر بجانبه الغامض.

مررتُ بهما، ملقياً عليهما التحيّة، فابتسمت لي نوزومي وردّت التحية:

- آه، مرحباً!

كانت كوماتشي تشتغلُ بالإبرة خلف الستار الفاصل، مثل

العادة. أوقفت يدها لمّا رأتني، ثمّ ركّزت نظرها على شعار الكيس الورقي الذي كنتُ أمسكه بيدي. . . «كوريميادو».

- تفضّلي، هذه لكِ.

أخرجتُ من الكيس علبةً تحتوي على اثنتي عشرة كعكة هاني دوم.

رفعت كوماتشي يديها إلى وجهها، وقالت متنهدة:

- هذا يسعدني كثيراً. . .

من الآن فصاعداً، سوف أقدّم هذه الحلوى للآخرين وأتلذّذ بمذاقها بثقة وافتخار. لأنّها من الناحية العاطفيّة، حلوتي أنا.

نهضت كوماتشي وشكرتني وهي تأخذ العلبة من يدي.

- سيّدة كوماتشي، لقد سألتِني إن كانت آخر كعكتين من علبة تحتوي على اثنتي عشرة كعكة هما «الفائض». أعتقدُ أنني وجدتُ الجواب.

نظرت إليّ، ممسكة بالعلبة بين يديها. بادلتُ نظرتها بابتسامةٍ.

- الكعكتان الأخيرتان تماثلان القطع الأُخرى تماماً. فلكلّ كعكة هاني دوم قيمتها.

نعم. أدركت ذلك الآن.

كان كلُّ يوم ثميناً.

يوم ولادتي، واليوم، والأيام القادمة الكثيرة.

بدت كوماتشي راضيةً تماماً، وضحكت وجلست وهي تضمّ العلبة إليها.

قلتُ لها بهدوء:

- لديّ سؤالٌ لأطرحه عليكِ.

- ما هو؟

- كيف تختارين الهديّة الإضافية الصغيرة؟

بالنسبة إلى الكتب، كانت تعرف بحكم الخبرة والفطرة ما يُناسبُ كلّ قارئ. ولكن لم تكن لديها أي وسيلة لتخمّن قصة سلاطيع المتجر ومشية السرطان مع ابنتي.

توقّعت تقنيّةً سرّية لا تُصدّق، ولكنّها أجابت بلامبالاةٍ:

- بالصدفة.

- ماذا؟

- إذا كنتَ تفضّل تعبيراً أجمل: بالإلهام.

- الإلهام...

- إذا كان لهذا معنى بالنسبة إليكَ، فسيسرني ذلك. سيسرني حقاً.

حدّقت في عينيّ.

- ولكن في الحقيقة، أنا لا أعرف شيئاً، ولم أقدّم لكَ شيئاً، إذ يجد كلُّ شخصٍ معنى خاصّاً به في الهدية الإضافية الصغيرة. وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكتب. يقوم القارئ بربط بعض الجمل بحياته الخاصّة ويستخرج منها شيئاً شخصيّاً، لا علاقة له بالهدف الأصلي للكاتب.

لوّحت كوماتشي بعلبة الكعك، وشكرتني مجدداً:

- شكراً جزيلاً. سوف أتناولها مع زوجي.

سوف يفتح علبةَ كعك هاني دوم هذه زوجان، وسوف تتلذّذ بها عيونهما ولساناهما وقلباهما. شعرتُ بالفخر لكوني جزءاً من هذه العمليّة.

كنّا في بداية شهر مايو.

في هذا اليوم المشمس، كنتُ على موعدٍ مع يوريكو بعد

الغداء، في صالة المركز البلدي قُرب الحديقة. كانت قد أعطت فيه درساً في المعلوماتية لكبار السنّ في الصباح، وكنا سنذهب للتنزّه بعد ذلك.

تمشّينا في الحديقة التي كانت أوراق أشجار الكرز فيها قد نمت على نحوٍ جميل.

احتوت حقيبة ظهري على كرات **الأونيغيري**. كانت هذه مفاجأة لها. لقد تدرّبتُ على إعدادها سرّاً عدّة مرّات، حالما خرجت يوريكو من البيت. وقد تحقّقتُ من تشيه في مطعم السوبا لأعرف ما هي التوابل المفضّلة لدى زوجتي.

أوراق نبتة **النوزاوانا**.

فاجأني ذلك. خيراً فعلت أنني سألتُ تشيه! لم تكن لديّ أدنى فكرة عن ذلك، في حين عرفت يوريكو **الأونيغيري** المفضّل لديّ.

جلسنا على مقعدٍ في الحديقة، وعند رؤية كرات الأرزّ تحت ورق السلوفان، تحمّست يوريكو. نظرت إلينا بالتناوب، **الأونيغيري** وأنا، قبل أن تعضّ قطعة منه وتفتح عينيها على وسعهما:

- أوه، طعم **النوزاوانا**!

لم أعرف إذا كانت قد تأثّرت أم لا، ولكن تعابير وجهها المبتهجة أفرحتني.

سألت فجأةً، مطأطئة الرأس:

- ماساو، عندما سُرِّحتُ من العمل، هل تذكر أنّك أخذتني إلى محافظة ناغانو؟

- أوه، نعم.

عندما كانت في الأربعين من عمرها، أعلنت شركتها التي كانت

تمرّ بأزمةٍ مالية عن موجةٍ من تسريحات الموظّفين. وقدّر رؤساؤها في العمل أنّ زوجها قادرٌ على إعالتها، فسرّحوها.

واعترفت لي حينذاك، باكيةً:

- إن الأمر صعب عليّ، لأنّ فصلي من العمل لم يكن مرتبطاً بكفاءاتي المهنية.

لم أعرف كيف أُريحُها لأنني لم أكن أجيد التعبير، فدعوتها إلى نزهةٍ بالسيّارة، وذهبنا إلى نبعٍ دافئٍ **أونسن** حيث قضينا النهار بغية تغيير أفكارها.

واصلت حديثها وهي تنظر إلى كرة الأرزّ التي تمسكها بيدها:

- في تلك اللحظة، حين رأيتُ وجهك من مقعد الراكب الأمامي، أدركتُ أنني لم أفقد جزءاً كبيراً من نفسي حين تم فصلي من العمل، كما اعتقدتُ سابقاً، إذ لم يتغيّر شيء فيّ. كنت قد أُبعِدت عن الشركة التي قضيتُ فيها كلّ حياتي المهنيّة فحسب. لم يكن الأمر أكثر من ذلك. فالرضا في العمل، واللحظات الممتعة برفقة الزملاء المقرّبين، كان بإمكاني أن أحصل عليها بنفسي. وهذا ما قادني إلى العمل على نحوٍ مستقلّ.

أدارت يوريكو رأسها نحوي، والابتسامةُ على شفتيها.

- **النوزاوانا** التي أكلناها في ناغانو آنذاك كانت لذيذةً جدّاً بحيث لم أنسها أبداً. ولهذا السبب أنا أعشق هذه النبتة.

بادلتُها ابتسامتها. كنتُ قد غششتُ قليلاً بسؤال تشيه عن **النوزاوانا**، لكن هذا لا يهم، لأنني لن أنسى أبداً تلك اللحظة التي تناولنا فيها **الأونيغيري** معاً جنباً إلى جنب.

كنتُ أنزعُ بدوري ورق السلوفان عن كرة الأرزّ خاصّتي، عندما قالت زوجتي:

- لقد سُرَّ السيّد ياكيتا بحضوركَ الدروس. هل أعجبتك لعبة الغو؟

كنتُ قد دفعتُ مسبقاً أجور حصص شهر مايو، واستأنفتُ قراءة الكتب التي نصحتني بها كوماتشي. ودون أن أفهم كلّ شيء، نجحتُ في استيعاب قواعد اللعبة، لأني كنت قد لمستُ الأحجار في الدرس الأوّل. فلولا هذا، لما نجحتُ في ذلك بالتأكيد، إذ غيّرت هذه التجربة الأولى الأمور كثيراً. كما أردتُ أيضاً أن أكتشف المغامرة التي تشكّلها كلُّ لعبة.

قلتُ، ممازحاً:

- إنّها لعبة معقّدة. فأنا أنسى كلّ ما أتعلّمه! لكن هذا لا يُزعجني، لأنني أحب فهم كلّ هذه القواعد الجديدة، ولذلك فإني أرغبُ في مواصلة الدروس لبعض الوقت.

هل سينفعني هذا في شيء؟ هل سأكون قادراً على ذلك؟ هذا هو نوع الأسئلة التي لطالما كبحني. لكن فكرة أنّ المهم هو اهتمامي حثّتني على الانخراط في العديد من الأنشطة.

أردتُ تحضير شعرية **السوبا**، وزيارة المواقع التاريخيّة، وحضور دروس اللغة الإنجليزية على الإنترنت، بعد أن تعلّمتُ استخدامه بفضل يوريكو. حتى أنّني جرّبت التلبيد بالإبرة، وتقدّمت بطلبٍ للحصول على وظيفة جذّابة تمّ الإعلان عنها. ،

سوف أُقبِلُ على الحياة بكلّ إيجابية وحماسة، مع رؤية موسّعة للعالم.

التهمتُ **الأونيغيري** خاصّتي، وانتعلتُ حذائي الرياضيّ، وتنزّهتُ في الحديقة الخضراء الناصعة في ذلك اليوم من بداية فصل الصيف.

غرّدت الطيور، وهبّت الريح، وضحكت يوريكو وهي بجانبي.
لن أرجع إلى الوراء.
من الآن فصاعداً، سوف أجمع ما أحبّ بعناية كبيرة. في ديواني الخاصّ.

ألقيتُ أبياتاً من الشعر مثلما خطرت ببالي.

«سِرْ، سِرْ، يا ماساو
استمتع، استمتع، يا ماساو
أوه، بالقرب منه، تقفُ يوريكو».

سألتْ زوجتي، موسعةً عينيها:
- ماذا تقول؟
- إنه **نشيدٌ لماساو**.
أومأت يوريكو برأسها، وقالت:
- إنه لا بأس به على الإطلاق!

مكتبة
t.me/soramnqraa

قائمة الكتب المذكورة في الرواية

『ぐりとぐら』 中川李枝子 文 大村百合子 絵 福音館書店

غوري وغورا، النص من تأليف ريكو ناكاغاوا والرسوم ليوريكو أوهمورا، نُشر من قِبَل فوكوينكان شوتين.

كتاب ياباني مصوّر للأطفال.

『英国王立園芸協会とたのしむ 植物のふしぎ』 ガイ・バータ一著 北綾子訳 河出書房新社

لماذا سَمادي العضوي حارّ؟ وأسئلة أساسية أخرى حول الحديقة

لغي بارتر (بستاني لدى الجمعية البستانية الملكية)، نُشر من قِبَل كاوابيه شوبو شينشا.

『月のとびら』『新装版 月のとびら』 石井ゆかり著 阪急コミュニケーションズ/ CCCメディアハウス

بوّابة القمر ليوكاري إيشيي، نُشر من قِبَل هانكيو للاتصالات (الطبعة الأولى) ودار سي سي سي للإعلام (الطبعة الجديدة).

كتاب ياباني عن علم التنجيم.

『ビジュアル 進化の記録 ダーウィンたちの見た世界』 デビッド・クアメン ジョセフ・ウォレス著 渡辺政隆監訳 ポプラ社

التطوّر: النظريّة بالصوّر لروبرت كلارك وجوزيف والاس، نُشر من قِبَل بوبلار.

『げんげと蛙』草野心平著 銀の鈴社

نبات الكاحل والضفادع لشينبي كوسانو، نُشر من قِبَل جين-نو-سوزو.

ديوان شعر ياباني.

『21エモン』 藤子・F・不二雄著 小学館

21 إيمون، النص والرسوم لوفوجيكو ف. فوجيو، نُشر من قِبَل شوغاكوكان.

مانغا يابانية.

『らんま1/2』『うる星やつら』『めぞん一刻』 高橋留美子著 小学館

رانما 1/2، **أوروسي ياتسورا**، **منزل إكوكو**، النص والرسوم لروميكو تاكاهاشي، نُشرت من قِبَل شوغاكوكان.

ثلاثة كتب من المانغا اليابانية.

『漂流教室』 楳図かずお著 小学館

غرفة الصف المنجرفة، النص والرسوم لكازو أوميزو، نُشر من قِبَل شوغاكوكان.

مانغا رعب يابانية.

『MASTERキートン』 浦沢直樹著 小学館

ماستر كيتون، النص والرسوم لناوكي أوراساوا، نُشر من قِبَل شوغاكوكان.

مانغا يابانية.

『日出処の天子』 山岸涼子著 白泉社

إمبراطور أرض الشمس المشرقة، النص والرسوم لريوكو ياماجيشي، نُشر من قِبَل هاكوسينشا.

مانغا يابانية.

『北斗の拳』 武論尊原作 原哲夫作画 集英社

قبضة نجم الشمال، النص من تأليف بورونسون والرسوم لتتسو هارا، نُشر من قِبَل شويشا.

مانغا يابانية.

『火の鳥』 手塚治虫著 KADOKAWA

فينيكس، طائر النار، النص والرسوم لأوسامو تيزوكا، نُشر من قِبَل كادوكاوا.

مانغا يابانية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ميتشيكو أوياما

مكتبة الأحلام السرية

ـ أرى أنّكِ تمرّين بمرحلة لعبة الدوّامة.

ـ لعبة الدوّامة؟

أفرجت عن ضحكةٍ خفيفة.

ـ هذا شائعٌ جدّاً. الأعزب يحسد المتزوّج، والمتزوّج يحسد الأب، والأب يحسد الأعزب. إنّها لعبة الدوّامة تدور حول نفسها، وهي ظاهرة مثيرة للاهتمام، إذ يركض كلُّ شخصٍ خلف مَن هو أمامه، وليس هناك من أوّل ولا أخير. بعبارة أخرى، السعادة لا ذروة لها ولا خطّ نهاية.

في هذه الرواية الرائعة التي لاقت نجاحاً هائلًا في اليابان كما في العالم، يجتاز خمسةُ أشخاص عتبة المكتبة الصغيرة التي تديرها سايوري كوماتشي في قلب طوكيو. سواء كان واحدهم رجلاً أو امرأة، شاباً أو مسنّاً، موظّفاً أو متقاعداً، القاسم المشترك بينهم هو أنّهم على مفترق طرق في حياتهم، ولكلٍّ منهم سوف تقدّم سايوري كوماتشي كتاباً غير متوقع، مختلفاً تماماً عن الكتاب الذي أتى من أجله، كتاباً سيساعده في تغيير حياته وصياغة مصيره من جديد.

وهكذا، تكشف لنا هذه الرواية الآسرة عن قوة القراءة وأهمية الإصغاء إلى الآخر، مؤكِّدةً لنا أن «قيمة الكتاب تكمن في تأويلنا الخاصّ أكثر من قوّة كلماته».

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com

مكتبة
t.me/soramnqraa